

العدد ١١-١٢ السنة الخامسة

الزهرة

مجلة ادبية روائية اخلاقية تاريخية فكاهية

صاحبها ومديرها المسؤول
جميل البحري

١٩٢٦

لكل عدد ملحق روائي

بعض محتويات هذا العدد

في سبيل الشرف

مأساة ادبية تاريخية تمثيلية ذات خمسة فصول

مطبعة الزهرة - حيفا

فهرس العدد

في سبيل الشرف

مأساة ادبية تاريخية تمثيلية ذات خمسة فصول

تقع ب ٧٦ صفحة

وهي خير الروايات التي تليق بالادباء الممثلين

وتلامذة المدارس الراقية

لقد ارسلناها مع هذا الجزء الى جميع مسددي

اشتراكات الزهرة

ونذكر الساهين عن الدفع ان يبادروا الى تسديد ما عليهم

اما المماطلون

والذين يقطعون الاشتراك بعد اخذ كل اعداد المجلة مدة سنة ومنهم سنتين وثلاثة فلم يعد لدينا من واسطة لتذكيرهم الا اشهار اسمائهم على غلاف المجلة **بالحرف الكبير**

وهي واسطة يعلم الله اننا نأتيها بالرغم منا ولكن ما العمل وقد نفدت كل حيلة معهم ؟؟؟

الزهرة

في سنتها السادسة

ستواصل مجلتنا السير الى الامام دائبة على الخدمة الحقيقية بنشاط ، باذلة الوسع في ان تكون خير مظهر للادب في فلسطين وبالتالي لرقي هذا المحيط ادبا وجعله في مستوى جارتيه مصر وسوريه .. نقول هذا لان مجلتنا هي

المجلة الوحيدة

من نوعها في فلسطين

واليها تلتفت انظار العلماء والمؤرخين في معرفة حالة الادب في ديارنا .. فيجدر بالجميع والحالة هذه تنشيطها وذلك بالاشتراك فيها واذا كان الانسان مشتركاً باشراك غيره

ستون غرشا

الاشتراك السنوي لا يكسر احد ولا يشعر به الانسان في مدار السنة ولكن مجموعه من عدد من المشتركين يساعدنا على زيادة الخدمة وها نحن نحضر احسن

الآلات الطابعة

الجديدة من اوروبا ونوقفها مع حروف جديدة على خدمه المجلة



العدد ١١—١٢ السنة الخامسة

الفضيلة والرذيلة

د برح حيفا على الطائر الميمون حضرة الاستاذ الكبير الشيخ مصطفى الغلاييني صديق الزهرة ونصيرها عائدا الى موطنه بيروت بعد ان غاب عنه لعوامل سياسية مدة لا تقل عن الاربع سنوات. واننا لهذه المناسبة نكرر طالما رددناه من الشكر الجم لحضرته على ما لقيناه منه من العطف على الزهرة، فلقد اتخذها خلال هذه المدة معرضا لآثاره الجليلة وميدانا لآرائه الطيبة في الاداب والاخلاق والاجتماع نثرا ونظما. هذا ولا يظنن احد ان حضرة الاستاذ بابتعاده عنا سيحرم الزهرة من درر انفاسه بل بالعكس سيزيدنا فضلا ويزيد صحيفتنا تنشيطا وسيظل مع الزهرة بعيدا كما كان قريبا الصديق الصدوق والمؤازر الكريم الذي نفاخر بصداقته والذي يشترك معنا بلا

بد قراؤنا الكرام في الترحيب بكل ما يتحفنا به من درره الغوالي »
« الزهرة »

ليست الفضيلة والرذيلة مما يخفى معناهما علَى الافهام ، فهما من
الالفاظ التى تلوكها الالسنة والاقلام كل يوم مرات ، غير ان
النفوس قد تكون فاسدة التربية او ضعيفتها ، فتسمي ما يوافق
هواها فضيلة ، فتنغمس في حمأة الشرور ، وتقصف في مرتع الفجور
فان اهاب بها داعي العقل نفرت ، وان اضاء لها طريق الخير
عشيت ، فهي لا تصيخ الا لمن يدعوها الى منكر او يحسّن لها
موبقاً ، وان النفوس التى تنفر من راعٍ نصيحٍ يدعوها لما يقوم
أودها ويصلح فاسدها لكثيرة ، فهي تنفر من راعيها نفور المهر
الأرن من الفارس الارعن ، وتجمح جموح الشموس من رائض
يسوس ، فلا تنفعها العظات ، ولا تنجع فيها النصيحات ، لان
النفوس الفاسدة صعبٌ عليها ان تنزع عما ألفته الى ما لم تألف ،
غير ان المعقول والمنقول يقضيان ان لا نترك هذه النفوس وشأنها
تفسد في الارض وتخل بنظام الاجتماع ، فلا بد من درس اخلاقها
درساً صحيحاً يحمل على معرفة دخائلها والبصيرة بجميع احوالها ،
حتى اذا عرفت ادواؤها وصف لها من الادوية ما يناسب مزاجها
فان في ذلك علاجها ، لان امراض النفس كأمراض الجسم لكل

داء دواء ، وعلى الله الشفاء .

وقد يوجد من النفوس ما بلغ مرضه حدّ اليأس من نجوع الموعظة فيه، كما يوجد من الاجسام ما لا ينجع فيه الا الحمام، فهذا ليس في مقدور البشر ان يلتمسوا له دواء او يجدوا له شفاء وربما كان هذا الصنف من الامة لا يتجاوز النصف من فجارها وضعفاء الاخلاق فيها ، ففي وسع حكماء الامة واطباء نفوسها ان يسعوا الى مداواة ما يمكنهم مداواته من نفوس النصف الآخر بالاساليب الحكيمة والوسائل النافعة ، ثم يضعوا سدا منيعا يحول دون انتشار اخلاق من عزّت مداواته ، كيلا تتعدى امراض اخلاقهم الوبيلة الى من صلحت نفوسهم وصفت سرائرهم .

هذا عملهم فيمن شبّ عن الطوق . وربما كان نفعه قليلا وخيره ضئيلا ، ولكن حسن النية وارادة الخير يعملان العجائب ، ويأتيان بالغرائب . فيجب السعي لاصلاح من تمكنهم مداواته ممن يرجى شفاؤه قبل ان يستحكم فيه داؤه .

وان الخير كل الخير ان ينصرف اكثر الحكماء والمرشدين الى تهذيب نفوس الناشئين ، وتطهير اعراق النابتين فمن هؤلاء يرجى النفع العميم والخير الكثير ، فان نفوسهم ساذجة لم تتدنس بأوضار المفاسد ، ولم تتلوث بادناس المقابح ، فهي صحائف

يض تمكنهم من ان يخطوا فيها ما يشاؤون من اخلاق رضية • وعادات زكية • ومكارم علية • وهنا تظهر مقدرة المربين • وتتضح اساليب المعلمين • وتبدو مهارة المهذبين ، فان أحسنوا فيما يكتبون فقد احسنوا الى انفسهم وامتهم ، وان أساؤوا فحسبنا الله ونعم الوكيل

ان قام المربون بهذا العمل النافع ، واتبعوا في تهذيبهم الناشئة الطريقة المثلى ، عرف ابناء اليوم ورجال الغد الحق من الباطل ، وميزوا بين الفضيلة والرذيلة حسب ما ترشدهم اليه التربية الصحيحة لا حسب ما توحيه اليهم الاهواء الفاسدة .

متى عرف الناس كيف يفرقون بين الخير والشر ، ثم سلكوا الصراط المستقيم ، متبعين ارشاد النفس اللوامة ، مغضبين النفس الأمارة ، فبشر الامة بالفلاح ، واكتب لها صكا بالصعود الى مستوى الامم الحية .

فمدار الامر وملاكه وذروة سنامه ان تعرف الامة الفضيلة وتعتصم بها ، والرذيلة وتنفر عنها ، فتلك هي السعادة كل السعادة

والسلام على من اتبع الهدى .

الغلاييني

اقرب الموارد (تابع)

وقال في مادة شفق: «شفق الناصح عليه شفقا ... فهو شفيق وشفوق» وشفوق لم ترد في كتب العرب، بل الوارد شفيق كحكيم.

وقال في شفه: فلان خفيف الشفة ... وفي الاساس: «قليل الاستجداء — وقليل السؤال للناس ضد.» اه. ففرق بين المترادفين مع ان معناهما واحد. وزاد ضغثاً على ابالة انه قال ضد، وليس بين معنى قليل الاستجداء وقليل السؤال للناس ما يضاد معنى الواحد للآخر. فكلاهما يفيد شيئاً واحداً. نعم يكون ضد في المعنى لو احسن نقل عبارة من تقدمه وهي قولهم: فلان خفيف الشفة اي ملحف في السؤال و— قليل السؤال للناس، ضد، لكن كلامه في واد وكلام معلميه في واد!

ومن قوله في ولح: الوليح والولائح: الغرائر و— الجلال و— الاعدال يحمل فيها الطيب والبز ونحوه. الواحدة وليحة. اه. وقد فعل هنا ما يكرر عمله مراراً لا تحصى، اي انه يتخذ المرادف المكرر لفظاً جديد المعنى غير موجود في اللفظ الذي يتقدمه وليس الامر كذلك، انما اللغويون قد يردفون الكلمة الواحدة بمرادفات عديدة، ليفهم معنى هذه الكلمة دون الاخرى من كانت لغته على

تلك اللغة لا غير . فالغرائر هي الاعدال . والاعدال هي الجلال (جمع جلة) . فتبصر .

وقال في وقذ (في الذيل) : الوقيذ كأمير : الذي يغشى عليه لا يدرى اميت ام لا (قاله ابن شميل) ثم قال: رجل وقيذ: ما به طرق (اللسان) فظن انه اتى بمعنى جديد هو غير المعنى السابق ، والحال ان كلا المعنيين واحد . لان الطرق هو الصوت مهما كان فقوله ما به طرق ما به صوت فلا يدري اميت هو ام لا .



سكان فلسطين

تقدر سكان فلسطين ب ٨٠٠٠٠٠ نسمة منهم ٦٠٠٠٠٠ مسلم و ١٠٠٠٠٠ مسيحي ومثلهم يهود واكبر الطوائف المسيحية عدداً هي الروم الارثوذكس وعددها ٥٠٠٠٠ وبعدها الروم الكاثوليك ٢٥٠٠٠ ثم اللاتين ١٥٠٠٠ فالبروتستانت ٣٠٠٠ فالموارنة ٢٠٠٠ اما بقية الطوائف فتعد ٥٠٠٠ نسمة

الى الشيخ ظاهر العمر

صورة همايون من الدولة العثمانية

براً بوعدنا فى عدد الزهرة السابق ننشر صورة همايون من الدولة العثمانية الي الشيخ ظاهر العمر منقولا بحروفه عن المخطوط الذى بين يدينا » « الزهرة »

قدوة الاماجد والاعيان الشيخ ضاهر العمر زيد قدره

بعد وصول همايوننا هذا يكون معلوم لديك بانك من قديم الزمان من المتنعمين بنعم الدولة العلية ومحقق صدق عبوديتك ببرهان الخدامات الصادقة وكنت صاحب الشهرة والشان وبصدق النية وخلوص الطوبه يشار اليك بالبنان وكنت تأدي الاموال الاميريه قبل الجميع وقط لم عرجت عن طريق الاستقامه الا منذ ازمنه قريبه لحدوث بعض اسباب وبحسب البشره لاجل حفظ النفس اظهرت من خمس سنوات التردد والوحشة ولكن في هذا الوقت وصل لسدتنا الملوكية الخاقانيه عرضحالك بواسطة دستور اكرم مشير افخم نظام العالم ناظم مناظم الامم مدير امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأي الصائب ممهد بنيان الدوله والاقبال مشيد اركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الكرام مكمل ناموس السلطنة العظما المحفوف بصنوف عواطف الملك

الاعلا صدر الاعظم حالا قوي الهمم عزه محمد باشا ادام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله وكان مفهوم عرضحالك بانك اذ حصلت على العفو عما جرى من الحركات الغير مستحسنه وصرت منظور بنظر المرحمه وملحوظ بعين الشفقه والمكرمه فتحط قلاد الطاعه في رقبة العبودية وهذا بعينه قدره ايضا جوقدار الوزير الاعظم محمد زيد قدره فبناء على شوافع طاعتك وثبوت عبوديتك واتباعا لقوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله واقتداء للحديث النبوي والقول المصطفوي من اقال نادم عقوبته اقاله الله يوم القيامه وحبذا هذا كونه من الشيم السلطانيه المرضيه والسجايا البهيه الملوكيه وهي خلة الدولة العثمانيه بشرط ان تسلك بعد اليوم مسلك الطاعة والعبودية ولا تنصرف عن منهج الاستقامه ولو باقل الامور واصغرها وتصرف جهدك في تنظيم القطر وتحصيل الاموال الاميريه سابق ولاحق ومن كل الوجوه تصرف جهدك في تحصيل رضانا الكاين عنه النمو والسعاده فعلى هذه الشروط المذكورة اجرينا قلم ما مضى على صحايف ذنوبك فالى يومنا هذا كل شيء صدر منك ومن ارفاقك ومن توابعك ومن لواحقك ومن عشايرك صاروا مشمولين بالعفو السلطاني واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون فعدرا هذه المراحم السلطانيه من النعم العظيمه

وقوموا بشكرها الى يوم القيامه وما دمتم بعد الان على طاعة
الاحكام الجليله السلطانيه قايم بالخدامات الصادقـه ومظهر
الاخلاص وصدق الطوية لا نشاهد من طرفنا السلطاني غير
اللطف والعنايه فتيقن هذا الحال واظهر لوازم الخدمه والعبوديه
وكن امين البال مطمان الحال وهمايوننا اربطه علَى عضدك الايمن
وخيط همايوننا هذا حيث المرحم والسلامة فلاظهار الحظ ارسلنا
الهمايون مع افتخار الاماجد والاكارم قبوجيلار كتخدا سينا
احمد هاشم دام مجده وليكن معلوم الجميع ان سلطنتنا المخلدة
الاركان والمشيدة البنيان قائمة علَى اساسات اخصها المرحمه فاذا
صدر بحسب البشره اجرام وذنوب من البيوت العتق واتبعوه
بالتوبة والانابة وتعلقوا باذيال المغفره بايدي التضرع والابتهال
فالعفو عنهم من خصايص اجدادنا العظام فاقتداء بهم قد عفونا
عن ذنوبك لكبر سنك وشيخوختك وشفقة علَى الرعايا والبرايا
فعليك راسے الله وامان الله فبعد اليوم ابدل جهدك سيف
تنظيم الاموال الميرية والسلوك بقدم الطاعه والعبوديه فمادمت
ثابت على ما ذكر من الطاعه والخدامه الاستقامه ولاتخشى من
شيء ولاتحسب حساب احد فاعمل خطا همايوننا هذا حرز الى
ذاتك والاغا الموما اليه نبهناه بالسان التنبيهات الموكية حد

عنه وضعه قرط جوهر في اذانك وابذل كل جهدك في تنظيم القطر وتحصيل الاموال وفي غيره من الامور العتيدين ان نأمرك بها فابعد عن مخالفة اوامرنا واعتمد عليِ سلامتنا السلطانية

جريدة كوكب الشرق في مصر
ومجلتنا

نرجو من هذه الجريدة الراقية ان لا تسهو عن التنويه الى الزهرة اذا ما رغبت في نقل شيء عنها فهو حق ادبي تقره الرصيفة بلا بد انا وهو كل ما يملكه الاديب تعويضا عن اتعابه وعنائه في خدماته الادبية فلقد نقلت هذه الرصيفة عن عدد الزهرة الاسبق مقالا ادبيا وقصيدة شعرية اثبتتهما في العدد ٩٦ من سنتها الثانية الصادر في ١٤ أبريل سنة ١٩٢٦ ولم تذكر المرجع ثم اعادت الكرة عند صدور عدد الزهرة السابق ونقلت بعض القطع الادبية دون ان تشير الى المصدر . وما كنا لنتنبه لهذا الامر لو لا ان بعض قراء الصحيفتين لفتوا نظرنا اليه فنحن مع شكرنا للرصيفة حسن ظنها بمجلتنا نلفت نظر الاديب الكبير صاحبها الى هذا السهو الصادر بلا بد من دائرة التحرير على غير انتباه منه

سير الزهرة

سارت الزهرة في سنواتها الخمس سير تقدم حثيث ادهش الكثيرين ممن يعرفون حقيقة مقام الادب في حيفا وفلسطين فلقد تدرجت من حسن الى احسن حتى صارت الى مرتبتها الادبية العالية واضحت موضوع عناية كبار العلماء الاعلام فوافوها بابحاثهم وكتاباتهم الشيء الذي زاد في قيمتها واطلق السنتنا شكراً . وان من افتكر قليلا في تقدم الزهرة وكان عارفاً ان الحالة الادبية في فلسطين عامة وفي حيفا خاصة لا تتحمل بعد مثل هذا المقام الادبي الراقي الذي بلغت اليه وان الذين يتذوقون طعم الادب هنا ويعرفون ان الصحف هي مرآة النجاح في كل امة هم قليلون جداً — مع احترامنا لاشخاص الباقين — ان من افتكر في كل هذه الامور قدّر قدر المجهودات الادبية والمادية التي بذلناها ولا نزال نبذلها في سبيل ايصال هذا المشروع الى حالته الحاضرة وعرف قيمة الاتعاب التي لا نزال نعانيها لايجاد شيء وشيء ذي قيمة من لا شيء مع شديد تمسكنا بمبدإ عدم التزلف لاحد وعدم التثقيل على احد وعدم اجبارنا احداً بالاشتراك في مجلتنا وعدم ارسالها الا الى من عرف قدرها فطلبها من ذات نفسه حفظاً لكرامتها وضناً على الادب من الامتهان

هذه هي الزهرة وهذه هي الخطة التي سنستمر سائرين عليها في سنتها السادسة خطة السير الى الامام غير تاركين جهداً الا ونبذله في سبيلها وما طمعنا في عملنا بارباح مادية — اذ لا ارباح لمن تكون هذه خطته — انما غايتنا ان نكون امينين على قليل ما أعطيناه من الوزنات فنحسن استخدامها ونكون هكذا قد قمنا بالواجب علينا والله ولي التوفيق

هذا العدد

لقد شغلت ابحاث «حديث المائدة» الجانب الاكبر من صفحات هذا الجزء من الزهرة وما ذلك الا رغبة فى انهائها بانتهاء هذه السنة وحتى لا نبقي منها شيئاً للسنة الجديدة التي سنفسح مجالها لمواضيع جديدة مهيأة لها .. وبالرغم من الصفحات الكثيرة التى زدناها على هذا الجزء فلقد ضاق المجال دون مباحث جليلة كثيرة نعتذر الى اصحابها الادباء عن تأخيرها الى السنة القادمة ...

الزهرة

هي احسن هدية تقدمها الى صديقك وقريبك وحبيبك
فيتذكروك كلما وردت عليهم اعدادها وقلبوا صفحاتها
ويشكرون لك حسن الصداقة والمحبة

التمثيل

ونصيبه في حيفا

التمثيل فن جميل تقوم عليه كثير من ميزات الروح الغربية التي تفوقت على زميلتها الشرقية في كل مضمار، وللتمثيل تأثير كبير في تهذيب النفس واذكاء العواطف سواء أكانت وطنية او انسانية او تهذيبية، ولذلك تجد الغربيين يعيرونه جانباً كبيراً من اهتمامهم ويكرمون النابغين من الممثلين كما يكرمون كبار ابطالهم · وقد اخذ الشرقيون ينهجون منهج الغربيين في ترويج هذا الفن فنبغ في مصر وفروق ممثلون اكفاء الا انهم قليلون يعدون علَى الاصابع ولا يزال فن التمثيل بحالة فقيرة في جميع هذه الانحاء وخصوصاً في فلسطين ·

شاهدت حيفا في هذين الشهرين عدة روايات عربية مثلت على المرسح ولم اذكر انني قرأت لأحد الأدباء نقداً فنياً علَى صفحة الجرائد · وبما ان للنقد مفعولاً تهذيبياً ارى انه من الضروري ان لا تمثل رواية الا ويجب ان ينقدها احد الحاضرين فينوّه بما كان حسناً وينبه الى ما كان غلطاً حتى اذا ما تقدم الممثل مرة ثانية للتمثيل استرشد باراء الناقد وتجنب مواضع الخطأ

هكذا يتقدم الغربيون علَى سنة التكامل فهم يفسحون

مكاناً كبيراً من صحفهم لفن النقد ويقبلون علَى اراء الناقدين بصدور رحبة حباً بالتقدم والتكامل ·

منذ زهاء شهرين قام فريق من الحيفاوين بتمثيل رواية (وفاء السموأل) وقد اسعدني الحظ بأن كنت بين الحضور فاعجبت بتلك الغيرة العربية التي حدت بالممثلين للقيام بتمثيل رواية عربية. الا انني لم استطع ان اعرف لماذا اختاروا رواية موضوعها يتلخص (بكرم اليهودي) فهل ضاق صدر تاريخ العرب عن مكرمة غير يهودية نقوم باحيائها ، انني استغرب لماذا اصبح من (المودة) في كل مكان ان تمثل هذه الرواية التي اقل ما يقال فيها انها تمثل كيف كان العربي اقل حمية من اليهودي وكيف كان اليهودي شديد الحرص علَى الامانة ·

ان في تاريخ العرب كثيراً من الوقائع التي تملأ العربي فخاراً ان هو أشاد بذكرها · فلنعرض اذن عن مثل هذه الرواية ولتكن غايتنا قومية قبل ان تكون فنية لاننا امة فتية تحاول النهوض من سباتها والنهوض لا يتيسر لنا الا بتنمية عاطفة القومية قبل كل شيء·

يظهر ان اكثر الممثلين كانوا مبتدئين ولذلك لم تكن اوضاعهم مطابقة لما كانوا يقولون وزاد في الامر ان اكثرهم لم

يكن متقناً حفظ دوره فكانوا يحومون حول الملقن يستنجدون به ومما يستلفت النظر انهم كانوا يغلطون كثيرا في اللغة فالمنصوب كان مرفوعا والمجرور منصوبا حتى ان الممثل الذي قرأ قصيدة السموأل قرأها مشوّهة جدا بحيث نصب الضاد من (عرضه) وأتى باغلاط كثيرة من هذا القبيل . واری من واجبي ان انبه الى خطأ عمومي في جميع الممثلين وهو انهم كانوا يمدون اواخر فعل الماضي بحيث يخال للسامع انهم يقصدون صيغة التثنية وهكذا كانوا يقولون (كانا) و(ضربا) مكان كان وضرب. وهذا خطأ في التلفظ أراه شائعا على ألسن اكثر الممثلين المبتدئين . هذا ما ارى ضروريا ان اجهر به انتصارا للفن وللنقد ومع ذلك لا يسعنى الا ان اشكر اولئك الشبان الذين سعوا جهدهم لتمثيل رواية عربية حبا باللغة والفن مع رجائي اليهم ان يفطنوا في المرة الآتية الى النقاط التي ذكرتها .

والرواية الثانية قام بتمثيلها جماعة من ادباء العمال النابلسيين فكانت الاغلاط اللغوية اقل مما في الرواية الاولى الا انها كانت كثيرة ايضا مما يحملني ارجوهم ان لا يتعبوا انفسهم بحفظ ادوارهم قبل ان يضبطوا قراءتها على احد المطلعين علَى الصرف والنحو وكم تتألم النفس عندما ترى شابا قد اجهد نفسه في حفظ دوره

الطويل قبل ان يتقن قراءته بدون غلط في اللغة . فأنبه الى ذلك حضرات الممثلين لأنني ارى اتقان اللغة ضرورياً قبل كل شيء

اما التمثيل فقد كان موفقاً نوعاً مما يبشر بمستقبل حسن في التمثيل ان تكرر التمرين وصرف شيء من المجهود نحو تحسين اللغة واللفظ . والرواية الثالثة التي اريد ان انقدها هي رواية طارق بن زياد التي قام بتمثيلها جوق السيد عكاشه . لست اريد ان اعد جوق عكاشه معادلا لزميليه من وجهة الاجادة بالفن فان جوق السيد عكاشه احترف مهنة التمثيل منذ القديم بحيث ان المقايسة بينه وبين الاخرين تعد قياسا مع الفارق وقد برهن هذا الجوق على مقدرة في التمثيل نذكر فتشكر خصوصا في رواية (شمشون ودليلة) وفي (كلا او باطرا) . انما اريد ان اقول كلمة في رواية طارق لانها كانت تستحق ان يتناولها الناقدون من وجهة الفن والذوق الملي . موضوع الرواية كان سخيفا جدا لا ينطبق على الواقع فأن الذي يشاهد الرواية يفهم منها ان العرب قوم اجلاف يدربكون على الطبول كالمشعوذين وقد تسنى لهم فتح الاندلس صدفة بفضل تخاذل الاسبان لا بفضل اخلاقهم وقوة مراسهم . ويخال لي ان لمؤلف الرواية ميلا خاصا للاسبان لان في الرواية فصولا شائقة عن نفسية ملك الاسبان وقد كان

وقوفه امام رئيس الكنيسة من احسن الوقفات التمثيلية الموفقه بحيث يخال للانسان انه امام اكبر ممثل اوروبي . كذلك كان ممثل دور الخائن فانه اجاد التمثيل جدا واما شخصيات العرب فكانت مخجلة ومخجلة جدا فموسى بن النصير كان يشبه مرتزقة الشيوخ التي تقعد القرفصاء علَى قارعة الطرق لتفتح البخت فلم تكن عليه مسحة الامارة وليس في نبرات صوته الوقار اللازم لشيخ مفضال او لقائد كبير . اما طارق ، واما طارق ، فقد كان اشبه بلصوص الغابات منه بقائد فذ . وقد مثله المؤلف بشكل يأنف منه الذرق السليم فجعله مثالا للفظاظة وغلاظة الكبد خصوصا عندما كان يصيح بلزوم و بلا لزوم (ايه ! ايه !!.) مع ان طارقا كان بخلاف ذلك . وانني لاستغرب كيف اقدم السيد عكاشه علَى انتقاء هذا المؤلف الذي يجعلني اعتقد انه يقصد الحط من كرامة العرب بشخصي طارق وموسى .

وزادت في بشاعة الرواية تلك الجموع التي كانت تطلع للمرسح في الفصل الاخير وبيدها اعلامها وطبلها يقرع على نمط طبول مشايخ الطرق وقد كان اكثر المهرولين من ابعد الناس عن مهنة التمثيل فكانوا يركضون وهم مطرقون لأنهم كانوا يشعرون بان الناس تفهم انهم غريبون عن المهنة

وخلاصة الكلام ارجو السيد عكاشه ان يحذف من برنامجه هذه الرواية حذفا باتا وان يرجع الى احياء ذكرى طارق عن طريق التاريخ الصحيح وان كان يعرف اللغة التركية اوصيه بقراءة مؤلف عبد الحق حامد بك ففي روايته (طارق) صفحة خالدة من المجد العربي الحقيقي كنت ارجو كثيرا ان اجد ولو شمة منه في رواية السيد عكاشه . على ان اللغة كانت متينة والممثلون يجيدون الالقاء اجادة يشكرون عليها شكرا جزيلا . وان كان ثمة نقص فهو يرجع الى الرواية نفسها لا للممثلين والدليل ان الممثلين انفسهم اجادوا كل الاجادة في الروايات الثلاث الاخرى التي مثلوها بعد رواية طارق

هذا ما رأيت ان اذكره عن التمثيل في حيفا ارجو ان يتلقاه حضرات الممثلين كنقد فني خالٍ عن كل غرض وليس لي من ورائه الا حب التقدم والنجاح

الدكتور
رشدي التميمي



بين العاملي – والمنذر

الشيخ ابرهيم منذر هو اللغوي المدقق والشاعر الكبير والخطيب المفوّه والمحامي القدير والنائب الحر في المجلس النيابي في لبنان ٠ عرفه العالم العربي بادبه الجمّ وعرفته البلاد بمواقفه الوطنية الجريئة التي نرى له منها في كل يوم اثراً جليلا يزيدنا اعجاباً به وتقديراً لفضله ومن هذه الآثار ذلك الموقف المشكور يوم ثارت النفوس على الادغام القضائي في لبنان فكان حضرته في طليعة المعارضين وفي مقدمة الصارخين بضرر هذا الادغام وقد رفع بذلك تقريراً ضافياً للمجلس النيابي ٠ فلم يتمالك صديقنا الشاعر الكبير الاستاذ العاملي اذذاك عن اظهار اعجابه بوطنية الشيخ النائب فحيّاه بالقصيدة التي ننشرها فيما يلي تسجيلا لاعماله واشهاراً لوطنيته

الزهرة

ما كدت تهتف بالاصلاح عن كثب
حتى دوى البهو بالتصفيق والطرب
أدركت ما نحن فيه اليوم من عطب
فقمت تصرفنا عن موطن العطب

وقد حذا حذوك النواب قاطبة
فكان ذاك لعمري منتهى العجب

الفضل يكبر والاداب إن جحدوا
ما تكنزِ اليوم من فضل ومن ادب

والعرب تعلم ما أوليت من منن
أمّ اللغات لتحيي أمة العرب

لم تسع في طلب فاتتك بغيته
الا استفزتك ذكرى ذلك الطلب

إيه صديقي قد احسنت في عمل
به اقتفاك كرام السادة النجب

احب قومي واوطاني فيعذلني
قوم رأوا ادبي من غير ما سبب

إن يقصني عن حماها الدهر اسعَ لها
ما خانني قدمي زحفا علَى الركب

لي عزمة عرفت في الناس ما برحت
في كل داجية أرسَى من الهضب

وان ونى لي عزم في الورى زمنا
لي إسوة بأفول الانجم الشهب

وبين جنبيّ نفس قد غلت ثمنا
ما ان تباع بدينار من الذهب
ولا تجود بقول غير ذي ثقة
ولا تساق لأطراء ولا كذب
حسبي بلادٌ هواها منتهى أملي
ان تاه غيري بحب الخرّد العرب
وان يزن شرف الانساب ذا ادب
فذلك لي في البرايا اشرف النسب
كم اضطهدت ولم أعبأ بمضطهد
وكم حباني امرؤٌ ثلبا ولم أجب
وكم أساء فتى فضلي فأوسعني
من التهجم اقصى سورة الغضب
فافصح الدهر لي ان لا نعر أذنا
من لا يميز بين الجدّ واللعب
قد ساء منقلب الآداب وا أسفي
واستحكمت نوب الأرزاء وا حربي
قم ناد لبنان واملأ قلبه حذراً
من شر شرذمة في خير منقلب

وآزر الحق ان الحق مضطهد
في الارض اخفاه ليل الشك والريب
وقل لقومك ان العز مستلب
في موطن قلق الاركان مضطرب
فحاذروا الحقد ان الحقد منقصة
والحزم افضل أمّ برّة واب
سل حاضر الحقب والايام شاهدة
عن الالى نبغوا في سالف الحقب
تنبئك ناطقة فيما روتـه لنـا
عن الجدود بطون الصحف و الكتب
تروم للشرق من ويلاته هربا
والشرق مستنقع الارزاء والكرب
من لي بمضطلع بالخطب يبلغنا
اسمى الفخار بغير البيض والقضب
وهل خطيب كهذا الدهر يفهمنا
معنى الحياة بغير الشعر والخطب

محمد كامل شعيب
العاملي

الشباب والموت

« هي المرثية التي قالها حضرة صديقنا الاديب السيد وديع صبرا في حفلة الاربعين التي اقامتها جمعية التعاون والاقتصاد احياء لذكرى احد اعضائها المرحوم فايز الياس منصور وقد امتاز بخبرته التجارية »

الزهرة

وانه لاربعين يوما خلت هدّ من اركان الشباب ركن متين فالشباب كثير الجرأة وفي هذه الخوف . والشباب كبير المجازفة . وفي هذه الخطر . والشباب شديد المطامع والطموح . وفي هذين الانحلال والموت . . اجل ذوى غصن الصبا فتصدعت له قلوب ذويه وتداعى ركن الشباب فشقت له مرائر آله . لا لسبب . الا لعامل الموت نفسه . لان الطبيعة البشرية قضت على الضعف الانساني بان يسكب لكل فراق دمعة . ولان سنة القضاء شاءت بان يتصدع لكل رزيئة قلب . فكأن الحزن والدمع توأمان يلدان معاً ويموتان معا . . فلو علم الباكي ان الدمع لم يردّ حتى الان حياة مفقودة لتحجر دمعه . ولو درى القلب الدامي ان الاسترسال في الحزن ابعد من ان يكون بلسما للجروح الملتهبه لما تصدع . لان كل ما يولد يموت

مات فائز فذرف الحنان دمعة . وتداعى ركن الشباب

فسكب الشباب على الشباب دمعةً اخرى فتوحدت الدمعتان شكلا لان الحزن يوحد في اختلاف الشقاء . واختلفتا جوهرا ومعنى لان الدمعتين لم تنحدر من ينبوع واحد . فدمعة الحنان قضى بسكبها الضعف البشري . والدمعة من هذا النوع قد تجف على تمادي الايام . لان جرح اليوم قد يندمل في الغد . ولان كل شيء حيث يبتدي لا بد ينتهي . واما دمعة الشباب على الشباب فلن ينضب معينها . لان الشاب لم يبك ركنه المتداعي لعامل الموت نفسه فهو يعلم حق العلم ان كل ما يتشيد اليوم ينهار في الغد . ولكنه ان بكى فانما يبكي لان عَلَى الشباب واجبات عديدة القاها الواجب فحرّم عليه الموت مهمة القيام بها . وآمالا عظيمة علقها عليه المجتمع الانساني فحال الردى دون تحقيقها فمن اجل هذه العوامل فقط ولاجل هذا المبدأ السامي حسرة الشباب الناضر على الشباب الذاوي لا تلبث نارها ان تخبوَ حتى تثور وتستعر . ودمعة الشباب الحيّ على الشباب المائت لا تجف اليوم حتى تنحدر في الغد لانها من دموع الخلود

ان الحياة ترتكز عَلَى ثلاثة اركان . الحداثة والشباب والشيخوخة ، فلو سارت هذه الحياة بمقتضى ناموسها الطبيعي لا رأينا الركن الاول ينهار قبل الركن الثاني ، ولا هذا يتداعى قبل

الركن الثالث . ولكن للايام احكاما حار في تعليلها العقل . وعجز عن كيفية تطبيقها الادراك، فكم من حداثة لفحتها اعصار الزمان فذوت قبل ان تترعرع ، وكم من شباب، صهر الدهر نضارته فذبل قبل ان يشيخ ، وكم من شيخوخة ناوأها القضاء وارتد عنها كايلا فلو عدل الموت لفسح للحداثة مجال الشباب ، ولو انصف الموت لأبقى علَى الشباب حتى يشيخ . ولكن الموت لا يفرق في الاعمار فعلى مسارح هذه الحياة فواجع كثيرة من هذا النوع . واخر الفواجع مأساة الفقيد .

ان الحياة ميدان تتبارى فيه جهود الانسان ، فالجهد اقوى ما يكون في الشباب . والخطر اشد ما يكون في هذا العهد . فالشباب زهرة الحياة ، والشباب نور ساطع ترمقه الحداثة بعين الامل فتستنير بضوئه ، وتتلمسه الشيخوخة بأمل الضعف فتستعيد شيئا من القوة . ينظر الى الوراء فيرى الحداثة وهي لم تبلغ اشدها بعد تتحفز للوثوب فتقف لتقع وتقع لتقف ، فيمد لها يد القوة ويقيل منها العثرات . . ينظر الى الامام فيرى الشيخوخة وقد احنت ظهرها السنون . يداها ترتجفان . ظهرها ينحني ، اعصابها تهتز . تستغيث وتستجير . فيبسط له عصا المعونة . فتنتصب وتسير لانها استعادت شيئا من دم الصبا . . يجيل النظر

في مجال هذا العالم فترى نضالا مستمرا وجهاداً مستمراً. فيندفع هازئاً بالمخاطر. لان قوة الشباب تستمد بالشباب فوق عوامل الضعف والخوف، ينظر الى الجبال الشاهقة فيراها منبسطة يحدج اليأس فيرى فيه رجاء، و يرمق الظلام فيبصر فيه النور الساطع، وان تجسمت الاهوال، اقتحمها غير هياب ولا وجل. كل ذلك والايام سائرة على مهل، بما في طياتها من فواجع وفي خباياها من احزان، ترمق الشباب عن كثب فتراه ثائرا هائجا فتبتسم، لانها تعلم ان هذين العاملين يفقدانه معظم القوى والعدو ان هاج وثار يسهل التغلب عليه .. وما هي سوى عشية وضحاها، حتى يهدأ ذاك الحماس، وتخمد تلك الثورة، و يستقر ذلك الهياج، لان الشباب الذي ناضل الدهر زمنا طويلا فقد زيت القوة بما اضاء من دياجي، واثار من ظلمات، وبذل من جهد فخر صريعا يتخبط في الظلام الدامس، ولقد كان من العدل ان تكتب آية الانتصار لهذا الجهاد العظيم لو لا ان القضاء لم يخط منذ اللانهاية على جبين الانسان تلك الآية الدموية : لولا الموت لم تك الحياة : فهذا هو الشباب الذي تداعي احد اركانه بالامس. وهذا هو الشباب الذي من اجله نقيم حفلة الاربعين اليوم عَلى اننا لو نظرنا بعين العدل . وتقلدنا سلاح الجرأة الادبية

لوجدنا كثيرين من الاحياء جديرين بحفلات الاربعين اكثر من فقيدنا بالامس ٠٠ علَى وجه هذه البسيطة الوف الالوف من بني الانسان هم اموات وان كانت تدب فيهم نسمة الحياة لان الانسان الذي يقطع مسافة حياة الدنيا دون ان يخدم او ينفع هو ميت وان كان حيا ، لان الحياة ملأى بالمصائب والحياة غاصة بالألام ، والانسانية تبكي ، فالحي منا هو من يعمل علَى تخفيف تلك الآلام والمصائب ٠٠ فمن مات وقد قام بهذا الواجب من مات وهو يخدم ، من مات وهو يتألم لآلام الغير فلنقم له مهرجان النصر ، ولننشد له اهازيج الفرح ٠ لانه ان مات بالجسد فهو حي بالاعمـال وخالد بالذكـرى ٠٠٠ ومن قضى الحياة لا يبدي ولا يجيب ، ومن عاش وهو جامد صامت ٠ لا يكترث بمصائب الغير ، ولا يعمل على تخفيف آلام سواه ، فلنقم له حفلة الاربعين لانه ميت وان كان حيا ، لان الانسانية المتألمة تتقاضى حياة الفرد في سبيل هناء وراحة المجموع ، ذلك الهناء الذي لا يتشيد الا اشلاء الضحايا وتلك التي لا تقوم الا علَى جماجم الشهداء

ان الموت مرآة الحياة وحياة الانسان لا تتجلى الا ساعة الموت هنالك بعد ان تفارق الروح الجسد بينما تتعالى في الفضاء اصوات

البكاء والعويل وبينما المآقي وقد اذابها الحزن تسيل دموعا ، وبينما الشعور وقد عبثت بها اهواء لزمان لا انامل الهوى وبينما جلال الموت يخيم فوق ذلك المشهد الرهيب ، تتصاعد في الخفاء وفي الزوايا همسات ضئيلة كانها اسرار يهمسها النسيم في اذن الدجى تلك الهمسات هي احكام الجمع الحي على اعمال الفرد المائت . . لان الالسنة التي قضى عليها الرياء بان تنعت السفالة بالنبل والالسنة التي قضى عليها التذبذب بذم الفضيلة وبالثناء على الرذيلة . والالسنة التي قضى عليها الجبن والخوف والخداع بالصمت والخرس والتغاضي ، قد فك عقالها جلال الموت فعادت تنطق بالحقيقة وراحت تذم بعد الثناء . وتثني بعد الذم ، لان قيود الخداع تبلى ، وسلاسل الرياء تتفكك امام جلال الموت مهما استحكمت حلقاتها في الحياة ، فتبدو اذ ذاك الحقيقة الناصعة بثوبها الخالد . بعد ان كستها تقاليد الحياة رداء الخداع البالي ، فنعلم حينئذ ان تلك الهمسات التي ظنناها اسرارا لم تكن الا احكاما زانها القضاء بميزان العدل . ونطق بها بلسان الجمع الحي على حياة الفرد المائت . . فلنمت في الحياة ، حتى نحيى بالموت ، لان اكاليل المجد والفخار لا تضفر الا فوق الحياة الدامية

[illegible]

الان نعتلي منبر الخطابة حتى نفي حق ذاك الجهاد فالفقيد ما كاد يفتح عينيه للنور حتى اندفع في بحر هذا العالم المتلاطم بالمصائب ، ولو قدرت النتائج بقدر ما يبذل في سبيلها من الفوز لنال الفقيد وسام الظفر، ولكن الدهر خشي تلك الهمة الشماء ، وراعه ذلك الاقدام والنشاط ، والدهر وهو شعار القوة ، ضن بنفسه ان يشاطره سواه تلك المزية ، فخف الى الميدان وتصدى ، فكان جهاد ولا جهاد المستميت من جهة ، وكان دفاع ولادفاع اليائس من جهة اخرى الواحد يناضل في سبيل الحياة ، والاخر يدافع حتى يميت . فمكثت الحرب سجالا بين الطرفين مدة ثلاثين عاما .. ولكن لم ينقض هذا المزيج من الزمن حتى تحطمت هجمات اللحم والدم علَى اسوار الموت الفولاذية ، وخرّ الشباب يتخبط في دماء الجهاد الشريف والنضال الباسل. وهكذا طوى الموت حياة اخرى من حياة الشباب ، وهكذا سدل الموت على تلك الحياة ستار الابدية المظلم ، وكم سدل الموت مثل هذه الستائر

قوآل الفقيد ، ان المصيبة فادحة ، والقلب الدامي لا يجد العزاء اليه سبيلا ، الا اذا سيطرت قوة العقل علَى عواطف القلب الضعيف ، فنحن في المصيبة سواء ، فقدتم ابنا ، وفقدنا اخا ، فوحد الحزن في اختلاف الشقاء

في عالم الادب

لغة العرب

عادت هذه المجلة الى الظهور لحضرة صاحبها امام اللغة العربية وصديق زهرتنا الحيفاوية العلامة الكبير الاب انستاس ماري الكرملي، بعد ان احتجبت عن العالم مدة طويلة كانت الحرب العظمى اكبر عامل في هذا الاحتجاب. ومن تابع سير هذه المجلة مدة السنوات الثلاث التي ظهرت خلالها، ومن عرف الاب انستاس بفضله وعلمه ومن عرف مقدرته اللغوية ووقوفه على دقائق العربية وقوفا لا يضاهيه فيها ثان، من عرف كل ذلك لا يخالجه ادنى ريب في ان الناطقين بالضاد في حاجة قصوى الى مثل هذه المجلة وفي افتقار شديد الى معلومات حضرة صاحبها ينشرها في صحيفة يختصها بنفسه فضلا عما يتحف به الصحف الراقية من درره النفيسه فنرحب اذا بهذه الرصيفة وندعو جميع عشاق الادب، ومحبي اللغة الى مطالعتها والاستفادة من محتوياتها وهي تصدر مره في الشهر في بغداد واشتراكها ١٣ ربية في الديار العربية.

الخليقة ونظامها: هو سفر ثمين لا يعرف قيمته ولا يقدر قدر ما عاناه مؤلفه الرصيف الاديب السيد امين الغريب صاحب

مجلة الحارس القراء من التعب الا من يطالعه بدقة ويتفهم ما حواه من الدروس الجليلة في الخليقة ونظامها وهو يبتدىء بشرح كيفية تكوين الارض وينتقل بعد ذلك الى الكلام باسهاب وشروح مفيدة عن المملكة المعدنية فالمملكة النباتية فالمملكة الحيوانية ويصل ببحثه اخيراً الى الاستنتاج ان وراء هذه المخلوقات لا بد من وجود قوة عاقلة خبيرة تدير هذه الحركة العظيمة بعين ساهرة حكيمة وان هذه القوة هي الخالق سبحانه وتعالى · وكل ذلك باسلوب رشيق وتقسيم قريب المتناول فنحث الجميع عَلَى مطالعة هذا الكتاب كما اننا نلفت اولياء المدارس الى وضعه بين ايدي تلامذة صفوفهم العليا وهو يطلب من مكتبتنا الوطنية

المجلة الطبية العلمية : لهذه المجلة مقام عال في عالم الطب شرقاً وغرباً بما تثبته من الابحاث الطبية الجليلة وتنشره من الآراء المستندة الى معارف واختبارات رهط كبير من مشاهير الاطباء · وقد سارت في سنواتها الثلاث الماضية شوطاً بعيداً في مدارج الرقي وها هي اليوم تبدأ سنتها الرابعة والهمة والنشاط رائدا صاحبها الطبيب الاديب الدكتور فؤاد غصن في بيروت · فنهنيء الرصيف بمجلته ونتمنى لها سعة الانتشار الذي يستحقه جهاد صاحبها ·

الاقدام : جريدة سياسية ادبية لطيفة ظهرت جديداً في

حديثاً لصديقنا الاديب السيد يوسف عازر سلوم وصدر منها لهذا التاريخ اربعة اجزاء في صدر كل جزء منها صورة ترمز الى بعض النقائص الاجتماعية · ومن مضامين هذه الجريدة بعض انتقادات وقطع ادبية وفكاهية وقصص صغيرة فضلاً عن الاغاني العامية التي تسمع جديداً على المسارح وتتداولها الالسن · فنتمنى للاقدام الرواج الذي يستحقه ادب صاحبها ·

حسن التذكار : خطب بمواضيع متفرقة تثقيفية القاها حضرة الاديب المعروف السيد جرجي باز في مدرسة الثلاثة اقمار في بيروت وجمعها في هذا الكتاب فجاءت مجموعة ادب وحكم يجدر مطالعتها وقد خصص حضرته ريع كتابه لتعليم يتيم في مدرسة فحيا الله رجال الفضل ·

ذخائر المحفوظات : اهدانا حضرة الاديب الكبير الاستاذ انيس الخوري المقدسي نسخة من الطبعة الخامسة من هذه المجموعة النفيسة التي تحوي نخبة من عيون الخطب والقصائد القديمة والحديثة ويليق بالمدارس وضعها بين ايدي تلاذمتها. فنشكر للاستاذ هديته ونحث المدارس على اقتناء الكتاب

ضاق المجال عن الاشارة الى كل المطبوعات الجديدة التي اهدانا اياها اصحابها الادباء فالى الاعداد القادمة من سنة الزهرة الجديدة

حديث المائدة (تابع)

الفصل الخامس عشر

الخارق الطبيعة فى الدين

جاء في احدى الرسائل الموضوعة امامي قول احدهم « يصعب علي الايمان بالخارق الطبيعة . اني اعتقدت مرة بالمسيح الى حد اني اذا لم اكن مستقيما في النهار لم استطع التقرب اليه في المساء » لا شك ان هذا الكاتب ينطق بلسان كثيرين من شبان هذا العصر . ولكن ما وجه الصعوبة بالايمان بالخارق الطبيعة . ان تنيسون لم يره صعبا حين قال « ان الموت غير ممكن ولكن فناء الذاتية هي الحياة الحقيقية » ولكنك تقول هذا خيال شاعر لم يعان شيئا من حقائق العلم ، فليكن كذلك مع ان تنيسون كان من المائلين الى العلم ومن اعلم الناس بحقائقه . فاسمع ما يقوله رجل آخر وقف حياته باجمعها على العلم وهو اديسون العلامة المشهور واعظم مكتشف في هذا العصر ، قال « لا يسع من اطلع على اسرار الطبيعة او درس علم الكيميا الا ان يعتقد ان وراءها كلها فكرا ساميا اني مقتنع بذلك وانه ليخطر له اني ساتمكن يوما ما من التعليل عن ذلك الفكر السامي بعملية من عمليات النواميس الطبيعية كما اجرب عملية رياضية »

ان وجود الله هو مفتاح كل ما وراء الطبيعة ، فاذا اعتقدنا بوجود الله لم نرَ صعوبة في الاعتقاد بالخالق او بالملائكة او بحالة الانسان الابدية وعمله اللانهائي

احرِ بنا في مثل هذه الصعوبة ان نسمع ما يقوله كبار المفكرين . ان كل الصعوبات التي يجدها « الانسان الطبيعي » كما يسميه مار بولس ، في الدين تلخص في امرين الاول انها فوق العقل والثاني انها فوق الحس

ما هو العقل ؟ هو آلة عجيبة بها يقيس الانسان ويميز بين الامور ويستنتج نواميس للاخلاق والاداب يجري عليها . هكذا عرفه داروين . لكن مار بولس قبل عصر داروين بكثير اظهر انه من المستحيل عليه ان يبرهن لعقول سامعيه على حقيقة ما نادى به ، وذلك لان الحقائق التي جاء بها لا تدركها العقول فان العقل لا يعرف شيئاً عن القيامة ولا عن الخلود ولا عن حياة الانسان بعد الموت . وهذا ما عناه هكسلي لما قال انه غير مؤمن . ولكن من الجهة الاخرى لم يقل احد من ارباب الحجى ان العقل يدرك كل شيء او انه لا يقع في الخطأ او لا يخدع صاحبه على انه ليس بين العلوم كلها ما يوصل الى حقائق راهنة سوى الرياضيات . اما دارس علم الحياة فيعترف بان اعظم ما اكتشف

في الحياة لم يصل الى ما يقرب من استجلاء غوامضها . وقد سلم رجال اعلام مثل يوحنا ستورت مل وداروين وهكسلي بانه من المحتمل وجود شيء وراء الطبيعة اي انواع من الحياة والقوة لا يدركها العقل . وقد قال احدهم « ان كثيرا في السماء والارض لم يتصل اليه العلم ولا حامت حوله الفلسفة » هذا اذن جواب الامر الاول : اذا كان شيءٌ لا يقع تحت مدركات العقل فليس من الضروري ان يكون خطأً ، لانه فيما سوى الرياضيات ليس لاحد ان يقول بما يمكن او لا يمكن

الامر الثاني ان الدين خارج عن دائرة المدركات بالشعور . ذلك صحيح لانه مهما حدقت العين في هذا الفضاء الواسع لا ترى اثرا لسماء ، ولا عينا لملاك او لشيطان ، ولا شبه اثر لقوة روحية او حياة ما . ولكن عَلَى اي شيء يدل ذلك ؟ ذلك انما يدل على ان حواسنا صالحة الى حد وانها قاصرة وراء ذلك الحد . اننا لا نرى النجوم الصغيرة ولكنها موجودة ولو لم نرها لان المقرب يرينا اياها . ويستنتج من ذلك اننا نعرف من الكون ما نقدر على رؤيته اما ما سوى ذلك فاننا ولو لم نره فهو كائن . افبعد هذا مجال للريب في ان القول بان لا تراه العين ولا تسمعه الاذن ولا يدركه عقل الانسان غير كائن جهل فاضح وضلال

مبين ؟ لانه يجعل حواسنا الطبيعية حكما على هذا الكون مع اننا نعلم ان حواسنا مهما ارتقت هي قاصرة وان لكثير من الحيوانات الدنيا حواس احدّ وامضى

اذن كما ان ذا الحجى يسلم باحتمال وجود اشياء كثيرة لا يدركها العقل هكذا عليه ان يعتقد باحتمال وجود اشياء كثيرة هي وراء ادراك الحواس لا نعلم عنها شيئا . وان لمن اشد الناس جهلا من يقول اني لا اصدق ما لم ارَ بعيني وان ما لا تدركه حواسي لا وجود له .

او ليس حجة دامغة انه مع كل تقدم العلم وغرائب تجاربه في الربع الاخير من القرن الماضي لم يمكن احدا من العلماء ان يبين ما هي نفس الانسان او روحه . اننا نسلم بشيء من التطور الطبيعي ويخطر لنا احيانا ان نقول ما قاله هكسلي بهذه المناسبة « انه ليس من العار ان نكون قد نشأنا من قرد لو ارتقينا عنه بعد ذلك ارتقاء بينا » ولكن اعظم القائلين بالنشوء لم يظل كما كان . واذا كان العلم قد ميز بين شيء وشيء فقد ابان ان المسافة بين الانسان وسائر المخلوقات الحية لا حد لها . ان للحيوان الاعجمي غرائز ولكنه يندر ان يرتقي عن تلك الغرائز . نعلم ان السنجاب يبني وكره والخطاف عشه كما فعلا منذ قرون ولكن الانسان له قوة

الحافظة والذاكرة فهو يفكر ويحلل ويحفظ ويضيف جيلا بعد جيل الى كنوز المعارف ويورثها لنسله من بعده فيرتقي كل جيل عن الحد الذي وصل اليه سابقه. وهذه القوة الحافظة في الانسان لا حد لارتقائها. فمن اين اتته هذه القوة. وما معنى وجودها في مخلوق يشبه كثيرا غيره من المخلوقات فتزينه وتكسبه فخرا ومجدا؟ عند هذا الحد يسقط مذهب الماديين لان هذا المذهب يعلل عن الجسم ولكنه لا يعلل عن الروح يعلل عن كيفية تفكير الانسان ولكنه لا يعلل عن كيفية نشوء الفكر. يفسر عمل الدماغ وهو آلة الفكر ولكنه يعجز عن تبيين ذلك الشيء الذي وراء الدماغ العامل فيه كما يعمل الموسيقي في آلته الموسيقية. والمادية قد صلت بذلك رغم انفها واقرت بعجزها عن التعليل عنه

وكما ابت المادية التسليم بوجود نفس للانسان هكذا ابت ايضا التسليم بخلود تلك النفس. ما انا ممن يجهل ان كثيرين يقولون بان خلود النفس مجرد اعتقاد لا غير، ولا انكر انه لا يمكن اقامة الدليل عليها، ولكن اليس من المدهش ان نرى ان هذا الاعتقاد كان علة تعزية وسلوان لملايين من البشر في قرون متعددة، وان لا شيء قوي على انتزاعه من القلب البشري. ثم اذا ذكرنا انه لم يعتقد به البسطاء وعديموا التفكير والجهلة

الذين انما يعتقدون بشيء لان غيرهم يعتقد به ويعرضون الحقائق على العواطف والاوهام والخيالات بدل ان يعرضوها على الفكر الممحص ؛ بل على عكس ذلك نرى اعاظم الرجال ومشاهير المفكرين ونوابغ العصر من ايوب الى افلاطون ومن افلاطون الى تنيسون وبروننج وغيرهم من اهل الفكر وزعماء الهيأة الاجتماعية الذين قابلوا الموت وهم يرددون قول تنيسون «انك لا تتركنا في التراب . انت خلقت المرء وانت عادل» واني ليقشعر بدني كلما رددت هذه الكلمات وعرفت انها صدرت من اعماق قلب شاعر درس الحياة درسا عميقا ولم يكن يستخف بالعلم وانواره الساطعات . ثم ان الكثيرين ممن رفضوا الايمان ماتوا وعلى افواههم هذه الكلمات التي قالها احدهم «اني لا اجد ما يخشى بل اجد كثيرا مما يحملني على الرجاء والامل»

على ان في طبيعتنا ما يحمل حملة شعواء على المادية . لا شك ان كلامنا «احس بوجود اللانهاية في لحظات نادرة» ولا يظن ان هذه اللحظات مجرد اوهام لمجرد كونها نادرة ؛ لان الانسان لم يعش قط في جيل من الاجيال كمخلوق مادي . لم تعش امة تحت السماء الا وكانت الصلاة معروفة عندها ، والصلاة تدل على وجود قوة غير محدودة وغير ظاهرة ولم تعش امة في هذا

الكون الا شعرت بسعة الحياة وكبرها ورغبت في اتباع ما يسمو عَلَى ما في هذا الكون · ولم توجد امة الا دفنت موتاها معتقدة ان القبر ليس هو نهاية كل شيء بل ان وراء الجسم المادي روحا لا يمسها الموت ولا يحل بها ما يحل بالجسم من الانحلال ونحن نعلم ان بين الشعوب العظيمة كاليونان والرومان والمصريين كان هذا الاعتقاد شائعا كما تدل عليه قبورهم واشعارهم واديانهم ويمكننا القول انه كلما ارتقى الشعب ازداد للمادية انكارا وللخلود تعزيزا — وبعد هذا وذاك لا ارى برهانا آخر وليس ثمة حاجة لآخر فيما اعلم

ولنسأل هذا السؤال: هل يثبت العلم وجود الله او ينفيه؟ قبل خمسين سنة شاع الاعتقاد بان العلم قوّض اركان الدين ودكّ شعائره، وظل هذا الاعتقاد شائعاً مدة طويلة وهذا سبب عداوة رجال الدين للعلم · اما الذي يظهر لي فهو ان نتيجة العلم كانت غير ذلك تماماً، لانه جعل وجود الله حقيقة ثابتة وجعل ذلك من مقتضيات العقل البشري · غير ان كل ما عمله العلم بعد تقديراته ومفروضاته واكتشافاته انه اوقفنا عند درجات المذبح المكرس للاله المجهول، لانه وان كان قد اشار الى العوامل العجيبة الغير المحدودة التي تنشيء الحياة ووظائفها الا انه عجز عن تعريف

الحياة وتبيين اصلها، ومع انه بين كما قلت سابقا عمل الدماغ فقد عجز عن تعليل كيفية نشوء الفكر والتصور والخيال والشعر، ومع انه دخل بيت الحياة وفتح كل باب من ابوابه الا انه لما وصل تجاه باب الغرفة التي يسميها رجال الدين غرفة النفس اعترف بالعجز والجهل . وما هذه النتيجة بالمستغرب . اليس من المدهش ان يكون دارون قد افتتح كتابه الموسوم « باصل الانواع » بقول قاله الاسقف بطلر وهو « ان معنى كلمة طبيعي ثابت غير متغير، وكما ان عمل ما هو ثابت وغير متغير يقتضي بالضرورة وجود عامل مفكر هكذا ايضا عمل فعل واحد او عمل ما هو فوق الطبيعة يقتضي وجود عامل مفكر» ولو تأمل الناس في هذا القول الذي بنى عليه دارون كتابه لما سقطوا في مذهب الماديين . اما انا فاعتقد ان المادية قد مر دورها وانقضى سلطانها، لان الرجل المفكر لم يعد يقتنع بهذا الفكر الضيق . وقد لا يمكنه ان يعرف ما وراء الطبيعة ولكنه يعتقد بان لا بد ان يكون وراءها شيء وان في الكون قوة لها مدبر، وهذه القوة هي التي ندعوها الله . اذن يكون العلم قد خدم الدين خدمة جلّى بجعله الاعتقاد بوجود الله من مقتضيات العقل البشري

واني اختم هذا الفصل بايراد بعض الحقائق هدًى للذين

يرتبكون في مثل هذه المباحث

(١) ان كان في الايمان صعوبة ففي عدم الايمان (الالحاد) صعوبات. وقد جاء على هذه الحقيقة الشاعر براوننج اذ رأى ان من الصعوبة ان يكون الانسان مسيحيا ثم وجد انه من الاصعب ان لا يكون الانسان كذلك

(٢) ان وجود مدبر الهي لهذا الكون اكثر احتمالا من عدم وجوده. وهذا الامر واضح من تراجم رجال العلم وغيرهم

(٣) ان الايمان ليس فعلا من افعال العقل بل من افعال النفس والارادة والميل، وقد يشك العقل في امر ولكن النفس لا تجد صعوبة في الاعتقاد به وقد بين السيد المسيح ذلك فى جوابه لمن قال «أومن ياسيد فاعن ضعف ايماني» والكتاب يبين بوضوح ان الايمان فعل القلب لا العقل. فاياك اذن والفكر انك يجب ان تعقل الامور قبلما تؤمن وتخلص. ان الايمان لا يمس من العقل

(٤) سواء اعرفنا ام لم نعرف يمكننا ان نعمل ما يجب علينا والدين الطبيعي يسلم بذلك، ففي هذا الامر لا يمكننا ان نخطئ. واذا عملنا ما يجب علينا حصلنا على الاقل على اطمئنان البال بالرغم من ضغط الصعوبات العقلية

(٥) لا نضطرب وترتبك من جهة المستقبل . لما سأل السيد المسيح احد المستفهمين المتحيرين « اقليل هم الذين يخلصون » خرج عن مقتضى الظاهر واجاب « اجتهد ان تدخل انت » ليتغلب العمل فيك على التساؤل . اما انا فلي آمال من جهة مستقبل الحياة الاجتماعية مفعمة بالارتياح ، واظن انها ليست بدون اساس ، ولكني لا ارى اطالة الشرح فيها ، ويحسن بنا ان نترك امثال هذه الاسئلة

هذه مبادئ بسيطة جدا وربما ظن انها بديهية ولكنها كافية لاخراجنا من حمأة اليأس اذا اعتقدنا بها ٠ وعلى كل فقد وجدت انا فيها راحة للفكر واطمئنانا للبال ٠ وعسى ان تكون كذلك لكثيرين ممن يقرأون سطوري هذه .

الفصل السادس عشر

هل يصلي الشبان

تلك مسألة يتعذر الجواب عليها . لانه من لنا بالوسائل التي تمكننا من معرفة ما اذا كان الشبان يصلون اولا ، وكيف يمكننا الحكم الاجمالي على امر كل ما لنا من المعرفة عنه نتف متفرقة لا يصح الحكم عليها . ولذلك اجابة لهذا السائل اذكر صفحة من تاريخ حياتي

اني تعلمت ان اصلي وانا ولد صغير ولكني ما لبثت ان وجدت ان الصلاة امر عادي لا غير فاخذت ارغب عنها · ولما صرت شابا اعتراني رعب من الخطية التي كنت مندفعا اليها فعادت الي الرغبة في الصلاة· وكانت اذ ذاك عبارة عن نفثة مصدور وزفرة متضايق وأنة متألم ، ولا انكر انه يصعب عَلَى الفتى ان يصلي اذا كان ساكنا مع من يستخفون بها و يسخرون من المصلي ، ولكن نفس هذه الظروف هي التي حملتني عَلَى الاصرار عَلَى الصلاة اولا لاني لا احب ان اكون من الجبناء الذين يتركون عمل الواجب لسبب هزؤ غيرهم بهم ثانيا لاني شعرت انه وان كانت الصلاة ليس لها نفع ظاهر الا اني ارتحت اليها كقضاء واجب ، ثم اخذت ارى شيئا فشيئا ان الصلاة وان لم تفعل لي شيئا من الخير فقد فعلت كثيرا في حياة من اعرفهم ، فاني سمعت المعدنين والصيادين يصلون كأنهم يشاهدون السماء مفتوحة فشعرت كأن روحي تنسحق اخيرا عرفت ان الصلاة اقرار بعظمة النفس وفرصة لاظهار ما يكنه الضمير· وما احلى ما يشعر به المصلي من الاطمئنان الناشئ عن معرفة الخير والسير في سبيله ، وشعرت احيانا وانا اصلي اني كنت اخاطب الله بحرية وحصلت عَلَى الهدى الروحي في اوقات الصعوبات· واني لمتحقق

الآن ان للصلاة فاعلية لم يحلم بها هذا العالم حتى الآن

ولذلك فاني انصح الشبان ان يثابروا على الصلاة ولو كانوا لا يعتقدون باهميتها وليذكروا ان لا بد من فائدة في الصلاة جمعت قلوب العالم كله مجمعة على ممارستها ، لانه حيثما وجد انسان وجدت ثمة حاجة للصلاة ، وبسبب تلك الحاجة قامت كل الاديان . وان اعتدت ايها الشاب على الصلاة فلا بد ان يأتي وقت تشعر فيه كما شعر العالم قبلك . وليس من الضروري ان تستعمل كلمات فان مجرد السجود صمتا امام الاله الازلي يقويك باطنيا . لا تستخف بها لئلا تندم ، ولا تكن جبانا فترغب عنها بسبب هزء الاخرين وسخريتهم ، وان فعلت اضررت بنفسك اسوء اضرار . قال بطرس بولر ليوحنا وسلي ان يبشر بالايمان وان لم يكن من المؤمنين ففعل الى ان اصبح من عدادهم فاجر انت كذلك في الصلاة ، صلّ وان كنت لا تشعر ببركة الصلاة . صل الى ان تصير تشعر بالصلاة

لقد كان للصلاة شأن كبير في كل الاديان ، فان ابراهيم صلى من اجل سدوم ، والمسيح امر بالصلاة وصلى هو نفسه . وان كنت من البوذيين او من الزرواستريين فانك ترى نفس الامر هناك ، ذلك لان اسبابا في طبيعة الانسان نفسها تحدوه

علَى الصلاة اذ لا بد من طريقة يتمكن بها المخلوق من مخاطبة الخالق الغير المنظور . فلماذا اذن ترى الاعتقاد بالصلاة صعبا ؟ ذلك لاننا في ضلال مبين

ان من جملة الاعتراضات علَى الصلاة انها عبارة عن تحويل ارادة الله الي مافيه صالحنا. وقد ذهب هذا المذهب الاستاذ تندل. ولكن ذلك خطأ فان غاية الصلاة ليست تحويل ارادة الله الى ما فيه صالحنا بل تحويل ارادتنا الى ما يوافق ارادة الله . قال تنيسون الشاعر المشهور " كل منا حر الارادة بمعنى انه بامكانه ان يحولها الى ما يوافق ارادة الله "

ورب معترض يقول " اذا كانت ارادة الله من نحو الانسان صالحة فما فائدة الصلاة ؟ ان هذا الاعتراض يجعل الله مجرد ارادة ميكانيكية لا ذاتية ، وانت ترى ان بين التعبيرين تناقضا . لاننا لا يمكننا ان نفتكر بارادة دون ان نفتكر بذاتية ، فاذا كانت الارادة تقتضي الذاتية وسلمنا بذلك تنشأ فينا حالا حاسيات وعواطف جديدة. لكل شخص اخلاق ونحن لا نحصر اهتمامنا في ارادته بل نفكر ايضا في اخلاقه ، وبما اننا اشخاص ولنا ذاتية نعتقد بامكان التخاطب بيننا وبين تلك الذاتية الالهية ، وذلك التخاطب هو الصلاة . فالصلاة اذن ليست مجرد رسم خارجي

او طقس كنسي واغاهي انسكاب النفس البشرية امام خالقها

وهناك خطأ آخر من حيث الصلاة ، وهو استخدامها لالقاء التبعة على الله بدل القائها على انفسنا. يذكر كثيرون ما فعله كنسلي لما كانت الصلاة تقدم الى الله لازالة الكوليرا اذ رفض ان يصلي لانه اعتقد ان سبب وجود الكوليرا الانسان لا الله ، لانها لم تكن افتقادا الهيا بل ناشئة عن جهل الانسان ، فان الله قد ضبط هذا العالم بنواميس طبيعية ثابتة لا تتغير وكل من تعدى تلك النواميس تحمل هو نفسه تبعة مخالفتها لا الله ، ولم تكون تلك الصلوات الا عبارة عن الطلب من الله بان يغير تلك النواميس الطبيعية ، والدين غير مضاد للطبيعة لينظف الناس مساكنهم وما حولها وليهتموا بمسائل النظافة في الاكل والشرب وليتبعوا القوانين الصحية فتزول الكوليرا ، وكل المفكرين اليوم يوافقون كنسلي على رأيه

غير ان الذي يجعل الصلاة موضوعا صعبا على طبع المفكر هو ان الذين يستعملونها يرغبون في جر المنافع الى انفسهم من ورائها ، ذلك لانهم يصلون من اجل انفسهم واولادهم واصدقائهم واشغالهم وبكلمة اخرى يريدون ان يحصلوا بواسطتها على نعم ليست لغيرهم . ومما يدهشني كيف لم يلاحظ هؤلاء عبارات

الصلاة الربانية وهي مثال الصلاة الذي علمه الرب لتلاميذه . فلننظر ما هي المبادىء التي تدور عليها تلك الصلاة . ان الاربع عبارات الاولى عبارة عن رفع النفس الى الله وتحدثها بصفاته وكمالاته ورغبة النفس الطاهرة السامية في رؤية ملكوت الله ناجحا وشريعته البارة مكملة . وعبارة واحدة فقط تتعلق بالاحتياجات الجسدية وهي اقل الطلبات وابسطها اي القوت الضروري اليومي ، والثلاث عبارات التالية تتعلق بالحاجات الروحية وهي الغفران والنجاة من التجربة والشرير ، والعبارات الثلاث الاخيرة هي عبارة عن نغمة الهتاف وهي تشابه العبارات الافتتاحية . ترى اذن ان الصلاة هي عبارة عن بيان التشوق الى الله والرغبة في طاعته

بقي امران مهمان لا بد لي من كلمة فيهما . قيل ان قيمة الصلاة وصحتها تتوقف على نتائجها ، والذي ذهب هذا المذهب جورج مردت قال « كل من وقف على ركبتيه وهو افضل مما كان قبل السجود تكون صلاته قد استجيبت » . ذلك بعض الحق لا كله ، ولكنه امر مهم بالنظر الى الصلاة ، لان الذي يكون قد اخضع نفسه لله في صلاته يكون قد نال جزاءه في اطمئنان القلب الذي يشعر به .

وهذا يحدوني على الكلام عن استجابة الصلاة· ان استجابة الصلاة امر لا تقام عليه الحجة بل يرجع فيه الى الاختبار· وما جواب الاختبار؟ جوابه الا يجاب· فان تاريخ ملر دليل واضح على استجابة الصلاة· وقد حدث المستر كارل موسس مدارس الايتام في اسكوتلندا عن نفسه قال انه لما ابتدأ عمله كان فقيرا جدا ولم تمر عليه سنة حتى نفد كل ما عنده وضعفت قواه ووهن عزمه حتى اضطر الى العمل لتحصيل قوته ولم يستطع اقتصاد شيء للمدارس التي اسسها، ولكنه صعب عليه ترك عمل وضع فيه كل رغائبه وامياله، فاخذ في الصلاة الحارة لكي يفتح الله عليه· واسمع ما قاله حينئذ في صلاته بهذا الخصوص «لست ادري اذا كان يجب علي ان امضي في عملي هذا او اتركه، لست ادري اذا كان يجب علي ان اترك عملي الخصوصي الذي احصل منه رزقي لكي اقوم بهذا العمل المبرور الذي لست ارى من اين تكون موارد القيام به، ولو كان بين يدي الفا ليرة لامكنني القيام به· يسر لي اللهم الفي ليرة فاعلم ان ارادتك ان اقوم بهذا المشروع» وقد يسر الله له هذا المبلغ عن يد احد اصدقائه· هذا وقد دوّن الاختبار امثلة كثيرة لهذا الضيق الشديد الذي عقبه الفرج بعد الصلاة ليس فيها مجال الريب البتة· وقد روى

صبرجن حوادث كثيرة مثل هذه. حقا ان استجابة الصلاة امر محقق لا يرتاب فيه كما لا يرتاب في ناموس الجاذبية .

الفصل السابع عشر

بعض الشكوك الدينية

يلومني احد مكاتبي لاني قرظت كتابا لفرود فقرأه ورأى فيه ما شوش افكاره وزعزع عقيدته فاقول: ما من كتاب الفه احد المفكرين الا زعزع الفكر من جهة، ولعل اهم عمل المفكر الحقيقي واعظم خدمة يقدمها للعالم هي ان يجعلنا نشكك في شيء، فيحملنا علَى الفكر والتأمل . الا نبتدئ في كل آرائنا بالشك وننتهي باليقين، فالشك اذن من اول مميزات العقل المفكر . فلو لم يشك كوبرنيكوس بعلم التنجيم عند القدماء لخسرنا كل ما اكتشفه في علم الفلك الحديث، ولو لم يخامر كولمبوس الريب في علم الجغرافية في ايامه لما اكتشفت اميركا . وانك لترى لدى التدقيق ان الشك كان منشأ كل الاكتشافات والاختراعات حتى انه يمكننا القول ان الشك اول مراتب اليقين . والاعتقاد الديني كما قال مرقس دودس ان هو الا « اعتقاد بالموجود الغير المنظور » فالاولى بنا بدل ان نخاف منه او نرغب عنه خجلا ان

نرحب به كحديث من احاديث العقل المفكر ، وان نجد فيه دافعا يدفعنا الى الحملة عَلَى الجهل الى ان يستتب لنا الايمان والمعرفة

ومع ذلك يلومني الكاتب المشار اليه لاني وضعت بين يديه كتابا ادّى به الى اضطراب بال شديد . صحيح ان المقال الذي يشير اليه ينتج مثل هذه النتيجة ، لان فرود كانبها مر في معمعة هائلة هي الحركة الفكرية في اكسفورد فاثرت فيه ولم يذهب تأثيرها منه في كل حياته ، وكانت النتيجة انه اصبح من القائلين بكفاءة العقل دون الوحي . وعندي ان كل من اراد ان يكون له ايمان حي حقيقي يجب ان يطلع عَلَى الجهة التي اطلع عليها فرود . واذا اغفلها خسر خسارة جسيمة ' لان الذين يعتقدون اعتقاد فرود يعدون بالجماهير ، ومن الحق صم الاذن عن سمع كلامهم . ولكن اي تأثير يجب ان يكون لفرود علينا ؟ انه يلقي في اذهاننا بذور الشك والارتياب ، ولكننا اذا كنا من ارباب التفكير نجد في كلامه دافعا يدفعنا الى التفتيش عن الحق وورود مناهله . وهذا هو التأثير الذي حصل لصاحبنا المذكور اذ يقول - « كان من نتيجة قراءتي ذلك المقال ان انزعج فكري فاندفعت افتش عن الحقيقة وانشد الحق الصراح ، فراجعت كل ما لدي من كتب البينات الدينية واعدت مطالعة كتب بالي ووسكوت

وكتبا اخرى لم اكن قد طالعتها قبلا ' وانتهى بي الامر الى ان الفت مقالة في صحة الاناجيل الاربعة دحضت فيها اقوال فرود »

حقا ان هذا الاعتراف لمن اعظم الادلة عَلَى صدق قولي فقد اصبت اذن في توجيه افكار هذا الشاب الى مقالة فرود وخدمته خدمة عظيمة لانه يعترف انها كانت السبب في تفكيره تخلصته من جمود الذهن الذي استولى عليه وارسلته في سبيل التفتيش عن اسس الحق

ان اعتقاد الانسان الحقيقي هو ما يصل الى تحقيقه بنفسه . لا يمكننا ان نرث عقائد الايمان وراثة وانما نكتشفها لانفسنا اكتشافا . ان من اول قوانين القيادة الاطلاع عَلَى حركات الخصم ، ومن اهم شروط الافحام معرفة ادلة الخصم . اما قانون الايمان الذي يزعزعه كتاب او الذي لا يثبت الا اذا امتنعنا عن قراءة هذا الكتاب او ذاك فما هو بالقانون الصحيح . ان ذلك شبيه بفعل النعامة الحمقاء التي تخبئ رأسها في الرمل لكي لا ترى عدوها . واذا اشترطنا في قراءة الكتب عدم زعزعتها لآرائنا فلا نطالع كتبا قط . ان طريق الوصول الى الاعتقاد الصحيح هو التفتيش عنه وانما يتسنى لنا ذلك بطلب الحق وبالاخلاص للحق وحده

ولا يفت طالب الحقيقة انه لا بد له من المرور بطريق الشك. ولكن الشك الحقيقي جدٌ، وان احسن تدبره لا يؤدي به الى الاستخفاف والهزء بالكتب المنزلة بل يدفعه الى التفتيش عن الحقيقة اينما كانت. فاذا سرنا في طريق الشك هذا فلا بد ان نتوصل الى رؤية النور وسط ذلك الظلام

ثم يقول مكابي المذكور «ان الامور التي اتيقنها هي وجود الله، وانه على كل شيء قدير، وان واجب الانسان الاعظم هو سلوك سبيل البر» وعندي ان هذا الاعتقاد اساس قويم. ومن الخطأ ان نحكم على الاعتقاد بسعة مواضيعه وكثرتها ونغفل امر رسوخه وتعمقه. ان اعتقادات اعاظم الرجال كانت مؤلفة من حقائق قليلة ولكنهم كانوا على يقين منها. قال احدهم سافونا رولا «اننا نعتقد بما نعمل به» ولو حكمنا على اعتقاداتنا بهذا المبدأ لوجدناها قليلة جدا ولرأى البعض انهم خلو من كل اعتقاد، لانه من المعلوم ان لا انسان يعتقد بكل ما يعتقد به بقناعة متساوية فانه يعتقد تمام الاعتقاد ببعض المبادئ، وفي بعضها يقف موقف الترجيح او الشك، وبعضها لم يفتكر به ولا تساءل عنه قط. كل انسان يعيش بحسب النور الذي له، على ان ما نحتاج اليه كلنا ليس زيادة في النور بل اخلاصا للنور الذي لنا. ومن المعلوم

انه اذا كان الانسان امينا لما له من النور فان ذلك النور يزداد سطوعا له، لانه يتدرج اذ ذاك مما يعرفه حق المعرفة الى ما لا يعرفه او كان غامضا لديه. وما انا من ينكر ان الايمان الذي ذكره الشاب مختصر ومحدود لانه يحتوي على ثلاث عقائد فقط، ولكنها هي كل ما اعتقدت به الامة اليهودية، ولا يزال لها تاثير عظيم فيها، وهي اساس كل نواميسها الادبية. حقا ان الاعتقاد بالله وانه على كل شيء قدير وان اهم واجبات الانسان سلوك سبيل البر لهو اعتقاد سام وشريف وقانون فعال، واذا روعي في الحياة حق المراعاة اوصل الى سائر القوانين

ومما عرض علي من الاسئلة قول احدهم «لماذا لا يحفظني الله طاهرا؟ لماذا يسمح الله بالهموم والكآبة؟ لماذا تلقى علينا تبعة آثام آبائنا؟ لماذا يسمح الله بان توجد فينا العواطف التي تؤول بنا الى الردى؟ ان الجواب عَلَى هذه الاسئلة هو ان الحياة تعليم وتدريب. وهذه الامور كلها تخدم هذه الغاية. لسنا آلات متحركة او خشبا مسندة. لا يحملنا الله على الطهارة حملا، ولا يكرهنا عليها اكراها. لنا سلطة عَلَى انفسنا، فاذا اردنا ان نكون طاهرين فعلينا ان نقصد ذلك ونسير عليه. اليس ذلك افضل لنا من ان نرغم ارغاما بقوة لا تترك لنا فرصة للعمل؟ لا شيء في تاريخ النشوء

اوضح من ان ما كنا نظنه شقاء الحياة وجد انه من بركاتها خذ الطقس مثلاً · لنفرض انه عوضاً عن ايام العواصف الباردة والزمهرير القارس كان الطقس هادئاً جميلاً حين لم يكن للناس من عمل سوى التمشي في اشعة الشمس ، نقاضي الطبيعة بان تجود بما يملأ البطون · وماذا تكون نتيجة ذلك على الناس . انهم بلا شك يهلكون · ولو عاش الانسان في طقس صارم وتربة مجدبة لاكره على مغالبة الطبيعة وحاز قصب السبق عليها ، لانه كلما لانت الطبيعة ضعف الانسان · اما صرامتها فتربي في الانسان صفات الجد والدأب والنشاط وقوة الارادة وشدة العزم وهذه الصفات هي التي توجد الامم العظيمة · وكذلك الامر في الاخلاق فاننا اعطينا العواطف الرديئة لكي نتغلب عليها فنصير رجالاً ونحرز الظفر ، فهي اشبه بالاثقال في الالعاب الرياضية التي يعاني الانسان رفعها فيجاهد ويعرق فتقوى عضلاته . فعوضاً عن ان نلوم الله على ما اعطانا لنلم انفسنا ، وعوضاً عن ان نجازف بالقول لماذا لا يحفظنا الله طاهرين لنجمع قوانا كلها ولنتغلب على ما فينا من النقائص · ولرؤوس الجبال وارض سويسرا وطقسها الصارم احب الي من جزائر الباسيفيكي لان هذه تميت الانسان كسلاً اما تلك فتنشأ محبي الوطن وابطاله ·

ولقد صدق من قال

وفيك من الارض التي انت ساكن

طبائع منها مزدرى وجليل

فني نفس سكان الجبال مناعة وانفس سكان الهول سهول

وهذا هو الحال من حيث الوراثة · من الاقوال المكروهة لدي ما قاله احدهم «ان سلسلتي الفقارية الموبوءة نتيجة ما جناه ابي علي» لان ذلك بعض الحق لا كله ، لاننا كما نرث الصفات الذميمة نرث ايضا الاخلاق الحميدة · وفضلا عن ذلك فان علماء الالمان يقولون ان الناس يبالغون كثيرا في تقدير الشر الموروث لانهم لم يحسبوا حساب التأثير الذي تفعله التربية الجيدة في اسوء الناس تربية واكثرهم وراثة للشر

اذن الحياة تعليم وتهذيب · اننا لا ندخل العالم كاملي الصنع بل نصنع ذواتنا ، والعاطفة التي تردينا يمكن ان نستخدمها كدافع يدفعنا الى التغلب عليها وتحويلها الى خير لنا فهي اشبه بالنهر الجاري بعد اندفاع شديد الذي يستخدمه الناس لتحريك دواليب مطاحنهم ومعاملهم فيصير قوة توجد لنا الخبز والثياب · هل رأيت ولدا يطير طيارة ؟ ترى الطيارة تحلق في الرياح المضادة وكلما تمكن الخيط المشدودة به اشتدت مقاومة

الطيارة وعظم ارتفاعها . وهذا هو حالنا. اذا كانت طيارتنا مرتخية الخيط تقع لان ليس هناك قوة مقاومة كافية ، واذا لم يكن للناس صعوبات في الحياة يجاهدون تحتها فقدوا ما يشحذ قواهم للمقاومة والدفاع فيسقطون في طريق الحياة

الفصل الثامن عشر

المحبة للمسيح

امامي كتاب مهم بعث به الي بعض الشبان المخلصين وهو ينطوي على سؤال خلاصته ما هو المقصود بالمحبة للمسيح ، ولماذا تكون هي اهم باعث عَلَى خدمة الانسانية ، ولماذا لا تكون العاطفة الانسانية باعثا عَلَى خدمة اخوتنا في البشرية كافيا دون الاتجاه الي المسيحية !

الظاهر من هذا السؤال ان المسيحية تجعل المحبة للمسيح الباعث الاعظم عَلَى خدمة الانسانية ولا تعتبر باعثا اخر غير ذلك كافيا. ولكن مكاتبي يشير الى غيرها من البواعث التي يعدها افضل ويتطلب اعتمادنا اياها. ويستنتج من كتابه ان هناك باعثين اولهما المحبة للحق والرغبة في نشره والثاني محبة الانسانية لذاتها . لا شك ان هذه عواطف سامية وقد امتدحهما كثيرون من

الفلاسفة ولذلك يجدر بنا ان نتفحصها

فلننظر في الباعث الاول وهو المحبة للحق والرغبة في نشره٠

واول ما نقول ان لنا عليه ماخذين الاول ان محب الحق الفلسفي او الحقيقة المجردة نادر الوجود٠ ويظهر لنا ذلك جليا اذا نحن التفتنا حولنا بين معارفنا فانا نجد ان قليلا جدا هم الذين يعيرون الحقيقة المجردة اقل اهتمام٠ كم من معارفنا يهتمون مثلا بآراء افلاطون وفلسفته٠ اليس من النادر وجود مفكر يلذ له الفكر السامي ويتحول عن سبل المسرات البشرية العامة الى التلذذ بالبحث والتفكر على انفراد٠ ان طالب الحقيقة كما وصفه شرينر «رجل زاهد يصعد في الجبال العالية و يتعثر في الوعور الصعبة الموحشة وليس له سوى مطمع واحد وهو ان يجد هنا او هناك رجلا او اكثر يشاركونه آراءه فيسيرون في آثار خطواته»٠ اما السواد الاعظم من الناس فمستغرقون في الاشغال العملية منصرفون الى الاهتمام بالاشياء المادية لا يهمهم التفكر بالحقيقة المجردة وقليل هم الذين يعيشون العيشة العقلية او الفلسفية٠ اما الذين يسعون وراء الحقائق العملية فكثيرون٠ فواضح اذن ان محبة الناس للحقيقة المجردة اوهن من ان تكون اساسا يبنى عليه الاهتمام بالمجتمع البشري٠ ثانيا ان محبي الحقيقة المجردة كان لهم

بالحقيقة تأثير قليل في البشرية . لا اريد ان انتقص اقدار رجال الفكر، حاشا فان رجال الفكر هم مجد الامة ولكنى اقول اننا كثيرا ما نبالغ في وصف ما لهم من التأثير . ما اقل الناس الذين يهتمون بالشعراء مثلا ويدركون ما جاؤوا به من بدائع الخيال وروائع الحقائق . ولكن ما اكثر الذين يقرأون الكتب القصصية والروايات الموضوعة . وهذا يدل دلالة واضحة عَلَى شدة رغبة الناس عن الحقائق الفلسفية ورغبتهم في الحقائق والاحوال الواقعية . اذن الاستناد عَلَى محبة الناس للحقائق الفلسفية كباعث عَلَى خدمة الانسانية مجرد خيال ووهم فاضح

ثم لننظر في محبة الانسان القومية ورغبته الطبيعية في خدمة البشرية . وهنا لنا ايضا مأخذان . الاول ان محبي قومهم نادرون ندور محبي الحقائق المجردة . ولو كان اساس اختيار المسيح تلاميذ له محبتهم لقومهم لكان فتش في ربوع فلسطين جميعها دون ان يهتدي الى واحد منهم . اما التلاميذ الذين اختارهم فلم يكونوا محبي قومهم بالمعنى الذي اراده المسيح . ما اكثر الحوادث التي اظهرت ما كنته صدورهم من عدم التأثر لمصاب المتألمين والاستخفاف بالمحتاجين . خذ لك حادثتين فقط . الم يتذمروا على اطعام الجمهور الجائع ، او لم يجتهدوا في ان يبعدوا الاولاد عن

المسيح : والحقيقة هي اننا نحب الذين يحبوننا ولكن يندر ان تتجاوز محبتنا ذلك ، حتى ان الناس الطيبي الاخلاق المستعدين ان يضحوا كثيرا من اجل اولادهم واصدقائهم يندر ان يفتكروا في مطاليب الهيأة الاجتماعية او احتياجات البشرية جمعاء . والواقع الذي لا يشوبه ادنى ريب هو ان الناس ما زالوا متمسكين بالمحبة لذوي القربى وبالعداوة للاباعد . يشعرون بعاطفة نحو افراد اسرتهم ولكنهم قلما يفتكرون بالغرباء عنهم الذين لا يحملون اسمهم وليس بينهم قرابة رحم او نسب او صداقة شخصية . فاين اذن نجد تلك العاطفة البشرية التي يقصد بها ان تكون دافعا لخدمة الانسانية . الثاني ان النوع البشري نفسه لا يستحق المحبة . لا تتهمني ايها القارئ الكريم بالمبالغة او الشطط . ما انا مبالغ ولا شاط وانما هي الحقيقة فتروَّ فيها . لا خلاف في اننا نحس بالعطف نحو الذين هم من قومنا ولكننا حتى في هذه الدائرة الضيقة نرى كثيرا ما يكره ويذم ، ونضطر الى الاعتراف ولو همساً بين جنبينا بان اخلاق الكثيرين لا يمكننا ان نألفها وتأبى الا ان تبغض الينا ذويها . وما آداب امة الا مظهرا للطبيعة البشرية ومعرضا لاباطيلها وسيئاتها وجناياتها وشهواتها السيئة وطمعها الاشعبي واثرتها الذميمة . وقد قال جمهور المصلحين

والفلاسفة الذين ضحوا حياتهم في سبيل الانسانية وخدمتها ان جمود الانسانية امر لا ريب فيه وان الناس لا يستحقون ما يبذل في سبيل خيرهم وانك اذا شئت خدمة الانسانية فعليك ان تجتنب مخالطة الناس ما استطعت؛ ثم انك لترى بين اكثر الامم تمدنا وارقاها تهذيبا ان لا اسهل من اضرام نار الحرب وتعبئة الجيوش لسبب طفيف ربما كان مجرد اهانة الحقها بعض افراد امة ببعض افراد امة اخرى او غيرة شعب من شعب آخر واذا كنا نرى بين افراد طبقتنا ان الهيأة الاجتماعية غير اهل للمحبة والعطف فكيف بنا اذا نظرنا الى اناس احط من طبقتنا وابعد عن اذواقنا. او نلام اذا لم نجد في انفسنا عطفا على الاسكيمو او الافريقي، واستنكفنا من معاشرة الفقير ذي الثياب الرثة، وابتعدنا عن رائحة السكير، وتجنبنا معاشرة قطاع الطرق، وترفعنا عن النظر الى ذوي الشهوات الفاسدة والجناة الاثمة؟ فلا نكن اذن من المغرورين، ان الطبيعة البشرية بالاجمال ليست مما يحب. اما محبة الانسانية لذاتها ومحبة الحق لذاته فسجيتان نادرتان لا يمكننا التعويل عليهما. وما العاطفة الانسانية الا مجرد تعبير حلو ولكنه لا ينفع احدا

ولكن حينما يكون للانسان محبة للمسيح حارة يرى كل شيء

قد تغير. ذلك لان المسيح قد علمنا ان كل البشرية ممثلة في شخصه الكريم وان كل انسان عَلَى اختلاف جنسه ولونه وشكله هو نفس مات المسيح لاجلها وانها وان تكن قد ضلت عن الطريق الذي سنه لها الا انه من الممكن هدايتها اننا نرى في شخص المسيح غاية ما يجب ان تبلغ اليه الانسانية، والمسيح يأمرنا بان ننظر الى كل فرد كشبه له ناقص والعيون التي تعودت النظر الى سيرة المسيح تنظر الى كل الناس نظرا مقرونا بامكانية صيرورتهم اتقياء فضلاء. ان مروضي الحيوانات والعبيد والجنود لم يكن فيهم جاذب يستحب ومع ذلك نودي اليهم بالمسيحية اولا لم يناد بها للعظماء والاغنياء الذين كان لهم ما يرفعهم في عيون الناس بل نودي بها للبائسين والمعوزين لان حاجتهم كانت اشد وما زال هذا شأنها حتى الآن. لم يكن الباعث الذي حدا موفت على اختراق افريقيا العاطفة البشرية، وليست هي الدافع الذي يدفع الرجال والنساء الاتقياء لبذل حياتهم في اقذر الاماكن واكثر شوارع المدن فسادا، بل هي المحبة للمسيح التي ارتهم صورة المسيح في كل الناس. ان ينابيع الجمعيات الخيرية في بلاد الانكليز مصدرها الكنائس. حقا ان محبتنا للمسيح هي منشأ محبتنا للناس. واحر بصاحب الرسالة المشار اليها في افتتاح هذا الفصل ان يرى ان الآداب

الانسانية المجردة عن الدين قوة ضعيفة ، وانها انما قصد بها استخدام الآلة المسيحية والتغاضي عن قوتها وقد فات هولاء ان احسن الآلات وادقها صنعة واعظمها اتقانا لا يتم لها العمل ما لم تكن النار في مرجل الالة البخارية

ثم انه لا شك في ان البعض يجدون العطف على الاخرين اسهل مما يجده غيرهم. ولعل هناك شيئا من الصحة في قول موريسن « ان القديس الحقيقي هو نابغة ادبي ، وان التقوى مثل الشعر فطرة لا اكتساب، وانك اذا شئت ان تكون مسيحيا فلا يمكنك ذلك ما لم يكن لك تركيب غاية في الجمال والظرف ودقة الصنعة . ان امثال الاختين انياس ومرغريت يميلون الى التدين بالسهولة التي مال بها موزار الى الموسيقى ونيوتن الى الرياضيات وكيتس الى الشعر غير ان النبوغ في الدين اندر من النبوغ في اي شكل اونوع آخر ، والتقوى الراقية غير مستطاعة للعمل مثل الشعر الراقي » ذلك صحيح ولكن ما هو المقصود بالعامة. حقا ليسوا هم الفقراء ولا الغير المتهذبين ولا منحطي الهيأة الاجتماعية على الاطلاق ، لان الاولين ظهر منهم نوابغ في الدين اكثر مما ظهر بين الاغنياء والمتهذبين . قيل عن المسيح ان الناس العوام سمعوه بفرح، اى ان المسيح وجد فيهم اعظم قابلية للنبوغ

الديني واعظم استعداد لقبول الانجيل الذي يعلم محبة الاخرين.
هذا وان موريسن يخفف من غلوائه حينما يقول » عَلَى ان المحبة
الحارة والشكر والاحترام للمسيح اذا اضرمت في القلب تقوى عَلَى
التغلب على العادة« اذن هذا هو العلاج الشافي. فليتقرب الشاب الى
المسيح وليضرم في نفسه المحبة الحارة والشكر والاحترام له فيرى ان
بين يديه قوة تفصم عرى الوراثة وتقطع سلاسل العادة وتتغلب عَلَى
الاخلاق الرديئة ان المحبة للمسيح في امكان كل واحد احرازها.
ليس من الضروري ان يكون الانسان نابغة ليكون مسيحيا.
فان اضرمت هذه المحبة في انسان ورث عن آبائه واجداده شر
العادات واعظم المفاسد فما عليه الا ان يشهر حربا عوانا للتغلب
على تلك النقائص. ولا انكر ان امره يكون اصعب من امر من
ورث عن ابويه واجداده دما باردا وتصورا طاهرا ولكن بقدر
النقص يكون عظم الفوز، و بمقدار انحطاطه يكون ارتفاعه وارتقاؤه

الفصل التاسع عشر

احتمال الهموم

كيف العمل بمصائب الحياة واكدارها؟

ما اكثر الكتب التي وردتني وفيها هذا السؤال. حقا انه
ليس بيننا الا من شعر ولو بعض الاحيان بتعب الحياة وآلامها

واليأس منها. وما ذلك بمقصور على الشيوخ او سيئي الحظ ، فاننا في عصر نرى فيه الشبان يغلبون على امرهم، وتذوي زهرة شبيبتهم وهم بعد في سن الحداثة ، و يستولي عليهم الغم والهم فما السر في كل ذلك يا ترى ؟

قد ذكروا لذلك عدة اسباب ، بعضها محتمل و بعضها وهمي على ان كل باحث مدقق لا يشك في انه لا بد ان يكون قد حدث شيء افقد الشبيبة زهوها وحرمها التمتع بالحياة وانتزع منها تلك الخاصية المعروفة وهي عدم الاهتمام بالمستقبل وعدم الاكتراث بمصير الانسانية وعدم الالتفات الى اسرار الطبيعة ، وفعل مثل ذلك او اكثر في المتقدمين في السن ، فاصبح الناس جميعا اشد انفعالا واعظم اهتماما واكثر تفكيرا ممن عاشوا في العصور الغابرة ، فالفوا شجون الحياة ووجوهها السوداء ، وباتوا يشعرون بان القلب مثقل بضغطها الذي ليس في الطاقة احتماله .

ربما كان السبب ما يقوله البعض من ان البشرية شاخت وان كل طفل يولد اليوم يصبح بحكم الطبع والضرورة وارثا لمجموع الهموم والمصائب التي انتجتها مفاسد القرون السالفة وربما كان السبب ان التقدم السريع الذي شوهد في القرون المتأخرة انتج رد فعل ، او ان هذا التقدم خيب آمالا عديدة واحبط مساعي

كثيرة بحيث دب اليأس الى قلوب الناس واصبحوا يتساءلون ان كان هذا التمدن الحديث يستحق ما انفق عليه من الثمن ·

وسواء صح احد هذه الاسباب او بعضها فان الحقيقة ثابتة لا ريب فيها وهي ان الحياة العصرية مملوءة من الهموم والاكدار، مفعمة بمثبطات العزائم ومهيجات الاعصاب ، وان هذه الاحوال تنتهي في الغالب الى واحدة من نتيجتين احداهما عدم التأثر بافراح الحياة واتراحها وثانيهما احتقار مسرات الحياة ·

بيد اننا اذا امعنا النظر في تلك الحاسيات والعواطف رأيناها من بعض الوجوه طبيعية · اي انه من الطبيعي مثلا ان تقل الآمال كلما طعنا في السن ، ذلك لاننا نجد ان احراز قصب السبق في الحياة اصعب مما كنا نتصور ، وانه لو قدر لنا الحصول عليه لرأينا ان فرحنا به يزول قبلما نفوز به · ونرى بعد الاختبار الطويل ان غاية امانينا غاية دائمة الحركة ولكن الى الامام ، فكلما ظنناها على بعد الذراع اذا هي مناط الثريا او ابعد، فنضطر في النهاية الى التسليم بان السعادة الحقيقية هي في الجهاد لا في الجزاء · ويثبت لدينا ان من اصعب الامور واشق الاعمال فعل ما يؤثر في الحياة الاجتماعية تأثيرا ثابتا ، وانه ليس من ثورة كان لها من الثمار الذهبية بقدر ما كان منتظرا لها ، وان لا اصلاح يتعمق

التعمق الذي نخاله

ولا اكتم القارئ انه يؤلمني كثيرا الاعتراف بهذه النقائص وربما تألم هو ايضا من ذلك، ولكن اليس من الحكمة والامانة التصريح بها بدل جهلها او تجاهلها، لانّنا بذلك نكون قد تهيأنا لها على الاقل فلا نؤخذ بها على غرة. واني لاحسبني اخدم الشبيبة بقولي لها « لا يخطر لك ايها الشاب ان قوتك الجسدية والعقلية ستظل كما هي الى الابد، ولا تحسبن انه يمكنك ان تلاعب الحياة دائما لان هذه اللعبة ستصبح يوما ما معركة حامية الوطيس، ولا تمنّن النفس بانه يمكنك ان تجتنب ساعات الحياة الحرجة ومشاكلها المؤلمة واحوالها المرة وان انت ابتعدت عنها فهي تطاردك وتدركك، وسترى اخيرا انك لا تقوى على التخلص منها »

ثم ان من نوائب الدهر ما يحل بالناس في هذه الحياة دون ان يكونوا هم الباعث عليها. فان الصحة قد تسوء، وربما حدث حادث فجائي يغير مجرى الحياة كلها، وقد يفلس محل تجاري فيشمل الضرر عاملا نشيطا امينا. اجل قد تقع مئات من مثل هذه الاحوال الغير المنتظرة التي لا يكون الانسان السبب المباشر لها، ولكنها تكدر صفو حياته وتعرقل مساعيه وتنغص عيشه.

ولعلنا صرنا الآن اقدر على فهم اهمية السؤال كيف يمكنني احتمال هذه الامور ، وما هو الذي يمكنني من الصبر في الساعة السوداء

لا ارى لهذا السؤال اكثر من ثلاثة اجوبة : اولها مبدأ الرواقيين وهو القائل بعدم التأثر بافراح الحياة واتراحها. ذلك جواب القدماء على هذا السؤال ، وهذا المبدأ مبني على اعتقادهم بان الآلهة تلاعبهم ولذلك اعتمدوا على ان لا يبدوا شيئاً من الضجر او التألم مهما اصابهم فاحتملوا ما احتملوه قائلين " ان الآلهة آلهة شريرة فلتفعل كل ما بوسعها من الشر اننا لا نذل ولا نقهر ". وهذا الروح لم يترك النوع البشري قط ، وقد كان السر والتر سكوت بين الكتبة الانجليز القدماء مثالا له . ولا يؤخذ من قولي هذا ان السر ولتر سكوت قال ان الآلهة شريرة فلتفعل كل ما بوسعها من الشر . حاشا ولكن السر ولتر سكوت كان ذا ارادة حديدية فاستخف بالقدر وعقد العزم على ان لا يلين ولا يذل ، فلم يستعن باحد وخلا قاموسه من معاني الاستكانة وقد وجد في نفسه قوى كافية للاحتمال . اما بين الكتبة المحدثين فقد عبر عن هذا المبدأ المستر هنلي في بيته المشهور " اني خرجت من الليل البهيم الذي سترني وقد كان سواده حالكا ، واني اشكر كل الآلهة الموجودة من اجل نفسي التي لا تقهر "

ومنهم دريد بن الصمة الذي قال

لا تحسبن يا دهر أني ضارع لنكبة تعرقني عرك المدى
مارست من لو هوت الافلاك من
جوائب الجو عليه ما شكا

وقال ايضا

فان امت فقد تناهت لذتي وكل شيء بلغ الحد انتهى
وان اعش عاشرت دهري عالما بما مضى من امره وما انتشى
حاشا لما اسأره في الحجى والحلم ان اتبع رواد الخنى
او ان أرى لنكبة مختضعا او لابتهاج فرحا ومزدهى

ومنهم القائل

وانك عبدي يا زمان وانني على الرغم مني ان أرى لك سيدا

والقائل

امطري لؤلؤا جبال سرنديب وفيضي آبار تكرور تبرا
انا إن عشت لست اعدم قوتا واذا مت لست اعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا

والقائل

وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظما

حقا ان في هذا النفس وهذه الهمة لعظمة وفخرا · ولكن

اقل تأمل يظهر اننا لو تساهلنا في التقدير ما امكن التساهل لرأينا انه لم يعش في العالم سوى افراد قليلين من هذا النوع ،ذلك لان عدم المبالاة بافراح الحياة واتراحها تقتضي قوة حديدية لا توجد الا فى النادر من الناس · اذن هذا المبدأ لا يصلح للافراج عنا في معترك هموم هذه الحياة ·

الجواب الثاني التعطيل · وخلاصة هذا المبدأ « ان حادثة واحدة تصيب الجميع عَلَى السواء ، وبما ان الرامي هو القدر الاعمى فالغضب والشكوى لا فائدة منهما ·» كل يعلم ان المرحوم الاستاذ درموند كان يعتقد بان الناموس الطبيعي مماثل في جوهره للناموس الروحي ، غير ان الدكتور دانجر انتصب لمناوأته معتقدا بان الطبيعة لا شأن لها في ما يتعلق بالنفس وان الدين الحق نشأ منذ مجيء يسوع المسيح

واني لا ادعي المقدرة عَلَى الفصل في هذا الجدال، الا اني ارجح رأي الدكتور دانجر ان الطبيعة كما قال تنيسون تهتم بالنوع لا بالافراد ، ولا شفقة لها ولا رحمة · صحيح ان شمسها تشرق عَلَى الاشرار والابرار ، ولكن ضرباتها ومصائبها وزلازلها وعواصفها وصواعقها تحل ايضا عَلَى الظالم والبريء · فالاستناد اذن الى الطبيعة إبان الشدائد جنوح الى الكفر · وهو عَلَى كل حال

اصلح من المبدأ السابق لان عدم الاعتقاد بالله خير من الاعتقاد بالله شرير · وقد يطمئن الانسان في شدائده لمعرفته انها شاملة تتناول كل واحد على السواء ، وان ليس ثمة من يتحمل تبعتها ، وان لا مناص منها ، وان ليس فيها محاباة ، وان ليس من قوة جائرة قاسية مستبدة باعثة عليها . فما لا مناص منه للجميع وجب على الفرد احتماله وبما ان الشكوى لا فائدة منها فالصلاة عبث والاولى بالمرء السكوت

الجواب الثالث الايمان · الايمان هو عبارة عن الاعتقاد بامور مأمولة ، وله قوة تخترق سحب المصائب فترى قوس القزح اثناء اكفهرار الجو وتلبد الغيوم والايمان يسلم بهذه الحقيقة وهي ان الغاية الاولى من حياة الانسان التهذيب وهنا نرى صحة معتقد الدكتور دلنجر بان الدين الحق نشأ منذ مجيء يسوع المسيح المسيح طبع على الحياة مثالا ساميا خالدا وهو ان افضل الناس واقدسهم اكثرهم تعرضا للبلايا والمصائب (قال الشاعر افاضل الناس اعداء لذا الزمن الخ) فانه وهو بدون خطية رفضه الناس ، وكانت حياته بحسب الظاهر حياة خيبة ، علم الحق الطاهر فقالوا انه خادم ابليس ، احب الناس فابغضوه ، مد يده لمساعدتهم فاحتقروه ، رغب في انهاض امته وتعليمها الاشياء التي تؤول الى

السلام العام فصلبته كجانٍ اثيم . حقا ان المصائب التي لم يكن يستحقها تتبعت كل اثرٍ من آثاره . ومع ذلك لم يشك بل قال بهدوء وسكينة «الم يكن ينبغي ان المسيح يتألم» . رأى الآلام البشرية شيئا ضروريا . ومع انه لم يحل مشكلة الآلام الا انه بين ان لها تفسيرا يقف عليه الانسان يوما ما . غير انه من الضروري ان نلاحظ انه لم يحتمل ما احتمل مثل الرواقيين الذين لم يتأثروا لافراح الحياة واتراحها ، كلا فانه شعر بالحزن الشديد فقال «نفسي حزينة جدا حتى الموت» ، ولكنه احتملها بسبب الفرح الموضوع امامه . هذا هو الايمان ، هو النظر الى اشياء غير منظورة ، وهو الحل الوحيد لكل مصائب الحياة وويلاتها . هذا الجواب ليس فيه دخل للطبيعة ولا يقع بين مدركات العقل والحواس . قال مرقس روذرفورد «الايمان يوقف الانسان على علاج المصائب ويدله على فادٍ . وهو غير خاضع للفلسفة لان لا مجال فيه للتفسير والايضاح بل يبقي الامور على غموضها ، ولكن النفس ترتاح اليه والضمير يطمئن لمبادئه»

اذن الايمان هو بداهة النفس ، وهو الصوت الوحيد الذي بامكانه ان يعزي ويقوي كل الذين نفذت فيهم سهام مصائب الحياة واحسوا بثقل وطأة بلاياها

والشيء الذي تجب ملاحظته في كل هذه المسائل هو ما للايمان من القوة على كبح جماح النفس وتهذيب الاخلاق. ولما كان الشيء بالشيء يذكر اقول ان امامي رسالة من احد مراسلي يقول فيها» لا اهمية لما يعتقد به الانسان ما دام حسن السيرة دمث الاخلاق « ولكن امن الممكن ان يكون الانسان كذلك دون ان يكون له اعتقاد حق. ما انا من ينكر ان كثيرين يعتقدون بعقائد سامية جداً وان اعتقادهم بها لم يصيرهم افضل مما كانوا مع أن كثيرين لهم اعتقادات ابسط بكثير ولكنهم يحاولون بان يعيشوا عيشة ملؤها النفع والمقاصد الصالحة. ولكن ماذا يستنتج من ذلك؟ يستنتج منه ان الاعتقاد السامي اذا لم يحافظ عليه باخلاص هو اقل فعلا من الاعتقاد البسيط الذي يحافظ عليه بامانة

هذا كل ما يستنتج من ذلك، ولكن لا ينبغي ان يغيب عن بال احد ان المرء هو اعتقاده، هذا معنى قول كرومويل «ان العقل هو الرجل»، ذلك لان الرجل في اعماله وسيرته وتأثيره عَلَى الآخرين ان هو الا نتيجة الافكار والمبادئ والاعتقادات السائدة عَلَى نفسه. ولنضرب لك مثلا او اكثر عَلَى ذلك. ان الرجل الذي يعتقد ان ليس هناك ما يسمى حقوق التملك يصير عَلَى الارجح لصاً، ومن يعتقد بان الحكم المدني جائر

يصير على الارجح فوضويا او إباحيا، ومن يعتقد ان التعفف ترتيب فاسد موضوع لحرمان الناس من لذة طبيعية يكون على الارجح فاسقا. وكما ان بين طيات الدماغ تلافيف سرية تصير الانسان اعظم المخلوقات الحية واذا نزعت هذه التلافيف اصبح الانسان حيوانا اعجميا هكذا ايضا للايمان تلافيف في داخل النفس، وهو يحكم على السيرة و يدرب الاخلاق — الاعتقاد بالجمال يوجد المصور، والاعتقاد بالحق ينشئ الشهيد، والاعتقاد بالحرية يولد البطل محب الوطن، والاعتقاد بالله يوجد القديس. فاذا تسنى لنا معرفة اعتقاد الانسان عرفنا كل ما تجب معرفته مما هو ضروري، لاننا نكون بذلك قد عرفنا الانسان. ولهذا السبب يشدد الانجيل في وجوب الايمان. ولهذا السبب عينه علم غوتي وكارليل ان اول واجبات الانسان ان يؤمن. وهذا ما عناه السيد المسيح في قوله الشهير «من آمن خلص ومن لم يؤمن يدن».

ولعل رفضنا العقائد مجرد كلام وفصاحة خطابة. لان الناس جميعهم عبيد العقائد ولا مناص لهم منها. وما هي العقائد. هي مبادئ الاخلاق، هي الايمان معبر عنه بكلمات وجيزة العدل الانساني مبني على العقائد و يصرح بان الامر الفلاني والامر الفلاني خطأ دون ان يقدم الاسباب لذلك. والعلم

مبني على العقائد التي نسميها اوليات او مبادئ او بديهيات ، ومن نواميسه ان الاشياء الفلانية والاشياء الفلانية موجودة ، وانه ان حصلت الاسباب الفلانية تنتج النتائج الفلانية الى اخر ما هنالك · هكذا الدين ايضا مبنى عَلَى العقائد التي تبين المبادئ التي تقبلها النفس ويسلم بها الضمير

هذا واننا نرى بوضوح ان الايمان يحكم على الاخلاق البشرية · من هو موفت [Moffat] الا نتيجة الاعتقاد بان احقر الامم واشدها غباوة قابلة للخلاص ويجب ان تخلص ، ولو زال ذلك الاعتقاد من قلب موفت لم يسمع احد باسمه · ومن هو وردزورث الا نتيجة الاعتقاد بان في الطبيعة شيئا يناجي ، وان الشعر الحقيقي هو اتم تعبير لأبسط العواطف البشرية ، وان الانسان يجد سلاما في الطبيعة ، وان الحكمة قطنت في اكواخ الفقراء ، ولو زال ذلك الاعتقاد من قلبه لما كتب بيتا واحدا من شعره الساحر الخلاب · وهكذا قل عن غوردون بطل الخرطوم وامثاله الذين كانوا مظاهر لما يعتقدون ، وهذا هو الحال دائماً وان من الحمق والسخافة الظن بان الاخلاق الحميدة قد توجد حيث لا يوجد اعتقاد صحيح · فان ذلك بمثابة القول بانه قد توجد صحة جيدة في جسم قلبه مصاب

ايها الشاب ان من اهم ما يجب عليك ان ترتب لنفسك قائمة حاوية المبادىء التي تود السير عليها ، وان لم تفعل ذلك ضللت سبيلا وسوئت اخلاقا لان مقياس الانسان اعتقاداته الصالحة

الفصل العشرون

الشبيبة والمسيح

ان الناشئة تود معرفة المسيح ، وترغب في الوقوف على تعاليمه وحقيقة دينه . هي لا ترتاب في المسيحية الحقة ولكنها تمقت التصنع في الدين . وشعورها من هذا القبيل معبر عنه بقول من قال « اني احب مسيحكم ولكن الذي يغيظني ان الذين يدعون انفسهم مسيحيين ليسوا مثله في شيء » واني استنتج من ذلك ان الشبيبة تميز تمام التمييز بين مسيحية ومسيحية ، وتفرق بين بعض ما يجريه الناس وبين التعاليم البسيطة التي نادى بها ذلك الذي عاش تحت سماء فلسطين وصلب لاجل خطايانا

ان الشبيبة من طبعها التشديد ولا تفهم للتساهل معنى ، وجدير بها ان تكون كذلك ، ولو فقدت هذه المزية لفقدت الشجاعة والاقدام اللذين يوصلان الى النجاح الشبيبة لا يمكنها ان تفهم ان النصف يمكن ان يكون اكثر من الكل ولا يسعها

ان تسلم بالمبدأ القائل باننا في المشاريع العظيمة لا مندوحة لنا عن التساهل في الرضى بما هو دون الغاية في الجودة اذا كنا نريد ان نفعل شيئاً واننا في معالجة المشاكل المعقدة لا بد لنا من التساهل بنقائص الانسان والهيأة الاجتماعية ، واني اعيد القول بانه لا يجدر بالشبيبة ان تسلم بهذه المبادئ ولذلك لا امتعض اذا انا سمعت الشاب يشكو مر الشكوى من القدر و يود التخلص من الظروف الصعبة ، ذلك لاني اعلم ان هذه العواطف تدل على انه حي وانه متيقظ منتبه وان فيه ما يسخر بالاقدار ويستخف بالظروف . ان الرجال المحنكين لا يستاؤون حينما يسمعون الشبان يسندون مذهب الجمهورية المتطرفة اومبادئ الاشتراكية المتطرفة لان ذلك يدل على انهم يتأثرون لوجود الميزات بين الناس والتفاوت بين طبقات البشر و ينفعلون بمرارة للشقاء البشري ، و يدل عَلَى انهم احياء منتبهون وذوو احساس بما يحيط بهم . قد يندفعون الآن اندفاع الطيش ولكنهم ينتهون الى الجد والفوز ، وقد يبتدئون بالهدم ولكنهم سينتهون الى البناء والتشييد . وعليه فاني لا الوم مراسلي الذين بعثوا الي برسائل يستفتونني فيها في المشاكل الاجتماعية العديدة و يشيرون الى الفرق البين بين خلق المسيح واخلاق الناس الذين ينتمون اليه . وعندي ان الازدراء

واليأس والشكوى والامتهان كل ذلك خير من الجمود البارد الذي لا يحس صاحبه بشيء ولا يبالي بشيء. انني لا امقت كفر الناس (الذي اصبحت دائرته في هذه الايام ضيقة) بمقدار مقتي لعدم مبالاتهم. وان اعظم ما يصعب على رجال الدين اعمالهم ليس الطبقات المنحطة من الناس بل اولئك اللابسون الالبسة الفاخرة، المستخفون بشؤون الحياة، الناجحون في الماديات، الذين لا يبالون وجد اله او لم يوجد، ولا يكلفون انفسهم عناء البحث والسؤال. واني افضل ان اسمع رجلا يقول باخلاص انه لا يعتقد بوجود الله على ان يقول ربما يوجد اله ولكن سواء عندي وجد او لم يوجد.

ساد الحياة الاجتماعية في العصور السابقة رأيان الاول ما اعتقده اليونان وهو ان الانسان صالح في طبعه وكل ما يفعله بحكم الطبع صالح ولذلك شيدوا مذابح لآلهة الشهوة ولاله المكر. اما الاقدمون فاعتقدوا عكس ذلك اي ان الانسان شرير في طبعه وكل ما يفعله شر. وهذه التعاليم المتناقضة توجد اليوم بالنظر الى الوراثة فبعضهم يعتقد ان الانسان مجرد آلة تتحرك من ذاتها بواسطة قوة في داخلها هي الخصال الموروثة. وبعضهم يعتقد ان الانسان ابن ارادته لا ابن الوراثة. ان اليونان لم يقروا بالخطية والقدماء انكروا الميل الى الصلاح وبكلمة اخرى لم ير

اليونان ضرورة للفداء والقدماء قالوا بعدم نفعه . وهذه المبادئ لا تزال تظهر في مطبوعاتنا الحديثة في اشكال جديدة . فان هناك من ينادون بانه لا توجد آداب حقيقية وان كل الاعمال والعواطف فى الانسان مظاهر طبيعية الفها وسار عليها ، وهناك من يقولون بان الكل في اعماق الفساد غائصون وانما الفرق بين البعض منا والبعض الاخر هو ان الاولين ينظرون الى النجوم دون غيرهم

اما المسيحية فلا تعد الانسان صالحا تمام الصلاح ولا شريرا الى حد ان لا يرجى خلاصه وانما هو مجموع صلاح مفقود وشر عامل او خامد . والمسيح اعترف بصلاح البشر فانه قال عن نثنائيل ان لا غش فيه ، وصدق دعوى الرئيس الشاب الغني بانه حفظ كل الناموس ، وقال عن اممي انه لم يرَ ايمانا مثل ايمانه ولا في اسرائيل المسيحية تقول ان الانسان غريق ومحتاج الى الانقاذ ، وضال ومحتاج الى الهدى . وهي تخلص الناس كما بنار وترقيهم عَلَى اسلوب ادبي مستمر . ولكن كيف تخلصهم ليس بجعلهم يقلدون المسيح فان المرء قد يقلد رافائيل وروبنس وقد يهذب شعره بمقابلته بشعر تنيسون وبروننج ولكن ذلك لا يصير رافائيل ولا تنيسون وانما يحمله على تسويد مقادير من الورق الابيض وملأ المكاتب بما لا يقرأ . او لم تر الفونوغراف كيف

يردد الاصوات حرفا لحرف وكلمة لكلمة ولكن اقل الناس ادراكا يميز صوته عن الصوت البشري· ليست غاية المسيحية ان تملأ العالم بصور عن المسيح مقلدة بحسب الظاهر بل ان تجعل من الناس رجالا ونساء مسحاء حقيقيين، وهي لا تطبع صورة جديدة علَى قماش قديم بل تنشيء صورة جديدة، ذلك لانها تدخل جوهرا جديدا الى نفس الانسان· وكما ان وضع مسحوق كيماوي في بوتقة يغير خاصية اصاب المعادن ويصير منه مادة اخرى هكذا يفعل هذا الجوهر الجديد فينشئ انسانا جديدا له رغائب جديدة وعواطف جديدة وآمال جديدة ويعمل ويفكر في العالم في القرن العشرين كما عاش المسيح قبل هذا القرن بكثير في فلسطين· هذا هو حل المسيحية لمشكل الوراثة وسائر القوى المشابهة لها التى تعمل على حط الانسان· والتاريخ يشهد لصحة هذه الحقيقة وان هذا التفسير واقع· وليس علَى من اراد ان يتحقق ذلك بنفسه سوى ان يدرس تراجم اوغسطينوس ويوحنا بنيان ويوحنا نيوش ويوحنا وسلي فانه يرى في كل منهم مخلوقا تجدد تجددا تاما كأنه وضع في بوتقة كبيرة روحية وصيغ منه مخلوق جديد· ومما هو جدير بالاعتبار ان كلا منهم نسب المعجزة الى سبب واحد وهو نعمة المسيح التى تخترق النفس فتحل

عناصرها وتصوغها صيغة جديدة· حقا ان الوراثة فعالة ولكن نعمة الله افعل

ولعل البحث يتبسط معنا لو سألنا ما هو التجديد· هو عبارة عن نقض اساليب التفكير والعادة وابرام افكار جديدة تؤدي الى حياة جديدة · كاننا يفهم فعل الجزم والتعويل علَى امر وكلنا يعلم ان بعض هذا الجزم يكون غالبا سريعا وقد يتم بعضه في الحال · اجل ان الناس قد يبتون في لحظة امر تغيير الحياة كلها، واكثر انواع التجديد تتمشى على طريق الجزم هذا · اذن التجديد اقتناع روحي يميل اليه الانسان حالما تحقق لديه اهمية الشؤون الابدية · بهذا التعبير يصف بولس ووسلي ما وقع تحت اختبارهم، فان بولس اقتنع بغتة بان يسوع المسيح هو الله ، ويوحنا وسلي بان خطاياه قد غفرت ، وتشارلس كنجسلي الشاعر الشهير يقول بانه كان مرة سائراً على شاطئ البحر يتأمل في امر حياته فخطرت في نفسه عاطفة المحبة لله والميل الى كل ما هو مستقيم وطاهر فخشع قلبه وعقد العزم علَى ان يكون كذلك· وكان هذا عبارة عن تجدده

اما كيفية الفرح الناشئ عن هذا التجدد وتحقق مساعدة الله والتقرب منه فتتوقف على صحة ذلك التجدد وسرعة قبولنا اياه ومزاجنا الخاص· ومن الخطأ ان نحسب ان الفرح الشديد يتبع علَى

الاثر · ان الجزم في امور خطيرة قلما يصاحبه الفرح · اما حليفه الحقيقي فهو السلام ، السلام الناشئ عن وجدان السبيل القويم للحياة · ان معظم انواع التجدد في العالم اشبه بتجدد كنجسلي منه بتجدد بنيان ، ذلك لان بنيان كان له تصور عميق واحساس شديد للغاية ولذلك ارتجف ارتجافا شديدا حالما تصور نفسه تحت ضغط الكلفينية الشديد · رأى كل شيء بعين الشاعر الخيالي فكان حزنه اشبه بنزاع الموت وفرحه عبارة عن الوله والهيام · وفي العالم قليلون من امثال بنيان فلا نعلل النفس بان يكون لنا عواطف مثل عواطفه ، وما علينا الا ان نختار الطريق الذي قدره لنا الله ونسير فيه · اما العون الذي نحتاج اليه فيأتينا بالصلاة في اثناء تهذيب انفسنا الروحي المتواصل ويكون نتيجة لشركتنا مع الله

واني اختم هذا الفصل بهذه الملاحظة الهامة

ان الذين يرون في شاكسبير اوغلادستون مثالا من العظمة العقلية اسمى من المسيح قد ضلوا سبيلا وركبوا متن الطيش والجهل والشطط ، وما ذلك الا لعجز في التفكير ونقص في التمييز ·

هل جلست يوما منفردا وتأملت مقدار الثورة الفكرية التي بعثتها كلمات المسيح في العالم كله · انه يحسن بنا احيانا ان نجرد

افكارنا (بكل خشوع واحترام) عما نعتقده بشأن لاهوت المسيح ونحاول ان نقدر ما كان من التأثير العقلي الذي اوجده المسيح في العالم. اسيء كلمات غير كلماته انتشر صداها في العقول البشرية عَلَى مدى قرون متتابعة واحدثت جيلا بعد جيل تطورا جديدا وثورات فكرية ورقيا متتابعا في الاخلاق والسيرة ؟ حقا انه كلما تعمق الانسان في درس هذه النقطة اتضح لديه بجلاء ان القوة التي جاء بها المسيح (ولو لم نعتبر سوى ما جاءت به من الحركة الفكرية) لم يكن قط لها شبيه او مثيل

حدث برونںج عن نابوليون حينما كان في جزيرة القديسة هيلانة انه انعم النظر مرة في درس الاناجيل و بعد ان انتهى منه اغلق الكتاب وخاطب جلساءه قائلا « اعتقد انني ذو فهم واني قادر عَلَى درس طبائع الناس وتمييز الاشخاص ، اقول لكم ان هذا الانسان كان اعظم من انسان »

وذكر برونںج ايضا ان فريقا من رجال الاقلام الانجليز اجتمعوا في احدى الليالي ودار بينهم موضوع خلاصته ماذا يشعر كل منهم لو مر امامهم نوابغ الاجيال السابقة فسأل بعضهم تشارلس لام (وهو من عشاق شاكسبير وتأثر اشعاره في كتاب خاص) لو مر امامنا الآن شاكسبير فقال لام « نقف كلنا اجلالا

واعظاماً » ثم سأله آخر ولو مر يسوع المسيح فاجاب لام « نجثو كلنا احتراما وتعبداً » وأحنى رأسه اتضاعا .

حقا ان الفرق بين المسيح وبين كل من خاطبوا عقول الناس وقلوبهم اوضح من ان يوضح

الفصل الحادي والعشرون

المسيحية والاشتراكية

لا مشاحة في ان المسيحية تنظر في امر الافراد ، وقد علم المسيح هذا المبدأ في مثليه الموسومين « بالخروف الضال » و « الابن الضال » غير انه لما كانت المسيحية تهذب الاخلاق فمتى نشأ الخلق السامي نشأ معه الفكر المدني الذي يتقاضى وجود الشرائع الدينية ووجود الحاكم الذي يعهد اليه تنفيذ تلك الشرائع

علَى ان المسيحية اشتراكية ايضا لان من مبادئها الاساسية وحدة النوع البشري وتوحيد مصالحه ومسؤلية الفرد تجاه الهيأة الاجتماعية ، ولذلك حيثما تنتشر المسيحية تنتشر معها مبادئ الاشتراكية الصالحة وتعاليمها الشريفة

اما الاشتراكية الحديثة فاني امقتها كما يمقتها كل عاقل لانها تتقاضى المساواة المطلقة التي تهدم اركان فضيلة الجهاد الفردي وهو

سر النجاح الانساني . وهذا النوع من المساواة لم يعلمه المسيح . ولكن الاشتراكيين يدافعون عن مبدأهم بان المساواة في المالية لا يحول بالضرورة دون الجهاد الفردي لان المصور والمخترع مثلا يبقى فيهما الشوق والطموح والرغبة في الرقي وان لم يكن لهما من الجزاء سوى الشهرة كما نراهما الآن يجدان على امل الجزاء المادي ، هذا هو دفاع اهم زعماء الاشتراكيين .

غير ان دفاع الاشتراكيين عن مبدأهم ان لم يتناول سوى المصورين والمخترعين لوافقناهم على صحته ولو بعض الموافقة ، وذلك لان المصورين والمخترعين هم وحدهم بين سائر ارباب الفنون الذين يعدون الشهرة اول الغايات وما المال في نظرهم سوى شيء اضافي لا يعبأ به كثيرا . وما انا من ينكر ان من يؤلف كتابا قيما او يصور صورة بديعة يهتم بالشهرة اكثر كثيرا من اهتمامه بالمال ويرى السعادة كل السعادة في كونه ابدع شيئاً جميلا ينطبق على الرسم البديع القائم في مخيلته ويحمل الناس على الاعجاب بعظمته ونبوغه ولكننا لسنا كلنا مصورين ولا مخترعين . والحقيقة لا ريب فيها هي ان السواد الاعظم من الناس قلما يهتمون بالشهرة بل جل ما يدفعهم الى العمل هو تحصيل اود الحياة ، وفضلا عن ذلك فان الرغبة في تحصيل المال كانت حتى بين الكتبة والمصورين والمخترعين

انفسهم دافعاً عظيماً يدفعهم الى تشديد العزم واجهاد النفس وارهاق القريحة، وليس ما يؤيد الظن بان المصورين يثابرون على تصويرهم والمؤلفين على تآليفهم والمخترعين على اختراعاتهم حينما يرتفع ضغط الظروف التي تكرههم على الجد والنشاط وافضل مثال يبين صحة ما ذكرت هو الحياة في الصوامع والاديار فان كثيرين من الرهبان من ذوي القرائح المتوقدة والذكاء المفرط وكان كثير منهم مصورين ومهندسين وكتبة ولكن ندر منهم من ظلت الرغبة فيه في ممارسة هذه الفنون، ولو عاشوا في اي نوع من انواع الحكومات اظهرت ثمار قرائحهم. وغاية ما يقال في ذلك ان حياة النسك والزهد لم تقوَ على القضاء على تلك القرائح، الا انهم وجدوا في تلك الحياة ما حملهم على الراحة والكسل والخمول لان خبزهم وماءهم حاصل من دون عناء ولا جهاد، فخمدت منهم العزائم وانحطت القوى. وما المساواة الاشتراكية سوى عيشة رهبنية في طرز جديد. واقل ما فيها انها تقضي على المباراة الشخصية وتميت عاطفة الطموح وتؤمن لكل شخص الحصول على ضروريات الحياة دون ان تشدد في وجوب تقديمه افضل ما بامكانه من الخدمة لقاء ما يحصل عليه. وهل يخطر لك والطبيعة البشرية على ما تعهدها ان تكون نتائج هذا النظام افضل من

نتائج الحياة في الصوامع

اني لم اطلع بعد على طريقة اتبعت لحصول التساوي في المال بين الناس ونجحت. وحينما جرب العمل بمبادئ الاشتراكيين المتطرفين كانت نتيجته الخيبة لا شك ان القول خذ المال من هذا الرجل خوفا من ان يسيء استعماله واعطه لذلك الرجل قول ترتاح اليه النفس ويظهر انه العلاج الشافي لادواء كثيرة بين البشر. ولكن الا يكون من نتيجة ذلك جعل الهيأة البشرية عبارة عن نظام سجن حيث لا يطلب من الناس التفكير او الجهاد او الرقي ويعطى لهم قوتهم اليومي، وهل هذا النظام افضل من نظام العالم الحاضر. كلا لانه يؤول الى انحطاط الفرد السريع وانقراض النوع البشري. وهذا كما قلت لم يعلمه المسيح. المسيح يعلم المسؤولية تجاه الانسانية اي ان الاغنياء والفقراء على السواء يجب عليهم ان يحبوا قريبهم ويحب بعضهم بعضا. وحينما توجد المحبة في قلب انسان نحو قريبه في عرف المسيحية لا يجد صعوبة في كيفية انفاق ماله

لا خلاف في ان الجماعة المسيحية الاولى اتبعت نظام الاشتراكية، ومع انها لم تحافظ عليها الا ان روح الاشتراكية المعتدلة سرت في عروق المسيحية منذ ذلك الحين وظهرت في كل

ترتيباتها ونظاماتها ولكن الامر المهم جدا هو التمييز بين الاشتراكية المسيحية المعقولة وبين الاشتراكية المتطرفة الغير معقولة التي تنكر حقوق التملك من اي نوع كان حاسبة اياها ظلما واستبدادا ونظن ان العالم متى دخل في فجر عصره الذهبي يغادر كل حق له في التملك . ولا امتاح الى القول بانه ليس بين تعاليم المسيح كلها ما يشفع بهذه النتيجة ويؤيد هذه النظرية ، لان المسيح اعترف بحقوق التملك في كل تعاليمه الاجتماعية، اما الذي انكره وحمل عليه فهو سوء استعمال المال وانفاقه على مآرب شخصية ورغائب نفسانية وهو لم يلم الغني لغناه بل لانه انفق كل ماله على نفسه وابقى المسكين لعازر منبوذا على بابه وهو فضلا عن ذلك لم يعلم بتساوي المواهب والوزنات بل شدد في حسن استعمالها سواء أكانت كثيرة ام قليلة . هذا هو نظام الاشتراكية المسيحية

اما اشتراكية اليوم فغايتها ازالة كل الفوارق من بين الناس وفات اربابها ان في مثل هذا النظام الذى يرمون اليه يصبح الانسان مجرد آلة ميكانيكية ويخسر حرية ارادته



الفصل الثاني والعشرون

الشفاء بالايمان ومناجاة الارواح والاستهواء

جاءني احد تلاميذي اليوم واخذ يسرد لي حوادث تؤيد الشفاء بالايمان . وهذا نص حادثتين من الحوادث التي سردها

كان شاب مصابا بالتهاب في حلقه مدة طويلة وقد اطيلت حياته بسبب العمليات الجراحية التي عُملت له ، ولكنه شفي حالا استجابة لصلاة الايمان . وهذه الحقيقة يؤيدها والده وهو مدير طاحونة كبيرة ورجل واسع الادراك ، ويشهد لها امه واخوه وهو طالب لاهوت ، ويثبت صحتها اقرباؤه الساكنون في مدينة اخرى وقد شهدوا بذلك عَلَى مسمع مني

وهذا نص الحادثة الثانية

روت لي امرأة وهي زوجة تاجر فخم كبير انها شفيت من سوء الهضم المزمن الذي كان قد نغص عيشها مدة ثلاث عشرة سنة وضاعت فيه حيل احذق الاطباء وانها منذ مارست الايمان اكلت كل ما كان يأكله سائر افراد العائلة وصارت صحتها بغاية الجودة

اني خصصت هاتين الحادثتين بالذكر لانهما عَلَى ما ظهر لي اقوى الحوادث التي ذكرها ولانهما كانتا من مشاهداته الشخصية

لا مما نقله عن افواه الناس · على ان كل منتقد منصف يميز حالا المواضع التي تجرح في هاتين الروايتين، لانه من يشهد لحادثة الشفاء الاولى ؟ الشاب نفسه وافراد عائلته ، اما اقرباؤه الساكنون في بلدة اخرى فلا ينبغي ان يحسب لهم حساب لانهم عَلَى الارجح رددوا ما بلغهم · ورب قائل اليس الشاب نفسه شاهدا ثقة ؟ اولا تصدق شهادة عائلته ؟ ربما كانوا شهودا عدولا ولكن ليس في مثل هذه الحادثة التي تفتقر الى قرار طبي وليسوا قضاة ثقاة لان في الامر ما يتعلق بهم · امثال هذه الحادثة يجب ان يحكم فيها مهرة الاطباء ، فمن الممكن ان يجدوا لهذا الشفاء الفجائي اسبابا طبيعية او يجدوا في المرض ما يقضي بهذه النتيجة الفجائية

واما الحادثة الثانية فاوهن من الاولى، لان السيدة المصابة بسوء الهضم لم تمارس الايمان فقط بل فعلت شيئاً معقولا كان يجب عليها ان تفعله من مدة طويلة وهو انها اكلت كل ما كان يأكله سائر افراد العائلة ونتج عن ذلك ان تحسنت صحتها. كل يعرف ان الوهم واليأس واضطراب الفكر لها علاقة شديدة بالهضم · والظاهر ان هذه السيدة التي سممت جسمها بتجرع الادوية الغير النافعة عادت فجأة الى نفسها وتعلقت بما يبعث على الامل وتغلبت على ما كانت تتوهمه من الضعف واكلت كل ما يأكله سائر افراد العائلة

فتحسنت صحتها لا عجوبة في ذلك ولا ما يقتضي الحيرة . اني درست مرة مسألة الطعام درساً جيداً لكي اتجنب سوء الهضم ، ولكني ما لبثت ان رأيتني محمولا على الوهم وكدت اصاب به ولكني غادرت افكاري واوهامي حالا واخذت آكل كل ما اشتهي فعدت كما كنت .

اما ما يسمونه الشفاء بالايمان فما هو الا فعل من افعال الارادة مقرونا بقليل من التعقل وبكثير من الامل ولذلك فاني اقول للناس دائما ان يخففوا عنهم و يعتقدوا انهم يشفون ، لاني اعلم ان الامل افضل علاج للشفاء . ولأوقية سرور خير من قنطار من الدواء ، وعندي ان هاتين الحادثتين وامثالهما يفسران بارجاعهما الى اسباب طبيعية

وهكذا قل في مسألة مناجاة الارواح ، لان الكتابة على الالواح وايدي الارواح وسائر ما هناك فعله كثيرون باشياء طبيعية بسيطة وافعال علمية . ان العلم قد حل كل هذه الاسرار وغيرها مما ينسب الى افعال خارقة الطبيعة ، فان الجرس الكوكبي اصبح اليوم حقيقة معروفة لان العلم قد بين انه من الممكن ارسال الرسائل حول الكرة الارضية بدون سلك كهربائي . وهذا مما يحملنا على الاستنتاج بتعقل ان السحر في القرون الوسطى كان حقائق

فعلية وان ما ظهر فيها من الاعاجيب ان هو الا نتيجة نواميس طبيعية غامضة لم يفهم منها العامة شيئا

هذا هو اعتقادي بمناجاة الارواح اني اسلم بانها لا تخلو من الحقائق ولو كانت عجيبة ، لان الحياة كلها مملوءة من العجائب بحيث ان لا عجيب فيها غير قابل التصديق وعليه اقول ان اعجب عجائب مناجاة الارواح قابل الحل وما كان منها لا يزال غامضا سيجلوه العلم يوما ما عندما تكتشف النواميس الطبيعية كلها. غير انه من المهم ان نذكر ان العجب غير خارج عن دائرة العلم بل داخل ضمنها

واما الاستهواء فشيء خارج عن دائرة مناجاة الارواح والشفاء بالايمان ·

واول ما اذكر عنه انه امر حقيقي · صحيح انه وقع فيه كثير من الخداع تحت ستار قراءة الافكار وغيرها ، ولكن لا احد يشك بان الاستهواء قوة حقيقية لانها خاضعة للعلم والعلم يسلم بها

ثانيا — انه اذا احسن استعمال هذه القوة جاءت بالنتائج الحسنة الكبيرة فاني اعرف حادثة استخدم فيها الاستهواء لشفاء انسان من السكر وكان النجاح حليفا لها · ذلك ان مستهويا

وهو طبيب ماهر استخدم قوة ارادته في التغلب على ارادة احد السكيرين من مرضاه فكرّه اليه المسكر ومنعه عنه منعا باتا وقد نجح في ذلك نجاحا باهرا، لان الرجل الذي كاد المسكر يميته تركه حالا حتى اصبح يحس بالصراع حالما يشم رائحة المسكر

هذا وان كثيرا مما ندعوه بقوة العارضة والقوة المغناطيسية التي تظهر في الرجال العظام ولا سيما في الخطباء والزعماء ان هو الا نوع من الاستهواء. اما في الخطباء فهذه القوة اوضح من ان توضح وابين من ان يشار اليها الا نشير عادة، دون ان نميز معاني كلماتنا تماما، الى العين المغناطيسية والصوت الجذاب والاشارة الساحرة في بعض الخطباء ؟

الا ان هذه القوة اذا اسيء استعمالها كأن تستخدم لغايات شريرة تأتي باعظم الشرور واشد الويلات · ومما لا جدال فيه انها قد استعملت احيانا كثيرة لاحداث الجنايات. ولهذا السبب كان من الواجب حصر استعمالها بقدر ما يتصل اليه الامكان بواسطة قوة الحكومة · وعندي انه ليس من الحكمة الخضوع لها او استعمالها في امور لا لزوم لها فان كانت لك هذه القوة فاستخدمها لغاية حميدة كما استخدمها ذلك الطبيب الذي سبقت الاشارة اليه وان خضعت لتأثيرها فليكن ذلك لسبب كاف او لمعالجة طبية ·

وان احد مخاطرها اننا لا نعرف كثيرا عن طبيعتها والحد الذي يمكن ان تصل اليه، وذلك كاف لان يردع العاقل عن ممارستها بطيش

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فقد اذكرني الكلام عن الخطابة بحادثة كنت من المعاينين لها.

سمعت من مضي عدة سنين خطيبا مصقعا شديد العارضة قوي الحجة، ولما وصل الى نقطة من خطبته سحر السامعون وغابوا عن الوجود فلم يعوا ما يفعلون حتى وقفوا جميعهم واخذوا في التصفيق الحاد مده طويلة. ولم يكن ذلك ناشئاً عن شيء من قبل بل كان نتيجة اشارة فجائية من الخطيب. اما انا فشعرت كأن مجرى كهربائيا هز جسمي كله ولا شك عندي ان ذلك كان الواقع. وتعليله ان قوة خرجت من الخطيب فكهربت كل الحضور. وبعد عدة سنين سمعت الخطبة عينها من الخطيب نفسه ولكنه كان قد طعن في السن واصيب بضعف عصبي ولم يعد قادرا على اصدار تلك القوة المغناطيسية كما كان يفعل عندما كان في زهرة الشباب. ولقد كانت الكلمات هي هي والاشارات هي هي، ولكن لم يكن لها التأثير الذي كان لها في السابق فلم تكن الخطبة سوى تسجيع بارد واصغى اليها السامعون بكل بروده. حينئذ ادركت سر الامر. كان له فيما مضى قوة

الاستهواء ولكنها تلاشت بعدئذ بسبب كثرة الاستعمال وتأثيراتها على الاعصاب

كل من مارس الخطابة في النوادي العمومية يشهد لصحة ما رويته في هذه الحادثة . وما يشعر به الخطيب من الهبوط في القوى والضيق في الصدر والانحطاط في الاعصاب بعد خطبة يجهد نفسه في القائها يعلل بالرجوع الى هذه القوة قوة الاستهواء . اني اعرف خطيبا ذاق اللسان يخطب في الفي شخص في مساء كل يوم احد ، وقد اخبرني انه لا يخطب مرة الا ويشعر بالقوة المغناطيسية خارجة منه ، ويكون من نتيجة ذلك انه يظل شاعرا بالهبوط والانحطاط حتى يوم الثلثا او يوم الاربعا الى ان يعود اليه توازنه . هذا ما يجعل فن الخطابة اشد وطأة على الانسان من الكتابة ، لان الكتابة تقتضي التهيج في الدماغ ولكن هذا التهيج مقرون بالارتياح في حين ان الخطابة تجمع بين تهيج الدماغ وانحطاط القوة العصبية

في الكتاب الذي الفه الدكتور اوميرا عن احاديث نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة هذه الحادثة العجيبة . وهي ان سبرياني احد خدم نابوليون كان مريضا واشتد به الداء الى ان انطرح على الارض في حالة الذهول ، فخطر لنابوليون ان

يظهر امامه بغتة قائلا في نفسه ان ظهوري امام سبرياني المسكين يذهب عنه الذهول و يوقظه وينتهي به الامر اخيرا الى التغلب على الداء والشفاء منه . وهكذا فعل فحصلت النتيجة المرغوبة . وقد شبه نابوليون هذا الفعل بسائر افعاله الكهربائية التي كانت تقع عند ظهوره في ميدان المعارك في كل وقت يتحرج فيه الامر. تأمل في قوله افعال كهربائية . هذا اذن سر نجاح نابوليون قوة استهواء فعلت فى كل الذين كان لهم علاقة به . قوة اخضعت اراداتهم لارادته فجعلت منهم آلات مطيعة ، ولو كانت آراؤهم افضل من رأيه احيانا . تأمل مثلا في المظاهر الخارقة العادة التي ظهرت اثناء عودته من جزيرة البا حيث نفي اول مرة . لم يكن عليه الا ان يظهر امام فرقة كانت قد اخذت على نفسها العهود والمواثيق بان تفتك به حالما يقع نظرها عليه .

غير انه لم يكد يبدو جسمه السمين القصير حتى اغمدت السيوف وانحنت الرقاب واحسوا بقوة تجذبهم اليه كما يجذب المغناطيس قطعة الفولاذ .

لم ير في تاريخ اوروبا الحديث حادث تعجب منه العالم مثل حادث قيام فرنسا مثل نهوض المشاهدين في احدى نوادي التمثيل

لتحيي نابوليون حالما ظهر على المسرح · حقا ان هذه النتيجة لا يمكن ان تنتج الا عن انسان كانت له هذه القوة الكهربائية ٠ فلا نشك اذن ان قوة الاستهواء قد لعبت في التاريخ دورا مهما لم يخطر لنا ببال ، لاننا منذ عهد قريب جدا ابتدأنا نطبقها على مبادئ العلم ونقيسها بقياس نواميسه

الفصل الثالث والعشرون

البوذية والمسيحية

ما كاد كتاب السر ادون ارنولد الموسوم بنور اسيا يظهر في عالم التأليف حتى اعجب القوم به اي اعجاب، ولا بدع اذا اخذ بمجامع القلوب لانه مرصوف رصفا يزري بعقود الجمان و يفعل في القلب فعل السحر الحلال·

ومما جاء فيه يتبين ان بعض العبارات التي نطق بها غوتاما شبيهة بكلمات يسوع المسيح· من ذلك قوله « اني لن اقنع بخلاصي الشخصي بل اجد في كل حين لاجل خلاص العاملين جميعا » وهذا كما ترى موافق لروح المسيح · وان في تركه الثروة والجاه ورضاه بالفقر مختارا شبها بالمسيح ايضا· وقد كانت شفقته على الناس لا حد لها ، ومحبته امتزجت بكل تضحية ، وكان

فيه كثير مما هو محبوب وجذاب ، مما جعل اسمه خالدا. وعليه فلا بدع ان يكون السر ادون ارنولد قد وجد في حكاية بوذا مجالا متسعا للشعر والخيال كما انه من الطبيعي ان يكون القلب البشري قد تعلق بها وارتاح اليها

علَى ان القصيدة المشار اليها لم تصور البوذية كما هي تماما. اما من حيث الشعر فلها مزايا عديدة ، واما من حيث بيان روح البوذية (هذا اذا كان السر ادون ارنولد قد قصد ذلك وهو مشكوك فيه كثيرا) فهي مضللة كثيرا

ويتضح ذلك لدى الرجوع الى عقائد البوذية الرئيسية . فان جوهر الديانة البوذية يدور علَى اربع حقائق كبرى وهي اولا ان العالم كله مملوء من دواعي الحزن ثانيا ان جميع الاكوان هي نتيجة التعلق بالحياة ثالثا ان الكيان يمكن ان ينقطع بانقطاع الرغبة او التعلق في الحياة رابعا ان التعلق في الحياة يمكن ان يزول باتباع طريق النرفانا او الفناء هذا هو جوهر البوذية . فهي تعلم ان العالم كله شر وان طريق النجاة هو الهرب من العالم ، وان الانسان شقي ولا شفاء لشقائه، وان طريق خلاصه هو بانقطاع الحياة او الفناء اي النرفانا

واليك اشهر احاديث غوتاما . جاءته مرة امرأة وقالت له

أبوسعك ان تشفيني من حزني فاجاب نعم ايتيني بقبضة من بزر خردل ولكن يجب ان تؤخذ من بيت لم يمت فيه ابن او ابنة او زوج او زوجة او عبد · فذهبت المرأة لتحضر له ما طلب · ولكن قيل لها في احد البيوت مات والدنا، وفي آخر مات احد الاولاد، الى ان لم تاق بيتاً الا فقد منه واحد او اكثر · فطرحت الولد الميت وعادت اليه قائلة اوّاه إن الاحياء قليلون والموتى كثيرون فاجابها بوذه ظننت انك تفردت بموت ابنك فظهر لك بالاختبار فساد زعمك وهذا كان كل جوابه · لم يجد ما يعزيها به سوى قوله ان الحزن والموت من نصيب كل حي · أبعد هذا اليأس يأس ؟ او من الممكن النظر الى الحياة باشد من الحزن والكدر

فالبوذية اذن، كما يتضح بعد البحث الدقيق، إن هي الا معرض مؤلم لليأس البشري، وصوت جارح من الاصوات الكاسرة للقلوب · فهل تجوز المقابلة بينها و بين المسيحية ؟

ان المسيحية تنادي بالرجاء في حين ان البوذية لا تحسن سوى الندب والرثاء · المسيحية تنادي بالولادة الجديدة اما البوذية فبالموت · المسيحية تعلم بالخلود اما البوذية فبالفناء · لما جاء الخطاة والحزانى الى المسيح الم يكن له ما يجيبهم به سوى ان العالم مملوء من الحزن؟ ولما جاؤوا به امام الموتى الم يكن ما يعزيهم به سوى

القول ان الموت شامل عام ؟ كلا بل كان يجيب قائلاً « انا هو القيامة والحياة ، من آمن بي لا يموت ابداً » حقاً انه ليس في البوذية ما يدل على الخلاص الحقيقي او فداء الجنس البشري . صحيح ان شفقة غوتاما على البشر كانت شديدة ولكن لم ينتج من تعاليمه اخاء بشري حقيقي . وبعد ان مر على ديانته اربعة الاف سنة كانت في اثنائها متغلبة على الفكر الشرقي لا يزال الحكيم في الشرق الاقصى يترفع كثيرا على الجاهل ، والغني على الفقير ، تتمشى حياتهما على خطوط متوازية ولكنها لا تلتقي ابدا . اما ما يدهش العقل في المسيحية اليوم فهو تعليمها باخاء بشري حقيقي واقع اليوم بين الامم المسيحية يلتقي فيه العالم بالجاهل ، والغني بالفقير ، والسيد بالمسود ، والمالك بالمملوك ، والامير بالصعلوك . ألا ان محك كل دين هو « من ثمارهم تعرفونهم » واذا نحن حككنا البوذية به نراها سقطت من تلقاء نفسها ، ليس لانها عجزت حتى الآن عن ان تفعل شيئاً يريح القلب البشري مما يعانيه ، بل لكونها زادته ثقلا ويأسا وشقاء

ايها الشاب لا تمتنع ابدا عن قراءة كتاب نور اسيا ولكن لا تنسَ انه كلام شاعر يتخيل الحياة العالمية بارفع مظاهرها ، لا مظهرا حقيقيا لتلك الديانة القديمة . الا ان هنالك « نور العالم »

الباهر الذي ليس نور اسيا امامه سوى نور ضئيل · وكلما تعمقت في درس المقابلة بين البوذية والمسيحية ظهر لك ان الاولى لا تداني الثانية في شيء · وكلما تعمقت في درس البوذية ظهرت لك افضلية والوهية تلك الديانة التي تعلم الرجاء وقد جددت العالم بقوة هذا الرجاء الذي بعثته في كل الارجاء



باسيلا خليل الجدع

لبى هذا الرجل دعوة ربه عن ٦٨ عاماً قضاها حياة تقوى وبر وصلاح فاسف الجميع لوفاته اسفاً شديداً لما كان عليه رحمه الله من الاخلاق الرضية والصفات الطيبة فضلاً عن افضاله على الطباعة فى حيفا وكان مؤسس اول مطبعة فيها سنة ١٩٠٨ وطابع كل الصحف التي صدرت قبل الحرب العظمى في هذه المدينة وقد بقي مهتماً بالطباعة حتى قبيل وفاته وله عدا ذلك اتعاب جمة تذكرها له الطائفة الكاثوليكية بالشكر منها جهاده المبرور يوم اسست المدرسة الطائفية سنة ١٩٠٤ فقد كان من كبار العاملين علَى تأسيسها وذهب الى بيروت باسم الطائفة لاحضار معلمين ففاز بهمته

رحمه الله رحمة واسعة وكافأه عداد حسناته والهم قرينته واله الصبر والسلوان

زهيرة

مأساة ادبية تاريخية ذات خمسة فصول

تأليف ڤولتير

تعريب

نجيب فرج الله فياض

نشرتها مجلة الزهرة

لصاحبها وصاحب المكتبة الوطنية في حيفا

جميل البحري

تطلب من المكتبة الوطنية في حيفا

مطبعة الزهرة - حيفا

رواياتنا التمثيلية

		قرش مصري
سجين القصر	(خمسة فصول)	٦
قاتل اخيه	(ثلاثة فصول)	٥
ابو مسلم الخراساني	(ثلاثة فصول)	٥
وفاء العرب	(ثلاثة فصول)	٣
الخائن	(ثلاثة فصول)	٦
زهيرة	(خمسة فصول)	٥

تحت الطبع

في سبيل الشرف (خمسة فصول)

كلمة للناشر

ان ما نراه من الاقبال الشديد على رواياتنا التمثيلية رما نأخذه من الرسائل الكثيرة المطالبة بايجاد روايات ادبية غيرها لتمثل على المراسح العربية لينشطنا الى زيادة الخدمة والى العمل على اتحاف معاشر عشاق التمثيل الادباء بما يصل اليه مجهودنا من الروايات الجديرة بهم، وها اننا اليوم نزف اليهم هذه الرواية ولنا ملء الثقة انها ستروق في العيون مع الامل الوطيد ان لا نقصر بمعونة الله وتنشيطهم على متابعة عملنا والله سبحانه ولى التوفيق

شهر آب سنة ١٩٢٥

جميل



اسماء الاشخاص

معن	سلطان بيت المقدس
زهيرة	مربوبة السلطان
فاطمة	وو وو
فراس	قائد في معية السلطان
منذور	وو وو وو
مملوك	
حاشيه	
لوزينيان	امير فرنساوي من سلالة امراء بيت المقدس
نيرستان	جندي فرنساوي صاحب وسام
شاتيون	وو وو وو وو

وقعت الحادثة في القدس الشريف في قصر السلطان

الفصل الاول

المشهد الاول

زهيرة فاطمة

فاطمة   عجبا يازهيرني من هذا التغيير الطارئ على شمائلك في هذا المكان فأي أمل فرار او اي حظ ابيض بدل سواد ليالبك بهذا اللألاء وهذا الصفاء والسناء فازداد لمعان حسنك الفتان بزوال الغم عن فؤادك الولهان وحلول السكينة فيه والامان كأنها طرفك الباهر بعدما اكد من ذرف العبرات ومالي أراك قد حولته عن تلك الارجاء المحبوبة حيث تقدمنا ذاك الافرنسى الباسل واعدا بان يعود فيقودنا اليها ومالك قد كففت عن ذكر تلك البلدان الجميلة حيث بلغ تمدن الرجال وظرفهم اعظم شأو فاقاموا للغيد نظيرك هياكل قربوا فيها لهن العبادة وحرقوا البخور اجلالا للاعين الجذابة كعينيك فاقمن فيها حرائر غير مقيدات ولا شاردات وطاهرات غير متصنعات ولا مقتصرات وعفائف لا وجلات ولا مرعبات او لم تزالي تتوقين الى تلك الحرية الجميلة والى التخلص من هذا الرق

والنجاة من عناء الاسر والحصر فى ظلمات هذا القصر ام تؤثرين هذا الساحل على سواحل نهر السين البديع

زهيرة كيف نرغب من الدنيا بشيء جهلناه ولا نعلم سوى ان قضاء الله اوقفنا على شواطىء هذا الاردن منذ حداثتنا وكيف لا آلف هذا القصر وقد آواني طفلة واحاطت بي جدرانه واغلقت علي ابوابه منذ نعومة اظفاري فاصبح كل ما عداه لديّ كالعدم كما اصبح لى سلطانه الكل في الكل فانا بشرعه مشترعة وبأمره مؤتمرة وبمجده معتزة وبسلطانه مستقوية وكل شيء لدي حلم باطل ما خلا الحياة تحت ظله فهى محط آمالي وغاية مناي وكل سؤالى

فاطمة هل نسيت ذلك الافرنسى الكريم ذلك الصديق الودود الذي طالما عللنا بتحريرنا وقطع قيودنا وكم كنت تعجبين بعزة نفسه وبسالته وكم كان يدهشنا بشهامته وكم أبلى في الحرب بلاء حسنا وكم نال من مجد وفخر في تلك المعارك المشؤمة التى انكسر بها النصارى تحت اسوار دمشق وكم اعجب ممن الظافر بذاته بغريب أقدامه وعجيب ثباته فاطلق سراحه من بين جميع الأسرى واثقا بقوله انه لا يغيب الا ريثما يعود حاملا اليه فديتنا وثمن حريتنا فهل يكون أملا خائبا ما علل به افئدتنا

زهيرة ربما استحال عليه انجاز وعده فها قد مضى العام

بعد العام دون ان يعود فلا تعجبي يافاطمَ من اسير مجهول غريب اذا اكثر من الوعد وقلل من الوفاء وغلظ الاقسام الكاذبة طمعا بالتخلص من قبضة الاعداء اما انا والحق يقال فمستغربة تجاوزه هذا الحد في حميته وفي تعهده بالرجوع الى وثاقه او بقطع وثاق عشرة جنود من رفاقه فدعي ذلك الفتى في خبر كان واطرحي وعده في زاوية النسيان

فاطمه من يدري فربما بر بيمينه ولو بعد مضي عامين أفلا يسرك ان يأوب وان لا تكون مواعيده كما ظننت مواعيد عرقوب

زهيرة ربما كان سرني قدومه قبل الآن

فاطمة هل جد اذا لديك ما ليس بالحسبان

زهيرة اجل فلم يعد بوسعي الكتمان وقد حان لك ان تطلعي على سري رغما عن كوني بافشائه اخون سر السلطان ولكن قلبي يطالب له الاندماج في قلبك والاباحة لك باسراره واثقا بحبك واميناً من رزانتك وصيانتك فاعلمي انه منذ ثلاثة اشهر خلت على نقلك مع بعض السبايا من شواطىء الاردن الى هذا القصر لاح لي أن الله اختار اقوى يد لانتشالنا من هذا الشقاء فاوقع في قلب ممن العظيم اعظم حب وشغف بفتاة مثلي حقيرة

فاطمة ماذا تقولين ؟

زهيرة — نعم ان ذلك السلطان المظفر غالب النصارى غالب على امره في حبى

اراك تحمرين خجلاً وقد ادركت ما يخجلك فانفي عنك هذه الظنون ولا تتوهمي أني ممن تذل تقرباً من عظمته او محاولة لسلب مهجته او اختلاساً لمحبته او رغبة فى مقام سام يرفعني اليه السلطان بهواه فيهوي بي عار أمسى به حظية السلطان فاعرض نفسي للذل والهوان والا فتضاح بحب أشبه بسحاب عابر أو ظل زائل لالا فان قلبي لا يخالف بهبوطه الى هذه الدركة ماسمت به أنفسنا من أنفة نوطدها الحشمة وعزة يدعمها الحياء واني لأجزع من فقد الشرف معتقة أميرة ولأجزع من فقدي الحياة مكبلة اسيرة ولا غرو ان تعجبي من قولي لك انه يحبني حباً صحيحاً طاهراً حول الي قلبه وناظريه دون كل جارية حسناء تحاول كسب ميله وانعطافه وغادة طامعة باعجابه والتفاته وان هذا الحب سيقدسه عما قريب زواج شرعي ميمون ان شاء الله

فاطمة — انك وأيم الله جديرة بهذا الفخر بما لك من من مزايا ومناقب ومحاسن وجواذب واني لأطرب ولا أعجب من ذلك ويسرني جدا ان تتسلطي وان اكون اول خادمة لسلطانك والله يتمم هناءك ويكلل بالسعد اقترانك

زهيرة　بل تظلين لي نديده واظل العمر بصداقتك سعيدة فيتم لي هناء تهنأين له وتذهب لي سعادة تسعدين بها

فاطمة　انما عسى الله ان ينظر بعين الرضى الى هذا الزواج وعسى هذا الفخر المعد لك وهذا النعيم الذي يستقبلك ان لا يكون اسماً بغير مسمى وان لا يعكر صفاء قلبك ويكدر نقاء سريرتك فهلا شعرت برادع في سرك يردعك من هذه النية وهلا ذكرتِ انك وُلدتِ مسيحية

زهيرة　علامَ تثيرين اشجاني بهذه الذكرى المؤلمة فهل أتاح لي الله أن أعرف من انا أولم يزل سر نسبي غامضا

فاطمه　أما قال لك نيرستان ذلك الجندي الفرنساوي المولود في مدينة قريبة من هذه المدينة ان والدك مسيحي واي اشارة أدل لنا على ذلك من ذلك الصليب سمة النصارى حلية الصغار الذي وجد في عنقك والذي ساعدتكِ على حفظه وطوقتك به يدي مرارا وهو ولا شك باق على صدرك عربونا خفياً للولاء المتوجب عليك نحو ذلك الاله الذي انكرته

زهيرة　ان هذا الدليل غير كاف لانارة عقلي التائه في هذه الظلمات ولا مستوجب عبادتي الهاً لا يؤلهه الرجل الذي سوف يجعل من نفسي ونفسه وقلبي وقلبه نفساً وقلباً واحداً فالاحرى

بي ان اعبد وإياه الهاً واحداً . ان السنة والعادة التي تجري مجرى السنة دربتا حداثتي على دين الاسلام الميمون وان ما ينقش منذ الصغر في نفوسنا هو ما تظهر فيه وما تتألف منه عواطفنا واخلاقنا وديننا ويقيننا واني لأكون في الهند بوذية وفي رومة عيسوية وهنا محمدية تبعا للتربية الاصلية ولأول حرف طبعته في قلوبنا اللينة اليد الأبوية وثنت وثلثت رسمه الايام والأمثلة الحية فامسى ولا تقوى على محوه الا اليد الصمدانية

اما انت فلم تحملي الى هذا السجن الا بعد ان كنت أدركت من الرشد واستنارت بصيرتك في دين آبائك ومعتقدات اجدادك ولم تحملى مثلى وانا في المهد موثقة بوثاق العبودية أمة اسيرة رقيقة مربوبة بني اسماعيل لم انشأ على شئ من دين بني عيسى وما علمت منه الا ما علمته اخيراً وما اشرت اليه من اشارة هذا الصليب الذي والحق يقال لم يتمالك طرفي من التهيب لديه وقلبي من مقابلته بالاجلال والذي طالما كنت استنجد به في خاطري قبلما ملأت صورة من كل بواطني وسرائري وأن انس لن أنسى ما حدثني عنه مراراً نيرستان وما كنت اصغى اليه باعجاب واستحسان من شريعة عيسى وتعاليمه السامية التي تأمر بالمحبة والمؤاخاة والاحسان وتخفف بلاء الانسان

فاطمة اذاً ما الذي يحملك ان تخالفي هذه الشريعة الحسنة السلمية وتتمسكي بالشريعة الاسلامية وتعادي النصارى باقترانك بعدوهم وقاهرهم وكاسر شوكتهم

زهيرة ومن التي اذا اهداها معن قلبه ترفض هذه الهدية الكريمة اولا تعيأ بهذه الجوهرة اليتيمة أو لا تكون مدى العمر على حبه وعهده مقيمة اجل لولا هذا الحب الذي تسلط على نفسي لكان محتملا ان اعتنق دينك واذهب مذهبك انما معن احبني فأنساني كل ما ابس بمن وحول ناظري عن كل جمال وعظمة دون عظمته وجماله وملأ نفسي نعيما مالت به نشوى مذ شعرت بميله اليها فتمثلي ظرفه واطافته ومآثره وسطوته وتصوري تلك الذراع الحديدية قاهرة اعاظم ملوك البرية وذلك الجبين الوضاح المكلل بالمجد والانتصار واعذري زهيرة ان استمالتها هذه العطية المفتخرة السنية وان اعطت لفاءها نفسها وضيعة وجلة حيية واياك ان تلتفتي الى ما اعطانيه من سلطان وتاج وصولجان او تتوهمي ان العاطفة التي تلقيني بين يديه هي اعترافي له بهذا الجميل وامتناني من رفيع قدر يرفعني اليه لا وحاشا للحب ان يكون في قلبي وليد هذه العاطفة وحاشا لقلبي ان يكون محبوبه ومالكه السلطان معن لا نفس معن فلولا سمح الله قدر له يوما حظا كحظي من الاسر والعبودية وسلطت

مكانه على كل سوربة لتنازلت بدافع الحب الى وضيع منزلته فأنهض به الى رفعتي واضم مهجته الى مهجتي

فاطمة اسمع وطء اقدام فلعله القادم

زهيرة خفقان قلبي يبشرني بقدوم حبيبه بعد تغيبه عن هذا القصر يومين خالتهما عامين فما احلى هـذا العود الحميـد على قلبي

المشهد الثاني

معن زهيرة فاطمة

معن يازهيرتي الزكية قبل ان يجمع الزواج قلبينا ويوحد حظينا يوجب على اسلامي ان احدثك بلا مواربة عن مرامي وعنك ومن غرامي فاعلمي انى لست بحاذ حذو السلاطين في تصرفهم وسننهم التى يفسحون بها لشهواتهم مجالا لا حد له ويحللون لانفسهم كل ما طاب لها وحلا ولا ياذل شعائري وامبالي اقاء طيب تطيب به قدمي وبخور تبخر به منشقي وعطر تعطر به انفاسى ومخدرات تخدر بها حواسى حظيات متوهقات منحنيات ولا بعائش منعما فى قصري اصدر منه نهيي وامري واسوس ملكي ورعيتي منغمسا فى ملذتي لا بل انا مقص عن نفسي نخنتا ونرفا حات

بدآءتهما وأمرت عاقبتهما فقد رأيت لذلك مئات من الملوك متقهقرين مغلوبين وكم رأيت من سلالة أول خلق الله كل خليفة جبان رعديد راجف واجف في جلالته مضطجع على اطلال عرشه وخلافته مسلول يتلاشى في بابل تحت اسم سقيم خامل وما كان أخلق به أن يسود الكون كجده لو ورث من شيمته كما ورث من مجده اولئك الخلفاء الضعفاء أضاعوا اليهودية كما انتزعت من بين ايديهم سورية ولكانوا هووا بالسلطنة العربية لو لم يخلق الله صلاح الدين الغازي ليرد كيد عداة الاسلام في نحرهم ولم يستأثر الله به حتى أخضع أبي الاردن من بعده ثم تركني رحمه الله وريثاً ضعيفا لعرش جديد وسلطانا لم يقر له بعد قرار لدولة متزعزعة الأركان

فأنى اعيش بهذا القصر عيش الخمول مستسلما للاهواء بينما أرى اولئك الصليبيين الأجراء العطاش الى السلب مندفعين الى سواحلنا من سواحل الغرب وكيف أصغي الى صوت المتجملات المتملقات بينما يدوي صوت البوق والحرب من وادي النيل الى وادي الفرات لا وأبي وجدي وزهيرة ووجدي ان يكون سواك لي عشيقة حليلة شريكة رفيقه وان يقاسمك قلبي الا الجهاد في سبيل ربي ولا تظني اني كسواي سأقيم حراسا على

حرمتي . اولئك السوخ الجهنمية نفاوة آسيا جواسيس السلاطين الشائنة عبيد اهواء الموالي المقيتة المنتنة بل ان لك عندي اعتباراً يوازي محبتي وثقة بك وحدك لصيانة عرضك وحراسة حشمتك وها قد بحت لك بسري فاطلعت على خفايا صدري وشعرت انه لديك وحدك وقفت هنائي كما ادركت ولا شك . كم تمسي الحياة مرة كريهة اذا كان قلبك لا يخفق لما بذلته لك الا بالشعور الذي يتطلبه الصنع الجميل وكم اكون شقيا في غرامي اذا لم تلتهب فيه نفسك التهابا كنفسي واني لأخالني مبغضا منك اذا أحببتني حبا فاتراً بل أريد ان اكون متطرفا في حبي كتطرفي في كل شعائري فاحبك وتحبيني حبا ما بعده حب واكون أشقى الرجال بهذا القران اذا لم تكوني به أسعد النساء

زهيرة اذا كان هناؤك موقوفا على محبتي فلا تذكر بجانبه الشقاء فسوف تلقى ما لم يلقه غيرك من سائر خلق الله من نعيم ورغد ورفاه وستكون لي نعم الخليل الحليل والشريك الرفيق كما شئت ان اكون لك وسيكون لي علاوة ذلك الحظ العظيم . بأن أنال كل ما أرجوه من يد محسن كريم . وان أرى حسن نصيبي ومصيري في هذه الحياة من حسن افضاله وعوارفه الباهرات وأن اكون بكل نفسي صنع اياديه البيضاء أجل اذا كان راق

اميذيك خضوع قلبي واجلاله دون كل القلوب الخاضعة لسلطانك ووقع شريف اختيارك على ..

المشهد الثالث

معن زهيرة فاطمة قراس

قراس ان ذلك الأسير النصراني الذي ذهب الى فرنسا عاد يبر بأيمانه الآن وهو يلتمس المثول بين يدي السلطان

فاطمة يالله

معن لمَ لم يصحبك الى هنا فلا مانع من دخوله

قراس اوقفته يامولاي عند آخر الاسوار اعتقاداً بأنه لا يباح لنصراني المثول في هذا المقام مرموقا بنظر المولى الهمام

معن ليأتِ (يذهب قراس) فلست بمحتجب عن الخلق بل انبح مواجهتي لأي كان فذلك لا يحط من مقامي واستقبح تلك الاحكام العتيقة التي تجعل الملوك جبابرة خفية

المشهد الرابع

معن زهيرة فاطمة قراس نيراستان

نيراستان يا عدو النصارى الخليق باعتبار اعدائه ها قد عدت اليك لأقوم بما آليته على نفسي والتمس قيامك بما وعدت

بما وعدت به وعد حر كريم

فقد احضرت فدية زهيرة وفاطم وعشرة أسرى بعد عناء عظيم . وغياب طويل لا اظنه ينسيك قولك وقول السلطان سلطان القول فقم به خير مأمور وأطلق سراحهم فهم منذ الان بما أحمله احرار وقد افتديتهم بكل وسعي حتى عجزت عن افتداء نفسي وضحيت كل ثروتي في سبيل ذمتي وشرفي وفريضتي وها انا رهن يديك عدت الى الاسر راضخا لمن له الامر

معن اني لأعجب بكرمك وشهامتك ولكنني است تاركا لك سبيلا للافتخار بكونك اكرم مني فعد الى حريتك واسترجع كل ثروتك وخذ بدل العشرة مئة أسير نختارهم فيسيرون حيث تسير ويحدثون بني وطنك عن بعض شمائل بني سورية ويحكمون بعد رحيلهم من مني ومن ملوككم أخلق بسياسة هذه الرعية

انما بين هؤلاء الاسرى الذين رضيت بتسريحهم استثنى ذلك الامير الذي يدعونه لوزينيان سليل الافرنسيين الذين حلوا فيما مضى على عرش سليمان فباسمه ريبة لما لي من سلطان وبما له من حق الوراثة في العرش جرم لديّ عظيم لو غلبت فيه لكنت اسقطته بالسيف واجرمت . فقد حكم عليه القدران يقضي بقية ايامه بالحديد مصفدا وان لا يرى نور الشمس ابدا واني والله لمشفق على

حاله ولكن لا مرد لحكم القدر والقضاء اما زهيرة والحق اولى ان يقال فكل ما لديك من المال وكل ما لدى قومك وأسيادهم من المقدرة والاحتيال لا تستطيع به ولا يستطيعون ولو تألبوا أن ينزعوها من بين يديّ فسر غير حاقد علي

نيراستان (يخرج بعد أن يوجه برهة لحظابه نحو زهيرة ويتنهد)

فاطمة هونك اللهم

معن وأنت يازهيرة سيري وتحكمي كما شئت وتسلطي في هذا القصر وسيصدر امري باعداد حفلة تتويجك باقتران ميمون ان شاء الله

المشهد الخامس

معن قراس

معن أما لاحظت يا قراس ذاك المسيحى كيف رمقها بنظرة وتنهد ومضى

قراس أبيت اللعن يا مولاي انك على غير صواب في سوء هذا الظن وهذه الغيرة

معن أأنا اتنازل فأكون غيوراً ظنونا وأكابد كربا فظيعا مهينا وهل اكون محبا وتحركنى هذه العوامل التي تضارع عوامل

البغض ألا ان الارتياب مدعاة الى الخيانة وحاشا لي ان ارتاب بمالكتي وهي لم تاتي صاغرة الا داعي محبتي وقد أحببتها حبا أشبه بالعبادة

فكيف تقترن عوامل الارتياب الذميمة بعوامل الحب الساميه وأي عاقبة حينئذ وخيمه .. فلأطرح عني هذا الوسواس الذي يكدر صفاء نفسي فتعذب وقد تملكها الآن هناء لا أنقى ولا أعذب فسر يا صاحبي وأعد كل ما راق ولاق بهذا اليوم السعيد الذي فيه تقترن مهجتي بمنيتي وأنا صائر الاهتمام ساعة واحدة بشؤون سلطنتي فأتفرغ بعدها لزهيرتي

ينزل الستار



الفصل الثانى

المشهد الأول

نيراستان شاتيون

شاتيون   انهم مجتمعون واقفون على أبواب القصر منتظرين ملتمسين ان ينظروا بأعينهم البطل المحسن اليهم الفارس الباسل الكريم كاسر قيود الأسرى المساكين منقذ المسيحيين رسول المخلص الأمين . فاظهر لهم وطب نفسا برأى اولئك الرفاق ذارفين الدمع على قدميك لاثمين بالامتنان يديك

نيراستان   أنا لم أقم الا بما وجب على كل وطني محب لأبناء وطنه وبما كنت فعلته قبلي لو حللت محلى فخل عنك تعظيم فعلى

شاتيون   أجل وان على كل جندي شريف الشان ان يضحي بنفسه للدين وللاخوان وان النعيم لقلوب كقلوبنا انما هو بتضحية كل ما يؤول الى نعيم قريبنا وسقيا لمن استطاع بنعمة من الله أن يقوم مثلك بواجب ما أشرفه وما أسماه فلولاك لحرم

على عيوننا بقية عمرنا مرأى فرنسا وطننا ولبقينا عبيد ممن رسف في قيود من الشقاء والذل قيدنا بها بطش ابيه من قبل

نيرامتان لم اكن الا عبدا ممتثلا امر مولاه فقد اختارني الله لتليين شدة هذا السلطان الفتى واستعطاف قلبه ومع ذلك فأي مرارة ذقتها باسقائه من كرمه مزجها بعذوبة نعمه وشهد الله البصير السميع العالم بدخائل قلبي اني لم ارُم الا ارضاءه تعالى ولم ارج الا ان ارد الى سبيله القويم اجمل فتاة استعبدت معي منذ نعومة أظفارها من ذلك الظالم نور الدين

بعدما ارتوت وثاث من دمائنا ارض سوريه وغاب لوزينيان في قيصريه واقعا في قبضة اعدائنا المسلمين فاسرت معه وأنقذت بواسطة مواطني ثم رجعت واقعا في الاسر منذ ثلاث سنين انطلقت بعد أولاها الى باريز غير موثق الا بعهد آليته فأنجزته ورجعت مسرورا لنجاح مسعاي وحصولي على جل متمناي وهو اطلاق زهيرة الى عاصمة لويس مليك الفضل والصلاح

وقد تركت مليكتنا نفسها رعاها الله وقد راقت لها غيرتي واستعطفتها حبيقى باسطة من علو عرشها يد الحماية لهذه العذراء البهية فتصور عظم خيبتي وانخذالي لدى حرمانها من نخاص ابذل دونه دمي فوق مالي وتمثل تبدد احلامي وشدة انذهالي لعدم

أكترائها بغير مسلم ملكته قلبها واستسلامها لمستبد ظالم أخلصت له حبها وافجع ما فدحني وآلمني واصاب مهجتي بغم يوشك أن يقتلني هو حبوط جل ما بنينا من الآمال على اطلاق آخر سلالة امرائنا الأبطال فان لوزينيان شهاب الحرب الذي سطعت شهرته وضاء بمجده الخافقان سينطفئ نوره في السجن وينطفئ معه آخر نجم من سماء لوزينيان

شاتيون وأي جندي جبان يرضى بفك أسره وقائده لا يزال أسيرا؟ انك ياسيدي لم تعرف لوزينيان كما عرفته فاحمد الله لرفقه بك فجعل مولدك بعد زمن طويل من ذلك الزمن الموسوم بالفظائع الى الأبد بعد تلك الأيام المخضبة بالدماء والليالي المدلهمة بالبلايا التي رأيت فيها سقوط هذه الاسوار تحت نير مستعبدينا الطغاة وقد كانت من مفتتحات أجدادنا الكماة فلم ترَ ذلك الهيكل هيكل الله مهجوراً وذلك القبر المقدس قبر مسيحه مدنسا واباءنا وابناءنا وبناتنا ونساءنا يحرقون على ابواب معابدنا ودم مليكنا الشيخ مهدورا يذبح ذبحا فوق جثث ابنائه المذبوحين حالة هول ورعب وموت اندفع فيها هذا الباسل لوزينيان آخر فرع لذلك الاصل العظيم فاحيا قلوبنا وشدَّد عزائمنا وانقض بين أطلال الهياكل المهدومة والجثث المكدسة انقضاض الصواعق

واقتحم الاقوام من غالبين ومغلوبين ، ممسكا بيد ذاك الحسام يرويه آنا بعد آن من دما الاعداء وبيد ذاك الصليب الكريم سمة ديننا الأقدس الموقرة يستلفت به انظارنا ويصرخ فينا : الى الجهاد يا أبناء فرنسا المؤمنين ، ولا شك ان العناية الصمدانية التي اعتقتنا اليوم هي التي كانت وقتئـذ ممهدة سبيله مكتنفته حتى توصل الى انقاذ من سلم منا والنزوح بنا الى قيصرية حيث اجمعت أصواتنا على تمليكه علينا ولكن النار التي التهمت صهيون فاتلفتها ما لبثت ان امتد لسانها الملتهب الى جدران قيصرية . وكان تدميرها بعد الفتك بنا والهجوم على ملجئنا نتيجة خيانة يوناني خائن لئيم فسبحان الله العلي العظيم الذي شاء تركنا ضحية الخونة والظالمين ،

ولم يشأ فى هذه الدنيا الفانية ان يكلل الا بقتاد الانكسار جهادنا فى سبيله وباسمه الكريم وهذه كانت نهايتنا بعد ثلاثين عاما نابنا فيها من نوائب الدهر وصروفه أشكالا وناب لوزينيان من الاضداد شقاء واذلالا

وهو مع ذلك ظل عظيما حتى في المصائب غير هياب ولا متألم من النوائب ولا جزع الا من اوصاب اخوانه وهو منذ ذلك الحين يساوره الشجن والوهن في سجنه محجوبا عن الضياء تبيضه

ايامه كلياليه السوداء بعيداً عنا معتقلا صائراً نسيا منسيا من أوروبا قاطبة ومن آسيا. هذه حاله وهذا نصيبه فهل تعذب لنا الحياة وهو ما برح لاجلنا يتفانى ولاجلنا يلاقي من العذاب ألوانا

نيراستان صدقت فما أظلم القدر المفرق بيننا وبينه وباليته يقاسمني حظه وحاله فاني شعرت بقلبي يتفطر اشفاقا عليه وحنينا اليه ولم أتمالك من الاضطراب الشديد لدى سماعى روايتك المحزنة رغما عن سبق علمى بها منذ الصغر وقد هلعت منها مهجتى منذ طفوليتى وارتعدت لهولها فريصتي وذعرت لمرآها مقلتى ولم تزل ماثلة أمامى كما رويتها بكل فظاعتها وكأني فى هذه الساعة أرى نفسى فى ذلك الهيكل وقد هدرت فيه دماء المسيحيين واحاطت بي احداث مثلى اختطفتها كما اختطفتني أيدى الاعداء المغمسة بالدم يتصاعد منها بخاره من جراح أذرع أمهاتنا المرعبات وقادتنا الي هذا القصر بعينه حيث ربيت تحت عناية وسلطة نور الدين مع زهيرة تلك الضالة الجحود التي طاب لها وأصفاها الاستعباد لذلك السلطان الطاغى معرضة عن ربها سلطان السلاطين

شاتيون ان من تدابيرهم الوخيمة استغواء الاطفال وأحمد الله لانه وفق أمرنا فأنقذ طفوليتك من تعاليمهم بيد

أني لا اخال زهيرة ولو اعرضت عنا حبا بسلطانها تحجم عن مساعدتنا بما أولاها شغفه بها من النفوذ والمنزلة والعاقل العادل من يعرف أن يستفيد حتى من الشر والمعضله فان بوسعك ان تستخدم تلك الحظوى التي نالتها لاستعطاف معن واحياء الشفقة في قلبه فيرد الينا ذلك البطل الذي أظهر هو نفسه اعجابه ورأفته به لا سيما وقد أمسى بحالة من الوهن لا يخشى بطشه

نيراستان وهل يرضى ذلك البطل أن يعتق بهذه الوسائل الشائنة واذا رضي بها فهل استطيع مقابلة زهيرة او هل يتنازل معن فيسمح بأن اعود فأدوس أعتاب قصره وهبني تمكنت من مقابلتها فأي رجاء أرتجيه من خائنة يكفيها القاء نظري عليها فتتراءى لها خيانتها وتقرأ على جبيني آيات عارها وفضيحتها وما أنكد على الكريم من أن يستعين بمستهان فيخجله اذا أعانه ويذله اذا رفض الاعانة وأي سبيل لمواجهة هذه العاتيه ؟ . رباه أنها آتيه

المشهد الثاني

زهيرة نيراستان شاتيون

زهيرة (الى نيراستان) اليك ايها الفرنساوي الهمام جئت أوجه كلامي فلا تقلق ولا تضطرب فاني برضى السلطان منك

أقترب فارفق بقلبي الواجف واطرد من مقلتيك الشكوى والملام
وعلى مَ تهانني واهابك وأخجلك وبخجلني مرآك وتجذبني وتفزعني
عيناك وقد لازمتنا منذ ولدنا طوارق الحدثان وضمنا سجن واحد مربع
منذ الفطام وقيدتنا ايدى القدر الفتاكة بقيود واحدة هائلة كانت
تخفف ثقل وطأتها مودتنا المتبادلة وما لبثت أن فارقتني فانتحبت
لفراقك لما سدّد الله الى شواطىء فرنسا خطواتك وبقيت هنا
دونك أسيرة حتى أعادك الله وكانت مطارحتنا كاجتماعنا يسيرة
لاختلاطي بين جماعة الاماء بعيدة عن نظر السلطان مجهولة مستورة
ولا أعلم ما الذي حدا بك أن تتطلب الرجوع الى تلك المملكة
الشهيرة لتسعى فيها بالحصول على فدية زهيرة . أُخالق فيك عظيم
أم قلب رؤوف كريم أم وداد منك سليم فغبت ورجعت تفتديني
وانما خاب جهد مسعاك فوقفت فى هذا القصر بعيدة عنك الى
ما شاء الله ولكني أي سعد حزت وأي جاه لا استطيع توديعك
دون ذرف العبرات وان أنسى فضلك حتى الممات وسألهج به
أبدا وسيحلو لي ذكر شمائلك ما طال المدى وسأقتدي بك باغاثة
البائسين وحماية المسيحيين والقيام لديهم مقام الأُم الرؤوم والفضل
كله عائد اليك بتحبيبهم الي

نيراستان وكيف تحمينهم وقد رأيتك عنهم تعرضين و بأقدامك

وماد الاوزينيان تدوسين

زهيرة بل ما أتيت الا لاقوم بالواجب نحوهم من الاكرام وارد اليكم آخر أنسالهم محبوبكم وماموكم. أجل فلوزينيان أطلق سراحه وقريبا يظهر لكم

شاتيون حمدا لك اللهم أحقا سنرى سندنا الوطيد واملنا الوحيد وكبيرنا و أميرنا

نيراستان ما أعظم وما أعز من تردين الى مهج المومنين

زهيرة أن كرم السلطان كان أعظم من أملى باجابته ملتمسي فلم يتردد باعطاء الامر بحل وثاقه وهو الآن قادم اليكم مع رفاقه

نيراستان ما أشد تأثر نفسى

زهيرة ان دموعى رغماً عنى تحجبه عن عينى ومن لا يبكى لمصاب شيخ وقد أصيب قبله بمثله فأنا نظير هذا الشيخ الجليل ذقت عذاب السجون

نيراستان (على حدة) أتوجد يارب كل هذه المآثر فى نفس كافرة خؤون

المشهد الثالث

زهيره شاتيون نيراستان لوزينيان (مع جمع من العبيد المعتقين)

لوزينيان من يستدعينى من مقام المنون أأنتم مسيحيون

ناشدتكم المسيح وطدوا خطواتى المضطربة فقد اضعفتنى الرزايا اكثر مما نهكتنى السنون (يجلس) أحقا اني اصبحت طليقا

زهيرة نعم يا سيدي

شاتيون أبقاك الله يا مولانا لتبدد مخاوفنا وتواسي آلامنا فكل هولاء النصارى الحزانى . . .

لوزينيان ما اعذب هذا الصوت على مسمعى وقد أنار بصيرتى ألست شاتيون المعذب مثلى لاجل دين آبائنا وهل ختم الله شقاءنا وفى اي مكان نحن الان

شاتيون نحن فى القصر الذي بناه اجدادك الكرام وهو اليوم لابن نور الدين بئس المقام

زهيرة ان معن بن نور الدين المظفر سلطان هذه البلاد يقدر الشهامة قدرها وينزل المروءة منزلتها فقد راقت لديه حمية هذا الفرنساوي الجواد ألذي بذل جهده وماله ونفسه وقدم من السواحل الافرنسية تدفعه الى هذا القصر الاريحية ليفتدي عشرة من الاسرى ويفتح لهم ابواب الحرية وشاء وهو اعظم سلطان محسن وهاب ان ان يحسن فوق ما احسن سواه فامر بفك قيودك واطلاق مائة من جنودك

لوزينيان من تكون ايها الباسل الهمام الذي يقتحم البحار

ليخفف أوصابنا و يكسر قيودنا فقد عرفت لك امثالا كثيرين من جنود فرنسا البواسل الذين طالما اعجبت بهم وكانوا الي من المحسنين فقل لنا اسمك ايها المحسن العزيز

نيراستان ادعى نيراستان وان القدر الذي طالما جار علي فكبلني هنا بالحديد منذ الفطام ما عتم أن سهل لي يوما الرحيل من هذه السلطنة الى مملكة لويس العظيم ولم يكن لي دليل غير جرأتي واقدامي فتدربت على البراز تحت رعايته وعنايته ونالني مقام وثروة جلها من افضال ذلك الملك السامي بيسالته ويقينه بالله وأمانته وتبعته الى شاطىء نهر الشارانت حيث تهددنا الانكليز فرددناهم على أعقابهم خاسرين بعد ما أفنينا منهم بسلاحنا من تجاسر على الاستخفاف بزنابقه وهي شعائرنا نقشت عليه رمزاً ليقين المنقوش فى مهجته

فتعال ايها الأمير وأظهر لأعظم الملوك آثار قيودك الشريفة الجديرة بالاجلال فتكرم باريز أعظم الأبطال المجاهدين باسم الصليب ويرحب قصر الملك بسليل الملوك اعظم ترحيب

لوزينيان سقياً لذلك الزمن الذي شاهدت فيه مجد المملكة وعزها حينما فاز فيليب فى بوفين بالنصر المبين وحينما جمعتني ساحات القتال مع مونمرانسي ومولان Melun ونسل Nesle

وكوسي الشهير Couci وامثال اولئك الابطال ولكنني است طامعا
بأن أرى باريز مرة ثانية وقد أصبح جسمي على شفير الهاوية
وباتت نفسي تتأهب اليوم لانتقالها الى الدار الباقية حيث القى
وجه رب الأرباب راجيا أن يكافئني على ما كابدت في سبيله
من العذاب
وأنتم ياشهود ساعتي الأخيرة فاصغوا الى كلماتي الخطيرة وأنت
أيتها السيدة النجيبة التي تسكبين بدموعك أعذب التعذية على
مصائبي في هذه الساعة الرهيبة أشفقي على والد تعس يذرف
أمامك دمعا لم ينضبه الزمن من طرفه المدنف خطفت منه أيدي
الظالمين صغاراً كانوا أمله الوحيد ابنة وثلاث بنين ولعلك لم تنسهم
أيها الصديق الأمين (الى شاتيون)

شاتيون بل لا يزال قلبي يذكر ما أصابك مضطربا
ويرتجف مشفقا مكتئبا

لوزنيان وقد رأت عيناك ابني وأمها حينما كنت أسيراً
مثلي في قيصرية التي أمست رماداً

شاتيون أجل وقد منعني الاسر وقتئذ من الاقدام على
انقاذهم

لوزنيان ولم يقدر ذلك الوالد المنكود أن يجود بروحه في

سبيل أرواحهم فاسهري من أعلى السماء ياأرواح من فجعت بهم على من ارجو بقاءهما في قيد الحياة وهما كما علمت والأسفاه لم يسلما من القتل الفظيع الا ابقما مثلي في ربقة الاسر ويستعبدا لمولى هذا القصر

شاتيون نعم ومن وسط تلك الاهوال كنت حملت ابنتك وهى لم تزل فى المهد لارش على جبينها بيدي ماء المعمودية كي لا تفتك بها قبل اقتبالها هذا السر الايدي البربرية فحال دون قصدي هجوم اولئك الاسماعيلين السفاكين وخطفها من بين يدي المثخنتين بالجراح فحملوها الى ادرشليم مع اصغر ابنائك ولم يكن بعد قد بلغ الرابعة من سنيه ولكنه كان كفوًا للشعور بفظاعة مختطفيه

نيراستان ما أشد وقع هذا التذكار الأليم على نفسى فاني أراني وانا ابن أربعة أعوام فى قيصريه مخضبا بالدم وقيداً مساقا الى هذا المكان مع جم من النصارى غفير

لوزينيان أأنت أيضا ياسيدي ربيب هذا القصر (يحدق به النظر وبزهيرة) هل عرفتما أذا والدي وقد يكون لهما من العمر ما لكما (يبصر الصليب فى عنقها) رباه أو تخدعنى عيناي وما هذه الجوهرة الثمينة ومن اي وقت تطوق عنقك

زهيرة من حينما ولدت . . ما لي اراك سيدي مضطربا

لوزينيان آه .. اسمحي لي أن أمسها بيدي المرتجفتين (يدنو منها ويلمس الصليب ويحدق النظر فيه)

زهيرة ما بالك مولاي .. وما هذا الخفقان وهذا الهيجان

لوزينيان سبحانك اللهم مبعث الآمال ومحيي الرجاء ان هذه الجوهرة طوقت بها ابنتي بيد أمها يوم ولادتها .. قد انقشعت الغشاوة عن بصري واستنارت بصيرتي وتكاد تنفطر حشاشتي

زهيرة ما أسمع .. وما هذا التذكر الذي تضطرب له نفسي حنانيك سيدي

لوزينيان لا تتخل عني اللهم الناظر الي وابل دموعي في بارق هذا الامل الجميل الذي يلوح لي . أنت أيها المصلوب الميت المنبعث تمم بعث آمالي . وأرفق بحالي . ان هذا الصليب في عنقها منذ رأت عيناها النور وهي وهو كابنتي وابني أسيران هنا حملا من قيصرية

زهيرة نعم

نيرستان أو أكون اذاً ..

لوزينيان وهذا صوته .. وهذه ملامحهما .. صورة لامهما دبت فيها الحياة . يامبدع السماوات .. هل شئت وسمحت أن اراهما أنعش روحي التي تكاد تزهقها هذه الغبطة . زهيرة .. نيرستان (الى

شانيون) أعني ايها الصديق . نيراستان قل لي هل من أثر لجرح في صدرك الذي طعنته أمامي يد وحشية

نيراستان نعم نعم يامولاي ..

لوزينيان مبارك الله العلي العظيم فما احلى هذا النعيم (يقبل عليه فيكتنفه كل من نيراستان وزهرة وبهتف الواحد بعد الأخر)

نيراستان (جاثيا) آه ياسيدي .. يازهيرتي

لوزينيان الي ياولدي

نيراستان واأبتاه

زهيرة واحر كبدي .. انه والدي

لوزينيان ما أبهج هذا اليوم السعيد بني .. بنيتي هيا الى ذراعي أبيكما

شاتيون طفح قلبي حبوراً وابتهاجا

لوزينيان لا تفترقا يا ولدي عن صدري بعد عذب هذا اللقاء الذي جادت به السماء وأكرم بولي عهدي وجدته وأنعم بابنة طاهرة .. ويلاه ما هذا الوسواس الذي باغت عقلي ناشدتك الله يا ابنتي بددي عني هذا الوهم المريع . انت يا الهي الذي رددتها لي هل رددتها امينة الك وفية لدين آبائها . يا شقية ما لك تبكين .. وتخفضين بصرك كالمجرمين .. ما لك لا تتكلمين

أولست تسممين .. ياايتها الحمل الوديع .. أي جرم أجرمت فظيع

زهيرة لا أكذب الله ولا أكذبك فاقض على ابنتك بما أنت قاض وعاقبها كما تشاء فهى مسلمة تدين بدين حبيبها وسلطانها

لوزينيان فلتنقض علي وحدي الصواعق آه يا ابنى الوحيد ان ماأسمعه يكاد لولاك يذهب ببقية رمقى آه يارب أجاهدت ستين عاما فى سبيلك وشاهدت سقوط هيكلك واضمحلال ذكرك وقضيت عشرين عاما فى السجون أبتهل اليك بدمعى السخين أن تجمعني بولدي وحينما تكرمت بهما على أجد ابنتى من أعدائك الالداء ويلاه من هذ البلاء بل أنا بل سجني الذي سبب ضلالتك انما هل افتكرت بالدم الذي يجري فى عروقك .. انه دم عشرين أميراً كانوا كلهم مثلى مسيحيين دم الابطال المجاهدين انه دم المستشهدين هل علمت ياولدي ياأعز من كل ولد هل علمت محتدك وعرفت من كانت والدتك وانها بعد مولدك فتكت بها أمامى تلك الذئاب الضارية التى رميت نفسك بين أنيابها ان اخويك الشهيدين المذبوحين كأمك على مرأى من أبيك المنكود يمدان لك من أعلى السماء ايديهما المجرحة وان الهيكل الذي أنكرته وخنته مات هنا فدى لك ولجميع الخلق حيث طالما خدمته حيث يخاطبك بلسانى دمه المهدور تطلعي الى هذه الادوار والي هذا الهيكل الذى

استولى عليه من ولتهم نفسك كل شئ يحدثك من الاله الذى انتقم له أجدادك أديرى طرفك قليلا نجدى قبره الى جانب هذا القصر هنا الجبل الذى شاء أن يغسل عليه آثامنا بدمه الثمين وهناك قام منبعثاً وهنا وهناك لايسعك أن تلقي نظرة أو تخطي خطوة دون أن تجدى ربك كما لا يسعك أن تلبثي حيث أنت مقيمة دون أن تذكري معرفة أبيك وشرف أصلك الذى يناجيك والهك الذي يهديك .. انى أشعر وأنت بين ذراعى بزفيرك وارتعاشك وأري على جبينك المصفر انك نادمة تائبة وان نعمة الايمان أنزلت على قلبك وأنى وجدت ابنتى بعدما فقدتها واستعدت شرف نفسى وغبطتها ومحوت من صليانى زلتها

نيراستان ما أنعم هناء نفسى باسترجاع نفس شقيقتي

زهيرة فدتك نفسى ياأبي ياعلة وجودي قل ما الذي تبتغيه مني حتى أقوم به لديك ملبية صاغرة سخية

لوزينيان لاشئ سوى أن تنزعى عني العار والغم فتقولي كلمة واحدة وهى انك مسيحية

زهيرة أنا ياأبى نعم انا مسيحية

لوزينيان تقبل يا الهنا من أعلى سمائك اعترافها

المشهد الرابع

زهيرة لوزينيان شاتيون نيراستان قراس

قراس   مولاي بأمر السلطان بارحي هذا المقام وابتعدي عن هؤلاء النصارى الطغام وانتم فانبعوني اذ قد أصبحت مسؤولا عن جميعكم وعلى عاتقي ألقي أمر المحافظة عليكم

شاتيون   ما هذا الخطب المفاجيء يارب القوات

لوزينيان   علينا يا صاح ان نشدد عزائمنا فى هذه الحال

زهيرة   واأسفاه . .واحيرتاه

لوزينيان   أنت يا من لا أجسر على تسميتك أقسمي لي بأنك تكتمين هذا السر ألرهيب

زهيرة   أقسم بالله العلى العظيم

لوزينيان   ولله أن يحسن المصير

ينزل الستار



الفصل الثالث

المشهد الاول

معن قراس

ان مخاوفك يا قراس كانت في غير محلها فيما لويس يوجه ضدي سلاحه وما فرنسا الا عاجزة عن ان تطمع بعد بأقاليم ما وجدت لتكون في حوزتها وليس الافرنسيس بتاركي وطنهم الخصيب ليعيشوا في بيد العربية القاحلة ويسقوا بدمائهم هذا النخيل الذي لأجلنا ينميه الله في هذه الأرجاء

أجل ان مراكبهم ملأت بحر سوريا وملكهم ألقى الرعب من شواطىء قبرص الى قلب آسيا ولكنه كما علمت مبتعد عن مرافئنا مهدد سواحل مصر الغنية مشهر على المماليك حربه قاصد مولي الدين وهو من اعدائي الخفية الذين بانقسامهم وقيامهم على بعضهم ويبذل دماء كان حفظها أجدر بهم ينتقمون لي من أنفسهم فيتوطد عرشي ولا تهزه يد اجنبية لا افرنسية ولا مصرية

فعد الى اطلاق هؤلاء النصارى فاني أروم بعتقهم ارضاء

ملكهم وليعيشوا أحرارا وجز بهم البحر اليه فيعلم لويس طويتي وليعتبر ولاءي وأريحيتي وقد اليه لوزينيان وقل له اني أتخلى عن ذي نسب يمت به الى تاجه فاز عليه أبي أولا وثانيا وكان أسيره مدة حياته كلها

قراس ولكن اسمه العزيز عند النصارى

معن لم يبق لنا الى الحذر منه سبيل

قراس ولكن يا مولاي اذا خالف لويس . . .

معن هذا ما نرومه زهيرة وكفى فاذا تنازلت عن لوزينيان انما أتنازل به لغالبتي واذا لم يكن لي لويس شيئا يذكر فانا لعيني زهيرة أفعل كل شيء وحاشا لقلبي ان يخضع لسواها وقد وجب عليَّ ازالة ما سببت لها من الغم بتلك الشدة التي عاملت بها هولاء المسيحيين على أثر الخبر الكاذب الذي تبلغته عن نوايا فرنسا العدائية وقد أضاع لي بالمداولة ساعة ثمينة توقفت فيها معدات الزفاف وتأجل نعيمي فأقل ما يجب أن أعمل بهذه الفترة هو ما رغبت به الي وهي نروم أن تحادث هنا سراً ذلك النصراني الكريم نيراستان

قراس أو قد سمحت لها بذلك

معن انها كانت رفيقته منذ الحداثة وهذا آخر اجتماع به

تزوجوه وعلى كل فأنا راض بكل ما ترضاه زهيرة لا معترضا ولا ممانعا وأدوس لأجلها بقدمي كل تلك القوانين الظالمة واحتقر تلك الشرائع الصارمه التي تجعل من الفضيلة الجميلة الحقيقية فضيلة لا رونق لها اجبارية فابرها نيراستان قبل رحيله واتطب كل الأنفس كنفسي وتسر كل الخواطر كخاطري ولا تذهب ضياعا برهة واحدة من أوقات نعيمي في الحب وهنائي وهو ينتظر هنا فدعه يدخل وامتثل لزهيرة ولا تؤجل محادثتهما

المشهد الثاني

قراس نيراستان

قراس   انتظرني قليلا في هذا المكان حيث لا تلبث زهيرة ان توافيك

المشهد الثالث

نيراستان

في أي حال يا الهي وفي أي مقر أجبر على تركها آه واشقيقتاه . . آه واأبتاه . . أعن يا يسوع قلبي في بلواه . . أنت

المشهد الرابع

نيراستان زهيرة

نيراستان   آه يا شقيقتي ما من الله علينا باللقاء حتى شاء

أن يبتلينا بفقد أحب خلقه الينا

زهيرة أبي .. ماذا دهاه .. يا رباه ..

نيراستان قد دنت ساعته الأخيرة وأودي به عظم فرحه وشدة تأثره فما أشأم هذه الساعة وأشأم منها انه يموت ممزقا بمخالب الشك والارتياب يسائل وهو يلفظ أنفاسه اذا كان قلبك صادقا باقرارك انك مسيحية

زهيرة أأكون أخت نيراستان وتتخيل انى اخون دمى وديني

نيراستان ولكن هذا الدين يا اختي لم تصطبغي به ولم تزالي عند فجر النهار الذي أنار نفسك ولم تحصلى بعد على ذلك الضمان الثمين الذي يغسل فينا الأثم ويفتح لنا ابواب الجنة فاقسمى بما اجلانا به من الذات المهيمن العظيم و باصلك الكريم و باولئك الشهداء ابائك المقدسين الاولياء انك لو صح لك اليوم وفى هذا المكان لما تاخرت ان تحتمى برضاك واختيارك بذلك الخاتم الالهى الذي يصلنا بالاله الحى مبدع الاكوان

زهيرة نعم أقسم بين يديك بالاله الذي أعبده ، وبدينه الصحيح الذي أقصده والذي لا يزال قلبي يجهله انى عازمة على أن اعيش تحت لوائه خاضعة لناموسه ولكن قل لي يا اخى ، ما الذي يفرضه على وما يبتغى مني ذلك الناموس

نيراستان ان لا تستعبدى لأسيادك بل تكونى أمة خاضعة محبة للرب الذي أحبه اجدادك والذي ولد ومات لأجلنا في هذه الاراضى المقدسة والذى قادنى اليك فجمعنا والذى يعجز عن وصفه جندى مثلى ضعيف المعرفة شديد الغيرة قوي الأيمان ولا يعجز عنه كاهن علامة سوف يأتيك بماء الحياة والغفران ويزيل عن عينيك الغشاء فانتبهى لايمانك واحذري أن تخشي فيجاب لك ماء المعمودية الهلاك واللعنة الابدية وتوسلى أن أرجع بعينه ولكن كيف يسعك أن تصرحى بهذه الغاية من رجوعى ومن أي نحس تطلبين التوصل الى هذه النعمة المطهرة أن فى عروقك يجري دم عشرين ملكا وتكونين لمعن حظية أنت نسيبة لويس وابنة لوزينيان وشقيقتي ومسيحية وتكونين مملوكة عقب الجاهلية كفى وقد فهمت قولي فلا أزيد ووقانا الله عار هذا المصير

زهيرة يا قاسي القلب أجهز على بسهامك انك تجهل سري وآلامى ومساعى ومرامى فرفقا يا اخى بأخت تائهة تحترق وتئن وتموت يائسة

نعم اني مسيحية وان شفاهى لعظيم وعلى أحر من الجمر انتظار ذالك الماء المطهر علّه يشفي فؤادي الكليم وحاشا لي ان اكون غير خليقة بأخى وأبي ونسبي وحسبى انما زهيرة تسألك

فأجبها قل ما هى تلك السنة المسيحية وأي عقاب منها اشقية ابعدوها عن أحضان والديها وكبلوا بالحديد رجليها ويديها وحرمت من كل سند وحماية وحب ورعايه الا من مسلم كريم واثق من صراطه القويم فأحبه قلبها ورضيت ان يقترن بها

نيراستان الموت عقاب هذا ...

زهيرة كفى فاضرب وتجنب هذا العار

نيراستان من ... انت ... شقيقتي

زهيرة نعم انا هى تلك الشقية الاثيمة انا التى أحبها معن واوشك ان يتزوجها

نيراستان انت .. اختى تتزوجين هذا .. انت ابنة الملوك

زهيرة قلت لك اضرب فانى احبه

نيراستان يا للعار ويا الفضيحة لدم منه تكونت والموت افضل ما طلبت وما استأهلت ولو لا هذا الشرع الذي تجهلينه والذي يمسك بذراعى ويهتف بى « لا تقتل » لما كنت أصغيت الا الى عارك وشرفي ومجد بيتي واسم والدي وذكره وهجمت فى الحال على محبوبك فارديته بهذا الحسام وأغمدته من جنبه فى جنبك ثم فى صدري

ويل لك يا محالفة الأعداء ومتزوجة الظلام وواخجلى فيك من لويس قدوة الأرض وقد أعد حملاته على النيل فأتى به الرعب

يزحف بعده الى هذه الأرض ويضرب فيها ضرباته القاضية منتصراً لدين ربك فيردها اليه

ويا للداهية متى علم لوزينيان انك خنته وانك استخرت الها غير الهك فعبدته ولكن اباك هالك واحسرتاه فى هذه الساعة وهو يسأل الله خلاص زهيرة

زهيرة حسبك يا أخى يا مهجتى وانتبه فتعرف طوبتى واملاك ترى ان زهيرة لم تزل لك أهلا . ارفع عنى يا أخي وتم خطابك هذا الفظيع فان الموت الذي طلبته منك ومنعته لأهون على من هذا التقريع وان كل العار القاه من غضبك هذا المريع ولئن أثرت بك وآلمتك حاتى فان ألمي لا يدرك ولا يقاس ويالهت غضب الله أخمد مني الأنفاس فأوقف مجرى دمى فى قلبي يوم تجرعت سم ذلك الحب الدنس فاشتعل به دمى الطاهر دم اولئك المسيحيين الاطهار يوم افتتنت شقيقتك بمن نعم وعفواً يا مسيحيات وهل بوسع احداكن غيري ان لا يفتتن به وهو الذى اختارني قلبه دون كل فتاة فلم يدع امرا ارتاح اليه الا أجراه ولم يتنازل الى غيري من كبريائه وعلاه وهو الذي انعش قلوب أسراه واحسن اليهم باطلاقهم عفوا ولوجه الله وهو الذي لولاه لما تم اجتماعي بأخي ولما حظيت بلقياه . فصفحا وحسبي عذابا منك يا اخي وشقاء بأبي

وحبي وايماني وواجبي وضعفي ووخز ضميري وعقابي وسوء مصيري وان اختك تموت اليوم شهيدة الندم لا شهيدة الحب

نيراستان اني اشكوك واشفق عليك في وقت واحد معا ولكن ثقي ان العناية الالهية لا تسمح بأن تموتي اثيمة غير مطهرة واني رغماً عني أجد لك عذراً ومغفرة من هذه العوامل الشيطانية التي تتنازعك دون ان يمد لك الله يده القوية تلك اليد التي تقوي أضعف الارواح وتسند القصبة التي تزعزعها الرياح ولكنه لا يقبل سبحانه وتعالى متى اصطبغت بصبغته ان يشاطره قلبك ذاك الرجل بل سوف يطفيء ماء المعمودية ما اشتعل به من تلك المحبة فتعيشين مسيحيـة أو تموتين شهيدة وفيـة فأنجزي وعدك وتعهدي أمام مليكك وأوروبا قاطبة وأبيك وربك الذي ابتدأ ان يوجه اشعة روحه القدس الى قلبك بأنك ان تقدمي على هذا الزواج الاثيم قبل أن يزيل الكاهن من عينيك الغشاء ويزرع في قلبك اليقين وينزع عنك بحضوري ثوبك الحالي ويلبسك ثوب النصرانية ويوحدك الله ويتبناك وتكتنفك ملائكته وترعاك فهل تتعهدين بذلك يازهيرة ونفسي فداك

زهيرة نعم لك عهدي وايماني فأجعلني حرة مسيحية تجدني خاضعة راهبة زكية واذهب فنزود من أبيك نظرة اخيرة

واطبق جفنيه وحبذا لو امكنني لسبقته اليه ومت قبله بين يديه

نيراستان   انا ذاهب فالوداع يا أختي الوداع بل الى الملتقى القريب ان شاء الله فاذا لم اقوَ على انقاذك من هذا القصر الفاضح لا ألبث ان اعود اليك حاملا ماء الخلاص فانقذك به من الجحيم واردك الى اصلك الكريم

المشهد الخامس

زهيرة

ها قد اصبحت وحدي يا رحمن يا قدير فأي نصيب قدر لي واي مصير انهَ قلبي يا خالقي ان يكون بك ماكرا وبحقك كافرا أنا مسلمة ام افرنسية عاشقة ام مسيحية حليلة السلطان ام ابنة لوزينيان

بل اي يمين أقسمت واي عهد تعهدت وهل أكون حانثة خائنة لا وحاشا لله فاطمان يا وطني ونم قرير العين يا ابتاه

انما ما بال فاطمة لم تأتِ الي . . . فهل تتألب كل الرزايا علي . . ويحيط بي الموت ويهجرني كل حي . عونك اللهم فأنت حسبي ونعم الوكيل وشد عزيمتي لاحتمال هذا العبء الثقيل فليس لي الاك سند وليس لي مجيرا غيرك احد وأبعد عن سبيلي وعن نظري حبيبي . . .

آه يا معن يا منتهى وطري أكنت احسب هذا الصباح وقد كانت أعذب الامال تدفعني اليك انى في نفس هذا النهار اضطر الى تجنب ناظريك

أأكون أسيرة هواك لا عهد لي الا بك ولا هناء لي الا برضاك ولا هم ولا فكر الا ان أطرب بنجواك وأسمع من فيك كلمات الحب وأنعم بمرآك وأجزع لغيابك وافرح بلقياك عابدة اياك وبك مغرمة ويحسبني قومي كافرة مجرمة .

المشهد السادس

زهيرة معن

معن هيا يا مليكتي فقد اعددت كل جليل لجلالك واشتد بي شوقي الى التنعم بجمالك فلا تؤخري ساعة ما أطولها على المغرم الصابر وقد اضاءت مشاعل الزفاف لحبك الظافر وعبقت روائح البخور في المعبد وشرعت تتلى الصلوات الى الله ونبيه محمد مثبتة عهدي وأماني لك وشغفي بك ووجدي

وقد سجد الشعب ينذر لك نذوره ويحرق لك في مسجده بخوره والكل بات منتظرا أقدامك ايجثو لديها حتى المتكبرات من اضدادك اللواتي كن يمشين امامك شامخات وينازعنك حبي مزاحمات فأمسين وكل واحدة تتمنى ان تكون لك تابعة ولأوامرك خاضعة. ان

العرش معد لعرسك والتاج مهيأ لرأسك فهيا وباشري باسعاد عرسك

زهيرة　ابن انا . . يا لشقاءي ويالحبي . . وبلاءي

معن　تعالي يامنيتي وغبطتي وهناءي

زهيرة　ابن اختبئ

معن　ماذا تقولين

زهيرة　مولاي

معن　هات يدك وتكرمي يازهيرتي الجميلة . .

زهيرة　يا اله أبي ما العمل ما الحيلة (تبكي)

معن　ما اعذب الاقتران بها بعد هذا التردد الناجم عن تهيبها وكم يهيج شوقي اليها ويزيد نشوتي برحيق عينيها

زهيرة　واحر قلباه

معن　ان هذا الاضطراب يؤجج حبي ويزيد اشواقي ويضاعف اعجابي بك فهو ولا شك ناجم عن فرط حشمتك وحيائك وأدبك فاليك يدي ياغاية سؤلي ومقصدي ولنسر معا حيث تحل علينا الان بركات الرحمن

زهيرة　شدد اللهم عزيمتي . . . سيدي

معن　عجبا فما بالك يا حبيبتي . .

زهيرة　سيدي ان اقتراني بك سعادة لم تكن تحلم بها نفسي

وما كانت سعادتي بعرش ولا بتاج ولا بسلطان بل بعاطفة اسمى واصدق كانت تملأ قلبي النشوان وان جل ما كنت أتمنى بالانضمام اليك هو الانفراد بشريك عمري في خلاء القفر بعيدة عن عظمة هذا القصر محتقرة كل تيجان آسيا أدوسها معك ولاجلك بقدمي... ولكن هؤلا النصارى . . .

معن وأي دخل لهذه الطائفة بيننا وأي شأن لها في حبنا وقراننا

زهيرة ان لوزينيان ذاك الشيخ الرازح تحت وقر النوائب والاشجان يقضي واحسرتاه نحبه الآن

معن وأنى لك هذا الاشفاق وهذا الاهتمام العظيم بذاك الشيخ النصراني فلست والحمد لله مسيحية وقد ربيت في هذا القصر منذ نعومة الظفر على شريعتي الاسلامية وهل يكدر هناءك وينغص عليك التنعم بأحلى ساعة من حياتك رثاؤك لشيخ لم يرزح الا مثقلا بالاعوام الطوال

زهيرة مولاي اذا كنت تحبني او كان لي في قلبك منزلة..

معن ومن لغيرك في قلبي ما لك .

زهيرة اسمح بتأجيل هذا الزفاف

معن ما تقولين . . يا للسماء . . أ أنت مستيقظة يا زهيرة.

واعية لما تقولين

زهيرة آه واخجلي من غضبه

معن زهيرة . .

زهيرة ثق يا مولاي ان لا اصعب على من التعرض لسخطك واستيائك انما في قلبي آلام جديدة باشفاقك وان . (لحدة) ويلاه أكاد افضح امري واخون عهدي وسري أواه لا أقوى على احتمال نظره فهو يخرق قلبي بسهم قتال (الى معن) اسمح لي ياسيدي أن احتجب عن مرآك فأخفي دموعي وهمومي واما لي ويأسي وسوء حالي (تخرج)

المشهد السابع

معن قراس

معن لقد جمد الدم في عروقي وتلعثم لساني فلا يقوى على التعبير عن هياج بخالج جناني أ الي بوجه هذا الكلام احقيقة ما سمعت أم اوهام أعني أعرضت وعن ناظري احتجبت وولت وابتعدت يا ويلها مما تعمدت

أ قراس ما هذا التغير وما هذا الانقلاب وما الذي طرأ عليها تالله لقد حرت فيها وحرت في نفسي لديها

قراس انكون علة اضطرابها وتشكوها وما لك قلبها

وتوثاب فيها

معن	وهل م تلك العبرات وتلك التنهدات وذلك الاعراض وذاك الانقباض المسطر على ناظريها او يكون ذاك الافرنسي طامحاً اليها وباه ما هذا الريب الفظيع والوسواس المريع وقد قفلت فؤادي دونه قبل هذه المرة وطردته من مخيلتي فما باله يعاود علي الكره وهل يجسر عبد بربري على . . وهل مثلي يا صاح يخشى نصرانيا خاملا غبيا زريا

قل اما لاحظت شيئا في وجهه اما رابك امر من لحظه . لا تكتم عني شيئا فلي من ارتعادك ورجفانك غنى عن بيانك

قراس	أخشى اذا تكلمت ان أزيد هواجسك نعم اني رأيت طرفه دامعا ولكنى لم ألحظ شيئا يوجب . .

معن	صه فـأي عار تريد ان تسوقني اليه . . . ولكن لا يا صاح فلو صدقت بزهيرتي هذه التهمة الشنعاء لهان عليها خداعي بالحيلة والرياء ولو كان قلبها لاسمح الله خائنا لما كان ظهر سحاب دمعها هاتنا فاياك ان تظن سوءا بها . قلت انك رأيته ينتحب ويئن ويتنهد . . اما وما شأني وسبب زفراته وما ادراني اذا كان الحب باعث تنهداته وما الذي اخشاه من عبد جحود يرحل عنها غدا فلا يعود

قراس	أغرب عن بال مولاي انه خالف في امر هذا الرجل

سنتنا وسمح له ان يختلي بها وان يدوس متى شاء عتبتنا

معن هو يعود هو ذاك الخائن يجسر على الظهور مرة ثانية

اعيدها ! ! ! وانا اعيده اليها ! . نعم اعيده بعدما يلقى عقابه وحتفه

وتراه عيناها ولكن مضرجا بدمه الدنس ممزقا بيدي وهى تقطر من دمه

فتمزجه بدم عشيقته . عذرا لقلبى الهائج المضطرب فهو قد رضع الفوران

فى المهد وقد أحب وأهين وهو كايم بل انا عالم بحدة طبعى واخشى

ان تقودنى الى ما يعاب ويلام وقد تطوحت وشططت وطال توجيهي

سوء الظن الى زهيرة وهى لعمر الحق بريئة ما فطرت على الخداع

والخيانة كما انني ما طبعت على التذال واحتمال الاهانة ولا على نقض ما

وعدت او الرجوع الى ما نقضت ولا على الشكوى والعتاب او

الاستيضاح والاستيعاب بل الاولى بمن كان مثلى ان يضغط على أهوائه

و يكون سلطانها لا عبدها والاجدر بى ان انسى زهيرة حتى اسمها اجل

وليكن ابدا هذا القصر مقفلا وليقم الرعب على ابوابه الحديدية وليذكر

كل شيء فيه بنير العبودية فانى لمتبع عوائد ملوك الشرق العادية واذا

تناسيت رفعة قدري ومقامى فالقيت على عبدة نظرة انعطاف ورضى فمن

العار ان استعبد لامرأة . عار نفضناه عنا فيلصق ببني الغرب وانما ذلك

الجنس الضعيف المستقوي المخيف الذي يروم ان يستعبد كل شيء اكل

مرام منه ومطمع فلئن تسلط فى الغرب ففى الشرق وجب أن يخضع

ينزل الستار

الفصل الرابع

المشهد الاول

زهيرة فاطمة

فاطمة ما اعظم اشفاقي عليك واعجابى بك فلا شك انك ملهمة من ربك رب المسيحيين وهو سوف يقوي يديك الضعيفتين فتقطعين هذه القيود المتينة التى طالما طاب لك الارتباط بها[٢]

زهيرة هل باستطاعتي القيام بهذه التضحية المشومة

فاطمة ما زالت ملتمسة نعمته تعالي فهو يعاملك بعدله وحلمه الوسيع ويكتنف بعنايته الالهية قلبك الوديع

زهيرة ما اعوزتني قط عنايته كما تعوزني اليوم

فاطمة لئن قدر لك أن تجهلى أمك وتفقدي أباك فان الله متى عبدته تبناك وها أنت الآن بين ذراعيه يناجي قلبك بشفتيه وهي أن ولوج هذا القصر المدنس تعذر على نائبه تعالى ذلك الحبر الاقدس

زهيرة ويحي فقد ألقيت اليأس فى قلب حبيبي .. فيا لفظاعة

تلك الاهانة وبا لهول تلك الساعة هكذا شئت يارب فما ضرك لو تركتني ارتع بسعادني ونعيمي

فاطمة أو تأسفين بعد على تلك العلائق السيئة أو تحجمين بعدما أقدمت وجاهدت وأوشكت أن تنتصري

زهيرة بئس الانتصار الجالب الشقاء والخطوب والجهاد القاتل العواطف في القلوب انك تجهلين أي تضحية يقوم بها قلبي أي حب متناهي القوة أخذ بمجامع لبي كنت أرجو فيه وأصفاه أعظم سعادة ونعيم صابرة متهيبة من اظهار كل توقده والله بذات الصدر عليم أضحي له سبحانه وتعالى عواطفي الكليمة واذرف امامه دموع الخاطئة الاثيمة ومن هذا المكان الذي أختاره كما قلت مقاما أهتف اليه منتحبة « أختطف هذا الحب مني وانزع كل عواطفي واملأني منك وحدك » فلا ألبث يا فاطمة حتى يتمثل محبوبي بملامحه الجميلة الفتانة في نفسي حيث لا يبرح مقيما فيحول بيني وبين ذلك الاله

فيا ملالة الملوك التي منها تسلسلت ويا أبوي ويا نصارى . . . بل يا اله النصارى الذي شئت ان تحرمني حبيبي هلا حرمتني حياتي وقد وهبتني اياها وامرت ان استردها مرغمة فلم يبق لي مطمع فيها هلا سمحت بموتي أمينة لك غير خائنة حبيبي فيغمض بيده العزيزة الكريمة هاتين العينين اللتين احبهما

آه أين هو وماذا يعمل الآن أليس بسائل عنى عشت أو مت بعيدة عنه .. انه يتجنبني .. يهجرني .. فكيف أحيا بعد هجرانه

فاطمة أنت يا ابنة الملوك أهكذا بهم تقتدين .. أنت التي توهب نفسها لاحتضان ربها

زهيرة ولمّ لم يشأ ربي ان يجعل حبيبي من امته ... بل هل أوجده ليكون فريسته او فريسة ابليس وطغمته ومن قال ان الله يبغض قلبا طاهرا وصدرا واسعا كصدره وقلبه كريما محسنا عادلا فاضلا باسلا سخيا وماذا يكون أكثر من ذلك لو ولد نصرانيا ... يقال ان صلاح الدين امير المؤمنين المظفر العظيم الذي صبا هذه المملكة من اجدادي والذي اشتهر كمن فى حلمه يقال انه ولد من نصرانية فما ادراك ان ذلك الاله الذي طالما وصف أمامي بالحلم والرأفة والحنان لا يرأف بي فيسمح بهذا القران ويجعل من زهيرة بجلوسها على عرش سوريا ركن المسيحيين وحاميتهم فى آسيا وينظر بعين العطف والرضى الى العواطف التي تتنازع قلبى فتمزقه ويكتفي بأن أكون به مؤمنة وان أعبده في سري وضميري دون ظاهري ...

لا ادري اي شعاع من هذا الامل لمع الان في قلبي فلعل ذلك الكاهن المنتظر ذلك الوسيط بين الخالق وخلقه ينشلني من هذا الخطر ويحقق في هذا الامل فيدفع الموت واليأس عني وعن قلب حبيبي

فاطمة   ألست تبصرين ضلالك فيما توهمته أملا . .

زهيرة   دعيني فاني في كل أمر متبصرة وسأكون بصيرة حتى في موتي . . ومن نكدي وتعسي اني أرى وطني وأهلي كلهم قد حكموا علي حكمهم المبرم وانني رغما عن كوني ابنة لوزينيان أعبد ممن وان جل ما تتوق اليه نفسي أن يكون شريك حياتي وانني لولا التقى لارتميت على قدميه وبحت له بحقيقة أمري وهتكت له ضميري وسري

فاطمة   لا يسهَ عن بالك ان هذا الاقرار قد يؤول الى هلاك أخيك وبلاء النصارى الذين لا مستند لهم الاك وخيانة ربك الذي اليه يدعوك

زهيرة   أخطأت ولا غروَ فأنت تجهلين قلب ممن

فاطمة   انه خليفة المسلمين وحامي الاسلام فهل يصفح عمن يسعى لابدال عقيدته منك بعقيدة تخالفها ويمقتها . فكلما اشتد حبك في قلبه اشتد حقده على الساعي بابعادك عن ربه وهل نسيت ذلك الكاهن الآتي باسم الرب اليك وأقسامك وعهودك و . .

زهيرة   حسن ليأت فأنا منتظره (تذهب فاطمة) ومنك يا ممن الصفح والمغفرة فلئن كتمتك سري فلقد آليت أن أكتمه وسأبوح بهيمني ولو مرغمة آسفة كئيبة نادمة شقية طفح كيل شقائها

بفقدها من حبك مشتهاها وقد كان حبها وكل رجائها من دنياها

المشهد الثانى

معن زهيرة

معن كان يا هذه زمن سحر فيه لبى فاستسلمت دون خجل الى حبى حبا عزز لي التمادي بالتعلق بك زمن خلتنى فيه محبوبا وذلك أقل ما كان يطمع به مولاك مستعبداً لهواك تدوس كبرياءه قدماك

أما الان وقد بدا منك ما بدا فلا تخالي انى جئتك كالعاشق الغيور القبيح مرغيا مزبدا قاذفا قولا شنيعا معاتبا عتابا مريعا متوعدا مرعدا بل أنا أكرم وأعظم من ذلك وجنانى أثبت من أن يدمى ويئن ويشكو ولكنه أرفع من أن يكظم الغيظ أو يغضى على القذى

ولذا جئتك معلنا بانى غير مقابل تقلبك وجموحك الا بما هو جدير به من الاحتقار فلا تتحفزي لخداعي طمعا بميلى اليك ولا تبحثي عن أعذار لاعراضك وصدودك تتفننين بتلاوينها فتبهري بها نظري طمعا باسترجاع محب آلى على نفسه أن يسلوك مؤثراً جهل ما حدا بك الى ما بدا منك على معرفته خوفاً من تعرضه للخجل والاشمئزاز وقد قضى الأمر وسيعلو غيرك العرش الذي تنازلت أن أرفعك اليه وسترى غيرك ما لم تر عيناك فتقدر القلب واليد اللذين لك قدمتها

حق قدرهما فلا تعبث كما عبثت بهما

وربما عز عليّ ذلك ولكني عزمت عليه ومثل معن هان كل عزيز لديه

وأحب اليه الموت يأسا لبعدك من الموت مخونا مغدورا بقربك والسلام على حسنك وعلى حبك

زهيرة أتسلبني كل شيء يا ربي وتستبد كما تشاء بي ولا ترثى لزفراتي وشجوني وحسراتي . . ما زلت قد نحوات يا مولاي من حبي فاعلم ...

معن أجل فقد قضى بذلك شرفي . . . وما كان أشد غرامي بك . . وانت التي شئت ان اعرض عنك واملوك لتنضمي تحت لواء غيري و . . ولكن ما بالك يا زهيرة تبكين

زهيرة أبكي لا أسفا على هبوطي من عرش رام السلطان ان يصعد بي اليه لا والله العظيم العليم بسريرتي وبامتثالي لأمره وطاعتي القدير ان يسحقني ان كنت أبكي الا لفقد حبك

معن أو انت تحبينني

زهيرة يسائل اذا كنت أحبه ياربي

معن عجزت وأيم الله عن فهم هذا الاقرار وقد عهدتك لا يقر لك قرار أتحبينني وتعملين يا قاسية على تمزيق قلب محب

ما أعظم اخلاصه في محبته محافظ على عهده وأبيته أجل لقد كنت مغروراً بذاتي فخلتني في ساعة من غمي ويأسي أشد تسلطا على نفسي ولكن قلبي بعيد من أن يكون له هذا التمالك القبيح بازاء هيبة جمالك وان المقدرة على السلوان اذا أعطيتها من الله عددتها نقمة تطيب لي دونها نعمة التقيد بذمامك والتفاني في غرامك وحاشا لي ان أجلس غيرك على عرشي أو ان أفكر في سواك فعفواً عن غضبي واضطرابي واهانتي اياك بما اظهرته لك من احتقار يكذبه مني هذا الاقرار وهي الاهانة الوحيدة التي احتملتها وتحملينها في كل حياتك فانت أبداً محبوبتي المعززة المعتبرة ومعبودتي الموقرة المبجلة ولكن كيف تطلبين تأجيل اسعادي ما زال فؤادك شيقا جازعا كفؤادي

أدلالا كان ذلك منك أم حياء أم خشية من سلطان يود لأجلك التنازل عن سلطانه أم تصنعا ولست على التصنع الكريه مكرهة ولا عليه مفطورة ولا قدر الله ان يدنس التصنع طهارة اصلة في نصلنا فاطهر تصنع متولد من المكر والرياء ولم أكن قط مرائيا ولا مخادعا في حبي بل أصدق واطهر محب . . .

زهيره كفى فان همي لا نطاقك أعظم من غمي لاحجامك فلا احب منك الي حبا بالغا عنان السماء ولا اشقى مني بهذا الحب

شقاء ما بعده شقاء

معن اوضحي كلامك ناشدتك الله فكفاني ما عانيت من الاضطراب وما كابدت من العذاب

زهيرة (لحدة) هلا تتركني ابوح بسري يا عالما وحده بامري

معن ما هذا السر الذي تكتمينه عني يا زهيرة فهل احد من النصارى يتآمر على ام هل احد يعمل على خيانتي تكلمي ..

زهيرة وهل من يقوى على المكر بك وفي رمق ولا اسمي ولا امنع، سماء فيك فأل الخونة فلا تجزع وانما انا وحدي الشقية الجديرة بالاشفاق

معن تقول انها تشقى يا رب

زهيرة دعني فاجثو على قدميك مرتعدة ملتمسة منك ان..

معن تلتمسين وحقك ان تأمري وان تطلبي حياتي فهي لك

زهيرة ما اعز علي هذه الحياة منضمة الى حياتي فيا معن يا حياتي يا اميري مر بان انفرد اليوم لمناجاة ضميري والتفكير في نكبتي ولوعتي وغدا اكشف لك كل سر يرني

معن في اي حال من القلق جعلتني . . فهلا استطعت ان . .

زهيرة اذا كان لم يزل حبك شافعا بي لديك فلا ترفض ملتمس عانية حياتها او موتها رهن شفتيك

معن وجب علي الرضى بما ترتضين فليكن ما تشائين رغما
مما يحملني ذلك من العناء فاذهبي ولا تنسى اني اضحى لرغبتك
ومشيئتك اجمل ساعاتي واعز يوم من حياتي

زهيرة انك تمزق فؤادي بهذا الكلام

معن اذا لا مندوحة من افتراقنا الآن

زهيرة اذا شئت ان لا تخيب رجاءي

معن حسن فاذهبي برعاية الرحمن

المشهد الثالث

قراس معن

معن ما أعجب انفراداً ترومه ولم يتم بعد ما بيننا اجتماع
وما أسرع حبها بسهل انقيادي ولين جانبي ورقيق فؤادي وكلما
افتكرت بذلك يا صاح اشكل عليّ سر اكتشابها الغامض عجبا
من انكسارها وقد جعلها حبي السلطانة المطاعة ومن زفراتها وقد ملأت
صدرها بسعادة هي جل ما تتوق اليه ومن عبراتها وقد عنع ناظرها
بمرأى حبيب يحن عليها ونحن عليه

انه لأمر غريب يسيئني بل انا المسيء اليها بظنوني واقوالي
وشكواي وحسبي انها مخاصة في هواي واذا صبرت وتساهلت
فذلك اقل ما وجب علي بعد تلك التهم الشنيعة والحملات الفظيعة

التي حملتها والاهانات التى حملتها فخطأي ظاهر كسلامة قلبها وخلوص نيتها وصدق لهجتها وبساطتها وهى لم تزل في سن سادت به الطهارة جدير بوثوقي من صدق طويتها فحبها لا ريب فيه وهو ظاهر قرأته امامك فى عينيها ولاحت اكثر من مرة نفسها الهائمة في حبي نظهره لي من شفتيها واي قلب تتوصل به الخيانة والخساسه الى اظهار مثل هذا الغرام ويكون منه خاليا

المشهد الرابع

معن قراس منذور

منذور مولاي هذا الكتاب المعنون باسم زهيرة اتصل الي من أحد حراس عظمتكم أمسكوه من .

معن هاته. ومن كان حامله

منذور رجل من النصارى الذين عفوت عنهم واطلقتهم من الاسر وكان على وشك الدخول سرا الى القصر فامسكوه وقيدوه بالحديد

معن حسن (يومئ اليه بيده بان يذهب)

المشهد الخامس

قراس معن

معن بم ترى ينذرني هذا الكتاب.. وعلى م تولاني الاضطراب

قراس ان من هذا الكتاب اذا فضضته نوراً لبصيرتك وطمأنينة لخاطرك

معن لنقرأه (يأخذ بفض الغلاف) ولكن يدي ترتجف وقلبي يحدثني حائراً خافقا بأن في سطوره خط القدر لي في هذه الحياة (ينشر الكتاب ويقرأ)

«عن زني زهيرة.»

«لقد حانت ساعة اجتماعنا وان لناحية في الجامع مخرجا خفيا يمكنك أن تسلكيه مستخفية عن أعين الرقباء فتحقق منا الرجاء ولا يقعدنك الحذر يازهيرة فأنا لك بالانتظار وقد علمت ما اتقد به فؤادي من الغيرة فان نكثت العهد وخفرت الزمام مت كمداً والسلام»

ما قولك في هذا ياقراس

قراس انه لأمر فظيع ترتعد له فرائصي

معن أرأيت كيف يزدرون بي

قراس ياقبح هذه الخيانة انما أعجب لسكونك ازاءها وكنت منذ قليل تتوقد وتتوجع لريب بسيط داخل قلبك فلا شك انها جاءتك دواء شافيا . من حب كان يخدش شهرة وسمعة وقدراً ساميا

معن اليها في الحال سر طر وأرها هذا الكتاب واقرأنه ثم فلتمت مطعونة مثة طعنة خنجر في قلبها انما قبل ذلك . . لا لا

فابق ابق فلم تحن الساعة بعد . . أريد أن يساق أمامها ذلك الناصري بل لا أريد شيئا ولا أدري ماذا أريد . . بل أكاد أموت غيظا وقهراً وكمداً

قراس . ما أهين سلطان مثل هذه الاهانة أبداً

معن لقد علم ذلك السر وأي سر فظيع هائل ما كان أثقل وقره على قلب تلك الخائنة ويحها كيف رامت أن تحتجب عن نظري تحت حجاب مستعار من مداجة وصفاء نية ونهيب ووقار فرضيت بما رامت مكرها ولم أر خلف دمعها مكرها فذهبت «وتألمت وبكت ولم يك كل ذا الا خداعا ضعت فيه نوهما» ولم يكن اختلاؤها كما ادعت للتفكر في نكبتها بل للتفكر بما يوسوس لها الشيطان من نكبتي بخياناتها فويل من مكرك يا زهيرة . .

قراس كل ما بدا منها يضاعف هول جريمتها فاملك نفسك واربأ بها أن تمسي ضحيتها ولا اثم عليك ولا حرج

معن أهذا هو فيراستان البطل الشريف الباسل ذاك الذي طبقت شهرته هذه البلاد وشدا بفخره كل شاد والذي كنت له أبها ومستاء من نفسي أن يكون لنصراني مثله من العظمة ما لها آه من كيده ومن مكره فلسوف أرده في نحره . .

ولكن زهيرة زهيرة يفوق جرمها جرمه ألف مرة ياويحها عبدة ناصرية

ما كان أخلق بي لو أبقيتها في حالة كانت بها حرية من الهوان والعبودية ووا ندمي مما فعلت بي على ما فعلت لأجلها

قراس أنا طوع مولاي فيما يشاء من خدمة أقوم بها لديه في هذا الخطب الجلل

معن أجل اني أريد أن أكلمها وأخاطبها فابعث من يستدعها الي (قراس يخرج هنيهة لتلبية الامر ثم يرجع)

قراس وما الذي تريد أن تقول لها في هذا الحال

معن لا ادري والله . . ولكني أريد أن أراها

قراس قد يدفعك اليأس يامولاي أن تشكو أو تتوعد أو تذرف دمعا يطمعها بضعفك فتتخذ منه لها سلاحا تعاود به التسلط على قلبك المخدوع وتجد ألف حجة لأقناعك ببراءة ساحتها رغما عن ظهور جريتها وثبوتها وما كان الاولى بك لو شئت ان تخفي عنها هذا الكتاب فتبعث به اليها ثم بعد اطلاعها عليه تكشف خفايا قلبها ويتضح لك كل ذنبها مهما عظم دهاؤها وتدليسها وتحيرها

معن اذا انت متثبت جريتها . . متيقن من خيانتها . . مهما يكن فاني أريد ان أبلو القدر وابلغ بالفضيلة أبعد حدها لارى ابعد حد تبلغه المرأة برذيلتها

قراس اخاف عليك يا مولاي من شؤم هذه المحادثة

والمواجهة فان قلبا كقلبك . . .

معن لا لا تخشَ عليَّ بأسا فاذا كان قلبي لا يعرف التدليس كقلبها فاني اعرف ان أعمالك وأكظم وأصبر وأنى لي بعد أن أنخدع بها وهي التي تحط بي الى استخدام ما آنف منه لمعرفة شريكها ومحبوبها فاليك هذا الكتاب المنطوي على مصابي بل مصابه ومصابها واختر خادما أمينا فيما يسلمه ليدها تسليما فاذهب وانا أيضا عزمت على تجنب مواجهتها والتعرض امينيها فأبلغها اني عدلت عن مكالمتها أسرع اليها . . (يخرج فراس) ولكن ها هي قد أقبلت فاهني بار بها عليها

المشهد السادس

زهيرة معن

زهيرة لقد أخذني العجب يامولاي من استقدامي اليك فلعل خيراً ما طرأ عليك

معن أن الأمر أهم مما تخالين وعليك أن تجعلينى منه على بينة وعبثا تراوغين أو تتظاهرين أو تتباكين فقد ندمت به ورأيت ان لا مندوحة لكلمة منك تحدد مصيرنا وتجلي غامضا أشقى به وتشقين فهل ما عاملتك به وقد ناصبت سلطاني وطرحت على قدميك صولجاني وأغدقت عليك احساني وأحطتك باعزازي وحناني وشملتك

بعنايتي وخولتك ثقتي وأماني هل كل هذا أقنع من قلبك عاطفة امتنان ظنها قلبك حبا وتخيل أني غزوته فملكته وهو ما برح مفتوك متساط غيري كل يوم يهاجمه

لقد حان لي ان أقرأ ما في نفسك وأن ينفتح ما أغلق فيها الطرف الخارق وصوتي الحر الصادق فاجيبي على صدقي بالصدق وكوني أنت نفسك حكم نفسك فسليها اذا كان مشغلها عني أو مبعدها حب رجل سواي شاطرها حبها اياي أو تغلب عليه فتملكها وحده ولها غب صدق اعترافها في الحال مغفرة مهيأة في قلبي

ان عفوي يا زهيرة ينتظرك فيما لو شئت أن تضحي لحبي ذاك الوقح الذي تجاسر ان يحبك ويغرك فهلا بحت لي باسمه وهلا افتكرت أنى انظر اليك وان الصاعقة التى توشك انتنقض مني عليك لا ترتد الا بكلمة منك وان بعد هذه الدقيقة يستحيل عفوي منك

زهيرة أنت يامن تجسر أن تخاطبني بهذا الكلام وتسدد الى يا قاسي القلب هذه السهام ألا فاعلم ان هذه التي تهينها وتطعن بها فوق طعنات أدمت قلبها شاء أن يبلوها بها ربها لهي ذات محتد يساويك بها بل يرفعها وشرف تفاخر به أمامك وتشمخ برأسها

فاذا جاز لك ان تشكك بحبها فحذار ان يخامرك اقل ريب بحزنها وصدقها وكبر نفسها وشهادتها وحشمتها

وما غالي والأعداء عندك ولا مفزعي الا حبك فلا تنسب تنازلي الى تبرئة نفسي في عينيك واحتمالي عار دفع هذا العار عني لديك الا لذلك الحب المشؤم الذي اشتمل فيّ فاحرمني كل راحة

انا أجهل اذا كان الله وقد طال تخليه عني قدر ان تكون لك حياتي الشقية ولكني مهما كان نصيبي اقسم بشرفي الذي لا يقل عن حبي توطداً في قلبي انى اذا أعتقت منك فاعظم الملوك يكون أحقرهم في عيني وأجمل الرجال دونك اكرههم وابغضهم الي واذا شئت ان تعرفني اكثر مما عرفتني وان تكشف حجاب هذا القلب الذي بات فريسة الحسرات والاشجان فاعلم انه طالما فكر سراً بما باح به لك الان وكان يكتمه مرغما وانه كان بك مغرما من قبل ما جاء غرامك يزكي غرامه ويؤيده وأنه أحبك حبا لا امتنانا من قبل أن تعد له صولجانا وتغدق عليه احسانا وانه كان يلتهب طربا على أقدامك قبل ان تطرح تاجك على أقدامه وأنه لم يكن ولن يكون له سلطان سواك وحق من أعزك وولاك وأذلني وحرمني نعمته واستأهلت لأجلك نقمته

معن (الحدة) وبلاء ولا تزال شفتها تثبت لى محبتها وفى

يدي برهان خيانتها ... آه يا زهيرة يا غادرة ما هذا الخبث وهذا النفاق يا ماكرة ..

زهيرة   ماذا تقول ؟ .. وماذا ألم بك وما لك خفوقا مضطربا

معن   لا لست مضطربا ... اذا انت تحبينني ؟ ..

زهيرة   ما هذه اللهجة الخبيثة التي تكلمني بها عن حب يظهر لك كل يوم ظهور الغزالة انك تلفظ الحب في فمك بصوت يلقى الرعب فى قلبي

معن   أتحبيننى ؟ ..

زهيرة   أو لم تزل ترتاب فى محبتى .. ناشدتك الله قل لي ما سبب اضطرابك وما هذا الغضب الذي تملكك وما هذه النظرات المريعة التى تلقيها علي .. أواه وهل صح انك ترتاب فى ..

معن   لا لا ريب فى محبتك فارجعي الى حجرتك

المشهد السابع

معن قراس

معن   هل قضى الامر

قراس   نعم وسوف تراها دون اكتراث فتقتص منها ولا تندم بعد أن تكون أرديت عاشقها وشفيت من حبها

معن ابداً لم ينم ظاهرها عن خبث طويتها بل ظلت هادئة في جريئتها مبالغة في محبتها كاذبة بسلامة نيتها بالغة ابعد حد في مواربتها كاتمة قبح سريرتها باجمل تظاهر بحشمتها وانفتها ومع ذلك فاني ما شغفت من حبها ولم ازل مشغوفاً اكثر مما شغفت قبل اليوم بها

قراس عجباً مما تقول يا مولاي عجباً

معن لا تعجب فاني لم ازل ارى شعاعاً من الامل أن ذاك الناصري الشنيع المتثقف في فرنسا هو حديث السن عديم التبصر قليل الرزانة كثير الاعجاب بنفسه فلا غرو اذا تهور واثقاً من بلوغ امنيته امينا في حبه الفاضح من خيبته واندفع بخيلائه وجسارته وعدم فطنته ورؤيته الى اظهار ميله وفساد نيته وقد تكون اعمته نظرة من زهيرة اضطرب لها ولا غرو لبه وخفق قلبه فتوهم انها تحبه وهي بريئة مما توهم غير ممائلة اياه ولا مجارية في هواه فليس مسيئاً الي ولا مجرماً الاه وما زالت غير مطلعة على ذلك الكتاب فلا أكون منصفاً ولا مصيباً اذا تسرعت بتصويبي عليها سهام اللوم والعتاب واستسلمت للهياج والاضطراب

فاسمع يا قراس متى اشتد ظلام الليل ساتراً ذنوب الناس فظاهر الك ذلك الافرنسي الغر جاحد المعروف والبر يتقدم نحو أسوار القصر فمر الحرس ان يمسكوه في الحال واعد له كل أنواع النكال

وقده الي مكبلا بالانكال واياك اياك ان تتعرض لزهيرة بسوء او اهانة فقد علمت ما لم يزل امها في قلبي من المكانه والى أي حد تمادت فى حبها

وانى لخجل من ضعفى واستسلامي لغمى ويأسى ولكن غضبى أشد وهو يريعني إنا نفسى فالويل لمن تعمد اهانتى والموت لمن أقدم على خيانتى

ينزل الستار



الفصل الخامس

المشهد الاول

زهيرة فاطمة

زهيرة اقرأي هذا الكتاب ايتها العزيزة واشيري علي بما يجب ان أفعل فقد حمله الي أحد مماليك هذا القصر قائلا انه عهد اليه تسليمه ايدي سراً وهو ينتظر فى الخارج أمري مستعداً لخدمتي فيما ارغب ولصيانة سري (بعد ان تقرأ فاطمة الكتاب) هل امتثل لاوامر أخى

فاطمة بل لاوامر الله الذي يدعوك الى أحضان يمنه بفم أخيك

زهيرة اجل ولست متصامة عن صوت الحق عز وجل ولا متناسية عهدي وأليقي ولكن أمن الحكمة ان اعرض نفسى واخى والمسيحيين لهذا الخطر الجلل

فاطمة لا اخالك مضطربة من هذه المخاطرة بل من صوت الحب الذي لايزال يناجى نفسك الحائرة ولولاه لأبصرت ما ابصروا

وخاطرت بما خاطروا ولكنك لا تزالين تحبينه وتهابينه رغما عن فظاظته ورغما عن نفسه التعرية التى توارت عن نظرك بين افضاله ومحبته واتن يكن حملا فى ميله وتودده فهو نمر في غضبه وتوعده اولا تزال هائمة به نفسك وهو يكاد بشراسته يفترسك

زهيرة وانى لي ان ألومه وانا وحدي الملوم انا التي سببت لنفسي كل هذه الهموم يوم جاءني مبتهجا ظافراً طارحا على أقدامي تاجه وعرشه وقلبه صافراً طربا جذلا متهللا بساعة أزف فيها اليه مدى العمر كان ينتظرها بفارغ الصبر وعلى أحر من الجمر وكل معالم الزينة أقيمت فى المعبد وكل مجد وسعد أعده لعروسه عليه تحسد فأوقفت الابتسامة فى فمه فاصفرت شفتاه لزفيري وأنيني وأبعدته وهو من قلبه يدنيني وهبطت به من سماء آماله وهو يعليني وطلبت تأجيل ما بذل كل نفيس لتعجيله لا سبب ولا ايضاح ولا عذر ولا افصاح ولا حذر من غضبه ولا وجل فتجهم وتمالك وهاج وسكن وغلبه الحب فامتثل ولو انه صعقني بغضبه لكان نعم ما فعل

فاطمة أيليق بك التفكر الآن في حبك وقد دعيت لملامسة ربك

زهيرة آه بافاطمة لا أرى الا العثار أمامي في كل سبيل كما أرى ان ابعادي عن هذا القصر من المستحيل فكلما تمنيت

ان أنجو منه بنفسي الضالة الى بلاد الهدى كذبني حالا صوت في داخلها هو حنين الى بقاءي فيه أبداً فما هذه الحالة التي أمسيت فيها وما هذه الاوصاب التى أعانيها وأي عواطف تتنازعني واي عامل يدفعنى ثم يردنى بل ان نفسي الآن لا تشعر الا بالخوف فأنا خائفة واجمة واجفة راجفة أبعد عني يارب هذا الشعور الأليم فان قلبى يحدثنى بعذاب عظيم فاكتنف قومي بعنايتك وأحط أخي برعايتك وها أنا ذا ممتثلة الى امرك وامره مصغية الى ندائك وندائه ذاهبة الى لقائك ولقائه

ولكنى راجية منك بعد ذهابه ان تسمح لي متجرئة بغيابه بان اطلع محبوبى على مذهبي وعلى سر حياتى وأكشف له كل مخبآتى فيقرأ في قلبي ويرمقنى بالحب ويلطف بى ولولاك ربى ولولا اخى ومعبودتي لما صبرت ساعة على تمليكه مهجتي وحاشا لي ان أحنث بقسمى او ان اخون عظمى ودمى فاذهبي يا صديقتى وليحضر المملوك الي ووافينى الى ذلك الموعد باخى (تخرج فاطمة) وانت يا اله قومى وابى افعل ما شئت بى فانا لأمرك خاضعة وانى اليك مراجعة

المشهد الثانى

زهيرة . المملوك

زهيرة قل لمن ارسلك انى مقيمة على العهود وان يوافينى

مع فاطمة الى المكان المعهود (يذهب المملوك) تشجعي يازهيرة فانت منقادة بيد الله القدير وهو ولي الامر واليه المصير

المشهد الثالث

معن قراس والمملوك

معن تكلم

المملوك مولاي انها اضطربت أيما اضطراب واصفرت أي اصفرار وارتجفت وبكت وأمرتني ان أبث خارجا بالانتظار ثم ما لبثت ان استدعتني وقالت وصوتها يرتجف وقلبها يخفق ان اذهب الى من أرسلك وقل له اني مقيمة على العهود وان يوافيني مع فاطمة الى المكان المعهود

معن كفى فاذهب (يخرج المملوك) وأنت فاحتجب عن ناظري ياقراس فقد كرهت مرأى الناس دعني وحدي ولا رفيق الا منتهى غضبي وبغضي ويأسي فأنا من الحياة يائس وكل حي مبغض حتى نفسي (يخرج قراس)

المنظر الربع

معن

أين أنا .. أين أنا ياربي وأين أحط آمالي .. زهيرة .. نيرمنان .. ياكافرين بالنعمة ياخائنان اجهزا علي والطخا يديكما بدمي كما لطختماني

بالعار بل لا لا يا زهيرة ياشقية لن يقر ناظرك بمصرعي وبالحياة بعدي ان تتمتعي

المنظر الخامس

معن قراس

معن هد الي ياقراس .. كيف تتركني ياقاسي القلب يامدعى الصداقة والحب تعال قل لي هل بان امينيك ذاك الوغد

قراس لم يبن شيء بعد

معن يا ليل .. ياليلا هائلا .. ايها الليل المدلهم المريع .. كيف ترخى سدولك على اثم كهذا الاثم فظيع ..

زهيرة ياناكثة العهد ياناكرة حسن الصنيع ألم يكفك تنازلي وهبوطي من أعلى مقامي باسم الوجه قرير الناظر واحتمالي ذل اسرك ثبت الجنان طيب الخاطر حتى شئت ان تحملني بخيانتك ما تتفطر منه المرائر

« لا لا أصدق ان تحت ظواهر ملكية تخفى الحقيقة ارقما »

« يا اله الوجود دعها ودعنى اتولى تعذيبها بيدي
قد تخليت عن جميع الخلائق

« لك يا ربها فدعها تخل وبها اليوم لا تطالب شقياء
« غيرها في الوجود لم يك عاشق »

(الى قراس) الم تسمع صراخا

قراس لا ياسيدي فالسكون ساد في كل القصر والكل نيام

معن الا عين الخيانة فهي يقظى وعين المخون ايضا لا تنام

« كان لي في الغرام حلم تجلى بمجالى الهناء واليوم ولى »

ولحظة منها كان يتوقف عليها مآلى وتتعلق بها آمالى وهناءي ونعيمى او شقاءي وجحيمى وهي كأنها لم تكن سامعة أنين قلبي ولا رائية حنيني وحبي فبالك يا زهيرة من قاسية طاغية باغية بالغدر متناهية (يبكى)

قراس أأنت تبكى أنت أيها السلطان

معن انها اول مرة سالت فيها عبراتى وهى عبرات هائلة سوف يعقبها الموت فاندب زهيرة واندب من كان ولم يزل بها مغرما فقد دنت الساعة التي سبقتها هذه العبرات تنذر باستحالتها دما

قراس واخوفي عليك وارتعاشى

معن بل ارتعش من آلامى ومن غرامى وارتجف من انتقامى . . اقترب ألا تسمع

قراس بلى . أسمع خطوات قادم تحت أسوار القصر

معن سر واقبض عليه وكبل يديه وعد به الى

المشهد السادس

معن زهيرة (في الظلام فى آخر المسرح)

زهيرة أين فاطمة ! . . أين نبراستان

معن ما أسمع .. أهذا هو الصوت الذي طالما سحرلي
وأخذت نغماته بمجامع قلبي ذلك الصوت الذي ينشد الحب بينما
قلبها يرقص باللؤم والغدر أهذا هو صوت الأثيمة آلة الجريمة .
القتل جزاء من غدر (يستل خنجره) بلى .. هي .. هي زهيرة
يا للقضاء والقدر .. يكاد الخنجر يفر من يدي
زهيرة أمشي ويقشعر بدني فواحر كبدي (معن يدنوا منها)
أهذا أنت يا حبيبي نيراستان لقد عيل بانتظارك الصبر
معن (هاجما عليها) بل هذا أنا فريسة غدرك وهذا جزاء الغدر
(يطعنها بخنجره فتهوي داخل الكواليس)
زهيرة رباه .. أموت .. روحي اليك تفيض

المشهد السابع

معن نيراستان قراس فاطمه حاشيه

معن (الى نيراستان) تقدم يا بريد الشؤم يا مأوى الخيانة
واللؤم يا سالبا مهجتي يا من لم يزل يقطر من دم محبوبتي جئت
تسومني في بيتي العار فاستعد لعقابك يا غدار وهو يبتدىء منذ
الساعة في طي ضلوعك فان عينيك عبثا تبحثان في كل مكان
وتطلبان عشيقتك وفاضحتي فلا تجدان تلك الخؤون انظر انها هنا
بين مخالب المنون

فاطمة واحبيبتاه واحسرتي على صباك يازهيرة (تنكب على زهيرة داخل الكواليس)

نيراستان ماذا تقول .. يا للخطأ المهول

معن قلت لك تطلع .. أنظر ..

نيرستان ويلاه ماذا أرى .. واشقيقتاه .. زهيرة .. أواه ماتت .. ماتت شقيقة الروح .. قتلتها يا وحشا ضاريا

معن شقيقته .. اللهم .. ماذا أسمع .. أيحتمل ..

نيراستان أجل يا بربري أجل انها شقيقتي سلبتني اياها وان لوزينيان مات أمس شهيد ظلمكم وكان أباها .. فهلا ألحقت بها أخاها وهدرت من قلبي آخر دم من دماها ومن قرباها انما شاء ربي واأسفاه أن تموت مدنسة في حبك لاهية عنه بك وما جئت الا لتطهيرها واعتناقها مسيحها فسبق السيف العذل وعسى أن يغفر الله ذنبها الجلل

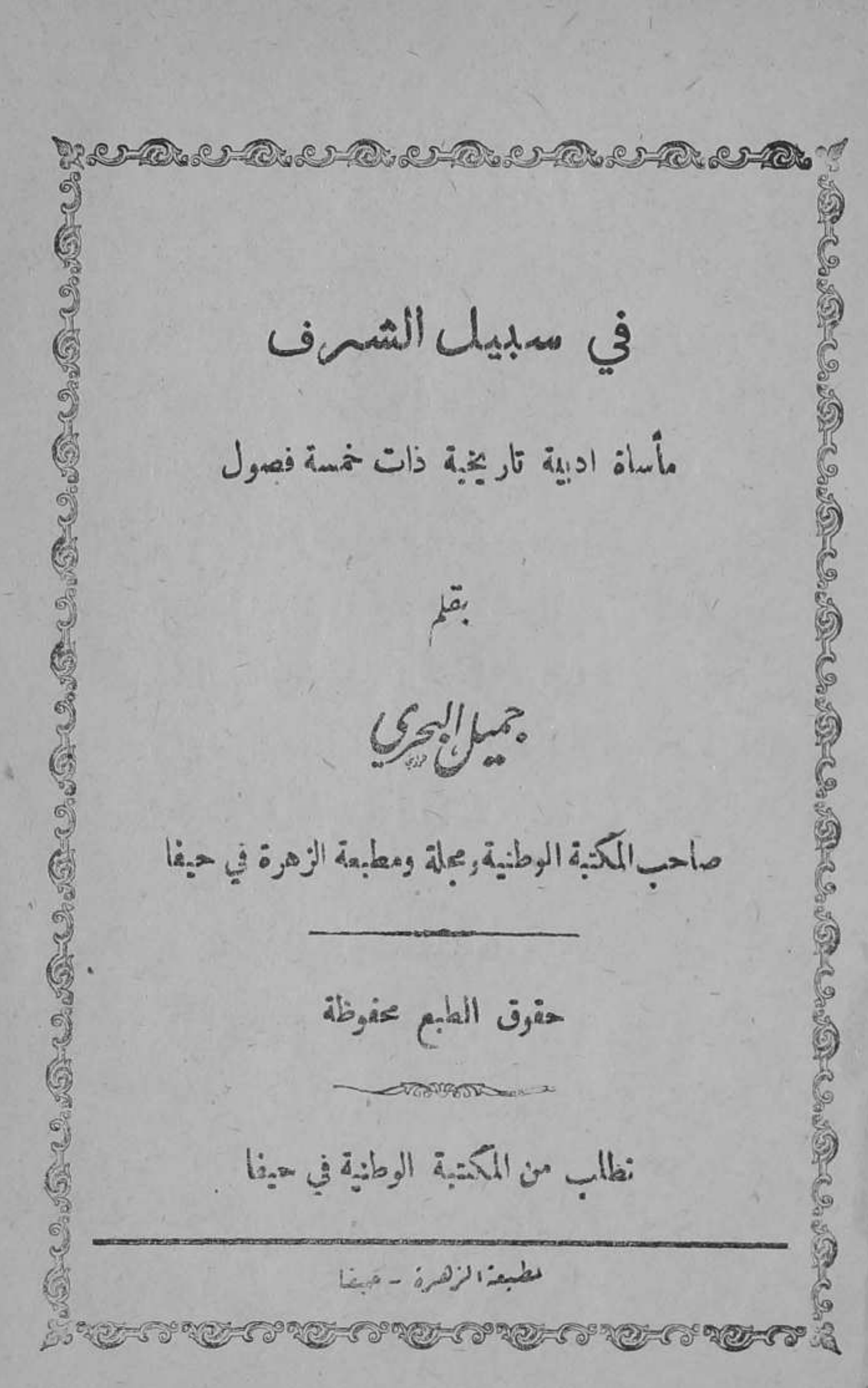
معن يا ويلاه مما فعلت .. بل يا لهول ما فعل القدر .. زهيرة يا زهيرتي المعبوده .. أتصفحين وتسمحين أن تضمنا الترب ولم يضمنا العمر وان اتنعم بعد الموت في جحيمك ولم أحظ في الحياة بنعيمك ان روحك تناديني والقدر يدفعني اليك فلبيك يا زهيرة لبيك

(الى قراس) اسمع وامتثل لارادتي . . حل وثاق هذا الكريم ثم سر حالا وأطلق جميع الأسرى المسيحيين وأجزل لهم هباتي وأغدق عليهم حسناتي واملأ جيوبهم بالمال وليسيروا بامان الله الى وطنهم والآل معززين مكرمين .

(الى نيرستان) وانت ايها الجندي التعس ليس اتعس مني بارح هذه الارجاء الملوثة بالدماء واحمل الى وطنك هذه الجثة الطاهرة فيرثى ملكك لمصابك ويبكي مواطنوك لرواية اوصابك واذا شئت ان تقول عني الحقيقة فانهم سوف يرثون لي ولو هالهم جرمي وخذ لهم هذا الخنجر الذي اغمدته يدي الضالة فى صدر من كانت اجدر الخلق بولاءي ورعايتي ووفاءي وأكمل مخلوقة دون خلق الله واطهر من فى ارضه وسماه وقل لهم اني طرحت على قدميها سلطنتي وانها كانت معبودتي وان هذا الخنجر من يدي انتقم لدمها فى دمي (ينتحر) الى (حاشيته) لا يمس احد كرامة هذا الهمام وسيروا لحراسته حيث رام

نيراستان اهدني يا اله المسيحيين فقد أنساني مصابي بأهلي تحسري على أمير المسلمين

انتهت الرواية



في سبيل الشرف

مأساة ادبية تاريخية ذات خمسة فصول

بقلم

جميل البحري

صاحب المكتبة الوطنية ومجلة ومطبعة الزهرة في حيفا

تطلب من المكتبة الوطنية في حيفا

مطبعة الزهرة - حيفا

رواياتنا التمثيلية

		غرش مصري
سجين القصر	(خمسة فصول)	٦
قاتل اخيه.	(ثلاثة فصول)	٥
في سبيل الشرف	(خمسة فصول)	٦
ابو مسلم الخراساني	(ثلاثة فصول)	٥
الخائن	(ثلاثة فصول)	٦
زهيرة	(خمسة فصول)	٥
وفاء العرب	(ثلاثة فصول)	٣

تحت الطبع

حصار طبريا وهي مأساة نسائية ادبية تاريخية ذات ثلاثة فصول وضعت خصيصا للآنسات الاديبات وتلميذات المدارس

مقدمة الرواية

رواية « في سبيل الشرف » هي شقيقة ثالثة لروايتي « قاتل اخيه و« سجين القصر » وحلقة سادسة اضمها الى حلقات الروايات التمثيلية التي اخذت على نفسي امر متابعة نشرها خدمة للتمثيل الادبي ، واملي وطيد انها تلاقي ما لاقته شقيقتاها من الاقبال فتمثل على المسارح العربية عامة وتنفد طبعتها الاولى ونطبع ثانية نظيرهما .

اما الحادثة فهي رواية على النسق القصصي كنت قرأتها لخمس سنوات خلت وقد اعجبني موضوعها وراقني مغزاها فنقلتها باختصار الى العربية و نشرتها في مجلة « المسرة » الغراء على امل الرجوع اليها يوما والباسها حلة تمثيلية تليق بمسارح التمثيل الادبي ولكن مهام مجلتي « الزهرة » والمكتبة والمطبعة ملكت عليّ ساعات فراغي وشغلتني طوال السنين السالفة عنها . على انه لم يعد لي مناص اخيرا من تلبية رغبات الادباء الكثيرة الذين يطلبون مني بالحاح روايات جديدة تتمشى بروحها وادبها ومغازيها على طريقة روايتي السابقتين ، فاخذت موضوع « في سبيل الشرف » وقسمته الى فصول خمسة زائدا فيه ومنقصا ما رأيت ضرورة في زيادته

والقاصة مع المحافظة على المغزى البديع الذي تدور حوله الرواية وجعلته خلوًا من الادوار النسائية شأني في كل رواياتي حتى اسهل على الادباء والمدارس والجمعيات تمثيلها من دون ما عناء في التفتيش على من يصلح لتمثيل دور سيدة او فتاة ·

هذه هي الرواية التي ازفها اليوم الى عالم التمثيل آملا ان تروق في عيون الادباء عامة فلاقي منهم اقبالا ينشطني الى الاشتغال بغيرها والله ولي التوفيق

شهر آب سنة ١٩٢٦ جميل

٥

موضوع الرواية

الكونت جيل دي فيرفوكون احد القواد البارزين في الحملة الصليبية الرابعة ، رجع بغتة الى بلاده فرنسا بعد ان كان معلنا عزمه على البقاء في الاراضي المقدسة مجاهدا ، وقابل جلالة الملك فيليب ليوقفه على احوال الصليبيين وكان ولده راءول برفقته . وبينما هو في الحديث مع جلالته اذ دخل فارسان صليبيان واتهما جيل بخيانة عظمى وبتسليمه احد ابطال الصليبية المدعو سيجوفروا الى اعدائه وادليا ببراهين اثبتت تهمتهما واضعفت موقف جيل تجاههما ، فلم يقوَ على رد التهمة وحوكم امام مجلس عظماء المملكة وحكم عليه بالسجن وباسقاطه من حقوقه المدنية .

اما ولده راءول الذي شهد اهانة ابيه وخسارة شرف اسرته فانه لم يصدق بالجريمة التي رمي والده بها خصوصا وقد لاحظ اثناء المحاكمة ان هنالك سرا يسكت والده عن افشائه فضلا عن تصريحاته الكثيرة ببرائته من التهمة براءة الذئب من دم يوسف فذهب الى والده في السجن ورجا منه ان يفضي اليه بذات نفسه وبعد الالحاح الشديد اخبره والده انه لم يخن سيجوفروا وان التهمة الصقت به ظلما ولكنه رضخ لها تكفيرا عن ذنب ارتكبه

وانما لنبوءة كاهن الله في الاراضي المقدسة القائلة بانه سيكفر عن ذنوبه بفقد شرفه .

فلم يقوَ راعول على احتمال الظلم اللاحق بابيه وآلى على نفسه الّا يقعد عن السعي وراء كشف سرّ التهمة واسترجاع شرف اسرته فقصد الى الاراضي المقدسة مع ثلاثة رفاق ولم تطأ رجلاه ارض فلسطين حتى فوجئ بحادث اوقعه مع رفاقه في اسر الاعداء وزج في اعماق السجون

وكاد راعول يقنط العيش وييأس من اتمام المهمة التي ترك بلاده لاجلها لو لا ان احد الرفاق جاءه يوما خفية واخبره ان كاهنا يريد ان يراه في سجنه وان لا منفذ له اليه الا برشوة السجان فحذره راعول شر العاقبة فلم يرعوِ الرفيق وتمكن من اغراء السجان وادخل الكاهن الى السجن

على ان السجان لم يكن قبوله بادخال الكاهن الا طمعاً بالظهور في خدمته مظهر الخادم الامين فاسرع حالاً الى سيده واخبره بالامر فجاء هذا صاخباً غاضباً وهمّ بقتل راعول لولا ان الكاهن انتهره صارخاً به وقائلاً الى الوراء ايها الخائن سيجوفروا .

فذهل الامير بادئ ذي بدء للصدمة ولكنه اقرّ بعد

ذلك انه هو بالحقيقة سيجوفروا الذي رمي الكونت جيل دي فيرفوكون بخيانته وانه هو نفسه الخائن الحقيقي وقد اتفق مع الاعداء واختفى بينهم

ولا تسل عن فرح راعول امام هذه البشرى واخذ من سيجوفروا صكاً يقر فيه بحقيقة الواقع ويعلن براءة الكونت جيل مما اتهم به وحمله مع رفاقه الى بلاده وسلمه الى الملك الذي قصد حالاً الى سجن جيل وجمعه الى ولده بعد ان اوقفه على الحقيقة الراهنة التى ظهرت عَلَى يد ولده راعول واعاد اليه شرفه وما خسره واعلن براءته امام مجلس عظماء المملكة وسمى راعول فارس الملك

وهكذا فان راعول الابن الابرّ لم يطق صبراً عَلَى الامتهان وذهب الى البلاد النائية وتمكن من استرجاع الشرف الذي يستميت كل شريف في سبيل المحافظة عليه



اسماء الممثلين

فيليب	ملك فرنسا
جيل	كونت دي ڤيرفوكون
راعول	ابنه
لاندري	فارسان من فرسان الصليبيين
ريمون	
جاك	رفاق راعول
ادمون	
نيفار	
سجان	
حاجب الملك	
كاهن	
الامير خالد	
«	فريد او سيجوفروا
سعيد	
زيد	
عمر	
سجان عربي	

الفصل الاول

يمثل المسرح غرفة في قصر ملك فرنسا

المشهد الاول

بعد ان يرفع الستار ببضع ثوان يدخل جيل وراءول
ووراءهما حاجب القصر

الحاجب   هذا هو المكان المعد لاستقبالكما ايها السيدان الكريمان فانتظرا فيه ريثما يوافيكما جلالة مولاي الملك فاني ذاهب لاخبار جلالته بقدومكما (يخرج)

المشهد الثاني

جيل راءول

جيل   هذا هو بيت الامة، هذا هو مقصد ابناء فرنسا ونقطة دائرتهم في ذهابهم وايابهم وفي صلواتهم وادعيتهم، هذا هو قصر مليكهم، ولا احب الى قلوبهم ولا الذ على افواههم من ترديد اسم هذا الملك المفدى والدعاء له بطول العمر وبالعز والنصر. وها اني بعد طول الغياب وبعد مضي سنوات طويلة قضيتها مجاهدا في الاراضي المقدسة اعود الى وطني المحبوب

واول فرض اقوم به هو الخفوف الى هذا القصر لاجدد عواطف الاخلاص والعبودية بين يدي جلالة ولي النعم ساكنه، وقد رغبت يا بني في ان تكون رفيقي في شرف مقابلة جلالته لانك رجل الغد ووارث اسم دي ڤيرفوكون وعليك وعلى امثالك اعتماد الوطن فمن الضروري والحالة هذه ان تتمرن منذ اليوم على مقابلة الملوك

راءول اشكر لك يا والدي عطفك، فهي نعمة تزيدها على نعمك الكثيرة التي لا تزال تتعهدني بها، وقد طالما منيت نفسي ان اقبل انامل جلالته وان ادعو له عن قرب بطول العمر والنصر، وها انك تنيلني امنية نفسي

جيل بورك فيك من ابن بارّ ووطني مخلص يرفع رأس ابيه . واني لأوصيك يا بني ان تكون لمليكك العبد المطيع ولبلادك الرجل العامل النافع، ولوطنك الابن الامين المخلص، الذابّ عن حياضه بماله وروحه، وبكل ما يدخره من وسع وقوة، هي وصية ابيك اليك بل امانته في هذه الحياة الدنيا احفظها يا بني واحتفظ بها، واجعلها مرمى بصرك ومطمح عملك، وتذكرها كل يوم في صبوحك وغبوقك . واعلم ان لا حق للانسان على نفسه ما دام وطنه ومليكه في حاجة اليه . . . (تسمع

حركة ويلتفتان) ها جلالة الملك قد اقبل علينا بطلعته البهية

المشهد الثالث

جيل . راعول. الملك (يدخل محاطا بالحرس)

الحاجب جلالة الملك

الملك (ببشاشة) انت هنا ياجيل ؟

جيل نعم يا مولاي . وتراني اسعد الناس حظاً بشرف المثول بين يدي جلالة مولاي وبتجديد ميثاق الاخلاص والطاعة لمليكي المفدى .

الملك اهلا بك يا بطلا امينا . فاني لأفاخر بك اينما حلت ركابي وقد طالما ذكرتك في حروباتي الاخيرة ، وطالما رددت ذكرى شجاعتك واخلاصك ومحبتك لمليكك وبلادك . (يلتفت الى الحاجب ويقول) اريد ان اخلو بالكونت ولا اسمح لاحد ايا كان ان يدخل عليّ . اذهب واعمل بما امرت

(يخرج الحاجب ويشير الملك الى الحرس فيبتعدون)

المشهد الرابع

الملك . جيل . راعول .

الملك (مخاطبا جيل) هل يمكنك ياجيل ان تحدثني عن فلسطين وعن حالة رجالنا الصليبيين فيها

جيل ان معنوية رجالنا المحاربين قوية جداً يامولاي ، واملهم بالله عظيم انهم واصلون الى نهاية مرضية بما يحرزونه من الانتصارات المتتالية . انما لا ننكر يا مولاي على الاعداء شجاعتهم وبسالتهم . فهم لا يهابون الموت ولا يرتدون مهما قلّ عديدهم امام ابطالنا البواسل فضلاً عن الغزوات الفجائية والحملات غير المنتظرة وغير المنظمة التي تكاد تحار لها عقول رجالنا . ومع كل هذا فالنصر حليفنا بعون الله خصوصاً اذا واصلنا الجيوش بالامداد

الملك وما السبب في عودتك الينا ياجيل وتركك الجهاد المقدس في فلسطين

جيل هي فكرة الوطن المحبوب التي تصحب الانسان اينما ذهب هابث بي الى هذه الديار فاسرعت والشوق مني يلهب الحشا فضلاً عن مولى شاقتني النفس الى عطفه الابوي واصدقاء هم دائماً نصب العيون .

الملك ولكن لم يكن للوطن في قلبك المكان الذي كان لفلسطين وقد اممتها لتجاهد الى جانب اخوانك الابطال وتعمل معهم على تخليص قبر المسيح ومهده من ايدي الاعداء ، فانستك مهمتك المقدسة مليكك وبلادك والاهل والاصدقاء هذا ناهيك عن مقامك الرفيع وقد كنت هناك نظير ملك يحترمك الجميع

ويهاب جانبك الكبير والصغير

جيل	جندي بسيط في بلادي والي جانب مايكي لاحب اليّ من ملك عريض الجاه في ديار الغربة ... بلادي بلاد الحرية والعيش الهنيء أتنشق هواءها البليل بملء رئتي .. اما تلك البلاد فانها على رغم ما فيها من التذكارات المؤثرة ، على رغم مقامها الديني الرفيع فهي وما يجري فيها ابعد اليّ من احقر واصغر قرية من قرى بلادي .

الملك	(يلتفت الى راعول) هذا ولدك ياجيل ، اني ارى فيه شجاعة ابيه ولا بدع فان هذا الشبل من ذاك الاسد ، وارجو ان اسميه فارس الملك قريباً كما اسميت والده قبله .

(هنا تسمع حركة على الباب . يلتفت الملك حنقاً فيرى الحاجب داخلاً)

المشهد الخامس

الحاضرون . الحاجب

الحاجب	مولاي . رجلان من عظماء فرنسا يشددان الرجاء بحظوة المثول بين يديك وقد وصلا اليوم من الاراضي المقدسة

الملك (بحنق) وما الذي ادخلك ايها الوقح . قلت لك ان هذه الساعة مكرسة للكونت جيل فلا اسمح لاحد ايًا كان ازعاجي خلالها .

الحاجب لقد عملت بامر جلالتك يا مولاي ومانعت كثيرًا وافهمت الآتيين اوامرك العالية

الملك اذا ؟؟

الحاجب ولكنهما قد اصرّا على طلبهما وشددا عليَّ في الاستئذان لهما بالدخول مدعيين انهما آتيان لامر ذي بال وان مهمتهما لا تتحمل تأجيلا

الملك ومن هما هذان الآتيان اراهما شديدي الوقاحة

الحاجب هما ر يمون دي سوف ولاندري دي كومولاس

(تظهر الدهشة علَى الملك وجيل)

جيل (على حدة) لاندري وريمون اشجع رجال الحملة الصليبية . وقد اتيا هما ايضا بدون سابق اخبار بمجيئهم (الى الملك) ارجو منك يا مولاي السماح لهما بالمثول لدى جلالتك ، فلا بدّ من امر خطير يدفعهما الى احراج موقف الحاجب

الملك ليدخلا

(يخرج الحاجب ثم يدخل وامامه الزائران)

المشهد السادس

الحاضرون . ديون ولاندري (يدخلان وعليهما هيئة السفر)

جيل اهلا بالاصدقاء الاوفياء رفاق الجهاد المقدس في فلسطين

(يقول هذا و يتقدم منهما مادًا يده لمصافحتهما وعلامات البشر تعلو وجهه فلا يلاقي منهما الا النفور والتباعد فيتراجع دهشا)

الملك (يلاحظ ما جرى و ينتهر الزائرين قائلا)ما معنى ما تفعلان ايها الفارسان . اتجرآن على اهانة هذا البطل احد اركان المملكة بحضوري وفي عقر قصري .

لاندري (يتقدم و بهيئة منكسرة يركع امام الملك و يقول) . يامولاي معاذ الله ان تبدر منا اقل بادرة يشتم منها شيء من الاهانة لجلالتك او لاحقر عبد من عبيد جلالتك المخلصين .. انما هي غيرة شديدة على شرف مولاي الملك مسكت ايدينا عن مصافحة هذا الرجل المارق خائن بلاده الذي نتوسل اليك ان تطرده من حضرتك

الملك وهل تشير الى الكونت جيل

(لاندري يقف ويخلع قفازا من يده ويرشق به جيل فيصل الى صدره و يقع عند قدميه)

الملك (بغضب) خسئت ايها الاثيم ، فستكفر عن عملك الآن

لاندري انى مستعد يا مولاي ان اشفع قولي بالبراهين الراهنة الدالة على حقيقة التهمة فلذا اسأل مولاي الملك ان يعقد مجلساً من عظماء المملكة واشرافها لادلي امامهم بما يعزّز قولي ويثبت التهمة ليعرف الجميع الخيانة العظمى التي ارتكبها هذا الخائن .

جيل لقد طفح الكيل ، ولا بد من التكفير عن اهانتك بدمك (يستل حسامه ويهجم عَلَى لاندري ، ولكن هذا يبقى مكتوف اليدين لا يبدي حراكا)

الملك قف وارجع سيفك الى غمده واياك رفعه بحضور ولي نعمتك (يرجع جيل حسامه الى غمده)

لاندري (يرسل الى جيل نظرات احتقار ويقول) لا يحطنّ هذا الامر من قدر جلالة مولاي فاني لا ارفع سيفي بوجه خائن

الملك كفى كفى ، واني اطلب منك يا لاندري ان تثبت مدعاك بالبرهان

لاندري اذا سمح مولاي الملك فاني مستعد لذلك

(يجلس الملك على عرشه و يشير الى جيل ولاندري فيقفا امامه موقف الخصمين المتحاكمين و يبقى ريمون وراءول الى جانب المكان يستمعان)

لاندري   اني الآن و بحضور جلالة ملك فرنسا المعظم اتهم جيل دي فيرفوكون بتزلفه الى اعدائنا و بتسليمه اليهم كتيبة من جيشنا مؤلفة من اظهر رجالنا الصليبيين وعلى رأسها بطل مغوار يدعى سيجوفروا . وما دافع جيل الى هذه الخيانة الا الكراهية التي يحفظها في صدره لهذا الاخير

(يتراجع العموم وجلين امام هذه التهمة)

جيل   (تعلو وجهه حمرة الحنق ويصرخ) ان هذا الرجل كاذب ومدعاه باطل وقد كان صديق سيجوفروا الحميم .

لاندري   (يقاطعه) اجل اني افاخر بصداقة هذا البطل الامين كما ان رفيقي هذا ريموند كان صديق جيل وهو يضم صوته الى صوتي بشكوى صديقه لخيانة فظيعة ارتكبها فضلا عن ان جميع افراد وقواد الجيش الصليبي يشهدون بحقيقة وقوعها . هذا وليتأكد مولاي ان جيل قد هرب من موت محتم كان ينتظره لقاء هذه الخيانة ولكن عين الله سبحانه لا تنام فهي ابداً ساهرة ترقب اعمال البشر وها ان الخائن يقع بين ايدي القضاء

فلا بدَّ ان العدل يجري مجراه ويلاقي كلٌّ جزاء عمله ٠

الملك   تابع حديثك وادعم تهمك بالبراهين المثبتة

لاندري   اليك يا مولاي الحوادث كما وقعت ٠٠ ما وصلت الجيوش الصليبية الى الشرق حتى أعلن العداء بين جيل دي فيرتفوكون وبين فارس من اظهر وابسل فرساننا يدعى سيجوفروا ٠٠ لقد كان الاثنان بطلين مجربين ، ابليا احسن بلاء في الاعداء ولكن الحسد كان يتأكل صدريهما ويقلق خاطر الجيش عليهما ، وقد طالما سعى اصدقاؤهما للتوفيق بينهما فيظهرا بمظهر الصداقة ولكنها صداقة وقتية لا تلبث ان تنقلب الى عداوة شرٍّ من الاولى ٠٠ والسنة خلت يا مولاي قامت الجيوش الصليبية بحملة كبيرة على جهات سوريا وقد اتفق ان كان جيل وسيجوفروا قائدي فرقتين فيها وكنت انا معهما فرأيت ان اعمل على اخماد ما بينهما من نيران التحاسد والبغضاء خصوصاً وهذه الحملة تتطلب وحدة قول واتحاد قلوب لنوال الانتصار ، فادبت مأدبة فاخرة دعوت اليها كبار رجال الجيش ظاناً ان مسعاي يكلل بالنجاح فشربت فيها الانخاب وتبودلت وعود الاخلاص والمحبة وانفرط عقد الاجتماع والكل راج منه خيراً ولكن سرعان ما املنا فلم يمض يوم واحد حتى عادت العداوة وعاد الشر بين الرجلين ٠

ففي صباح احد الايام جاءنا جيل شاكياً خصمه سيجوفروا بانه اراد اخذه غيلة وقد عمل عَلَى قتله ليلاً وهو نائم في سريره فانكر سيجوفروا التهمة واستشهد جيل بخدمه ولكن هؤلاء الشهود انكروا كلهم ما ادعاه سيدهم وظهرت للملا براءة سيجوفروا وسوء نية جيل

(يهم جيل بالوثوب على خصمه ثانية ولكن اشارة من الملك توقفه و يكمل لاندوسيه)

و بعد مضي يومين عَلَى هذه الحادثة وقعت الخيانة الكبرى التي هرب جيل على اثرها . . ذهب جيل على رأس رجاله بجملة الى الجبل وذهب سيجوفروا من جهة اخرى ومعه نخبة نخب الرجال الصليبيين و كنت انا مع الذاهبين و كانت خطتنا التغلغل في اراضي الاعداء مارين بمضيق في لبنان . . مشينا يا مولاي مدة يومين حتى وصلنا الى ذاك المضيق فصادفنا فيه ما صادف رولان في رونسوڤو . . . عرف الاعداء بمرورنا في هذا المضيق فكمنوا لنا ونكلوا فينا اشد تنكيل ولم يخلص من الخمسمئة فارس مؤلفي الحملة احد غيري اما تفاصيل الواقعة فاليكها : ما وطئت اقدامنا مدخل المضيق حتى فوجئنا باصوات فرح فوق رؤوسنا فتطلعنا واذا بالاعداء يصرخون ثملين بنشوة انتصار كبير ينتظرهم

وقد سدوا علينا السبل كلها وهم في اعالي الجبال متمنعون وراء صخورهم يشرفون علينا ولا قبل لنا نحن عليهم لوجودنا في قعر الوادي ، فاخذوا يمطروننا وابلا من سهامهم ومن الحجارة ثم هاجمونا لما انسوا منا الضعف فقابلناهم بشجاعة المستميت وقاتلناهم قتالا لم نترك فيه ضربا من ضروب الحرب حتى اتيناه ولكنهم تغلبوا علينا ولم ينجُ احد غيري فرجعت الى معسكر الصليبيين وحدي وعرفت ان جيل قد اختفى ولم تعرف اخباره.

(تبدر من الملك بادرة دهشة ويردف لاندري قائلا)

لقد ذهب جيل هو ايضاً كما قلنا على رأس حملة ولكنه لم يلبث ان رجع ولم يغب اكثر من يوم واحد وكان اصفر اللون منقلب السحنة فاعلن للرفاق عزمه على ترك الجهاد والعودة الى وطنه فشدّد عليه رجاله واصدقاؤه وزملاؤه والقواد في البقاء فلم يلاقوا منه الا اصرارا على الابتعاد عنهم وحجته ان الشوق لوطنه واولاده يلهب حشاه وقد ركب البحر وابتعد . . .

فلو سألناك يامولاي عن هذه العودة الفجائية بعد معرفة الجميع بسابق تصريحاته على الرغبة في البقاء مجاهدا الى النهاية ، ماذا تجيب ، اهي عودة شوق او هرب ؟ . قلت يامولاي اني رجعت وحدي بعد تلك الكسرة المشؤومة في المضيق ونظمت

حملة جديدة وعدت للأخذ بالثأر .. وصلت الى حيث نشبت المعركة ورأيت جثث رجالنا مالئة تلك الانحاء وقد سهل علينا جداً معرفة جثمان سيجوفروا بالرغم من تهشم رأسه بضربة فأس وكان الى جانب الجثة قتيل عربي تدل هيئته ولباسه وسيفه الذهبي على مقامه الرفيع بين قومه . ففتشت ثيابه لاعرف هويته ومن يكون من الرجال اخصامنا فعثرت علىَ ورقة هي هذه يامولاي

(يقول هذا ويقدم الى الملك ورقة صغيرة)

الملك ما هذه الورقة

لاندري اقرأ يامولاي .. هي بخط وتوقيع جيل موجهة الى الامير العربي سيف الدين الذي يتكلم الفرنسية ويقرأها مثلنا

الملك (يأخذ الورقة وينظر اليها بدون اهتمام في البدء ولكنه عندما يرى توقيع جيل يحدق النظر فيها وبعد قراءتها يكفهر وجهه ويلقيها الى الارض باشمئزاز)

لاندري (يلتقطها ويقول) لقد افرغت ما في جعبتي يا مولاي ولم يعد من زيادة لمستزيد ولي الرجاء الاكيد ان تأمر جلالة الملك بعقد مجلس من عظماء رجال البلاد والجيش يقف فيه جيل امامهم وقفته هذه ... انظر يا مولاي الا ترى فيه هيئة الجبان الخائف

(يلتفت الجميع الي جيل فيجدونه اصفر الوجه واهي القوى تبدو عليه علائم الذعر الشديد)

جيل (يجتهد في تمالك نفسه ويقول) مولاي . لا تصدق كلام هذا الرجل فلم تكن لي يد بهذه الخيانة وهذا المخطوط كاذب .. اني بريئ يا مولاي من التهمة التي يحاول هذا الرجل الصاقها بي براءة الذئب من دم يوسف (وهنا يخفض بصره الى الارض ثم يلتفت الى ديون و يقول بصوت منكسر)
ديون ايها الصديق الصدوق ، يا من كان لي اخا في الجندية ، ساعدني خذ بناصري . لقد شربنا من كاس واحدة ورقدنا على مرقد واحد وخلصت حياتك من موت محتم يوما اتذكر . فلماذا لا تشد ازري في هذا الموقف الحرج

ديون لقد احببتك كثيرا ياجيل وكنت اعلق على هذه المحبة امالا كبيرة . اما الآن وبعد هذه الخيانة فاني اتناسى الماضي

جيل (تبدو منه حركة يأس و يلتفت الى الملك و يقول بصوت خافت ضعيف) يا مولاي اجمع عظماء البلاد واعقد المجلس واحكم عليّ بما تراه عدالتك فاني رهين الاشارة

الملك (تظهر عليه علامات التأثر ويخرج مشيرا الى الحضور باللحاق به و يبقى جيل وولده وحدهما)

المشهد السابع

جيل وراعول

راعول (يركع بين يدي والده وبدموع حارة ويقول)
ابي ارجع الى نفسك وكن ثابت الجأش . اما هذه الصدمة فستدفعها ببراءتك وتخرج منتصرا طاهر الذيل ناصع الجبين

جيل ان الفشل ينتظرني يا بني فساكون مغلوبا عَلى امري

راعول ولِمَ هذا التشاؤم؟

جيل ان التهمة مدبرة والخطة فيها منظمة تنظيما حسنا يصعب دحضها، ولا ادري اي الاصابع لعبت فحاكت لي هذه الحبائل

راعول لا تستسلم لليأس يا ابي، فان الحق يعلو مهما لعبت حوله ايدي البطل ... الم ترَ الكثيرين من المتهمين زوراً يخرجون من امام القضاء بريئي الساحة رافعي الرأس

جيل قد يمكن ذلك يا بني ولكن لا استحق ان تنزل رحمة الله عليَّ

راعول وما تعني بهذا القول؟

جيل اني وان اكن بريئا مما يحاولون الصاقه بي فان

ذنوبا كثيرة تثقل ضميري . وقد تنبأ لي رجل الله في سوريا ان مصابا عظيما سيحل بي وهذه النبوءة كانت السبب في هربي ولكن اين المهرب من غضب الله .

واءول وهل من الحق ان نجازى على جريمة لم نقترفها كن ثابت الجأش ودافع عن براءتك بشجاعة ان لم يكن لاجلك فرحمة باولادك وحفظاً لشرف اسمك .

جيل انك تتكلم بكبر وانفة ياولدي ولا حق للبنين والاحفاد ان يؤخذوا بجريرة ابيهم . فالى الغد يابني ، الى الغد ، وان غداً لناظره قريب

يتنزل الستار

الفصل الثانى

يمثل المسرح سجنا وعلى بابه سجان وفي داخله جيل

المشهد الاول

جيل (من داخل سجنه يتأوه ويقول)

جيل رحماك ربي وعونك على احتمال هذه المصيبة.. الهي انت العارف باسرار القلوب والواقف على حقيقة ما يجري بين البشر تقبل هذا القصاص كفارة عن ذنوبي يا ارحم الراحمين

السجان لله هذا السجين ما اكثر تأوهاته.. فهو يصرخ ليل نهار مسترحما مستغفرا ولا ادري اذا كانت طلباته هذه صادرة عن قلب تائب حقيقة ام هي طلبات يدفعه اليها موقفه في هذا السجن المظلم لعلها تجد الى قلوب بعض اولياء الامر سبيلا فيرثي لحاله ويخفف وطء سجنه عليه .. اسمعه من جهة يتطلب رحمة من الله وغفرانا لذنوبه ومن جهة اخرى يقول ببراءة ساحته من التهمة التي زج لاجلها في اعماق السجن.. فهل من سر يا ترى يحوم حول هذا السجين ؟ وما الذي اوصله الى هذا المحبس المظلم الذي لا يدخله الا الاشقياء المجرمون والخونة

الآثمون .. لقد جرى العدل مجراه بلا بد واستحق جزاء جريمة اقترفها فلينل جزاء ما اقترفت يداه ولا يقلق راحتنا بهذه التأوهات المزعجة (يقترب الى باب السجن ويقول) كفاك صراخاً يا هذا وكفاك تأوهاً وتحسراً. فلقد اقلقت علينا راحتنا واطرت الكرى من جفوننا وحرمتنا لذة النوم ... وليس من العدل بشيء ان تكون انت المجرم وان نشاركك نحن في العذاب والسهر.. تحمل مصيبتك بصبر فينصفك الله اذا كنت بريئاً

جبل اجل اشرب هذه الكأس بصبر واتحمل صليبي بشكر لعل الله المراحم يرحمني برحمته ويتقبل عذابي كفارة عن خطاياي وفداء عن ولدي راعول . الهي بحق انبيائك واصفيائك انظر الى عبدك الخاطىء والهمه الصبر وشدده على احتمال التجربة (يسكت قليلاً ثم يردف بمرارة وحزن) . هو جزاء عدل نزل بي لآثام ارتكبتها ولكن آثامي الكثيرة هي غير التهمة التي الصقت بي ودخلت هذا السجن لاجلها .. لقد اتهموني باطلا بخيانة كبرى انا براء منها براءة الذئب من دم يوسف ولكني لم اقوَ على دحضها، واضحيت بعدها هزءاً وسخرية لمعارفي وموضوع شماتة لاعدائي ... لقد شكل المجلس برآسة جلالة الملك وحضور عظماء رجال الدولة واشراف البلاد وبسط المتهمون تهمهم امام

الحضور وكانت فظيعة جداً تأثر لها السامعون اشفاقاً واشمئزازاً اما الاشفاق فعلى اسم دي ڤيرفوكون الذي تدنسه هذه التهمة وتنزله الى الحضيض بعد ذلك العز الباذخ . واما الاشمئزاز فمن التهمة التي الصقت بي وكنت ضعيفاً وضعيفاً جداً عن ردها لعلمي العلم الاكيد ان لا بد من قصاص رهيب ينزله الله بي وكأن ضعفي وسكوتي قد شددا عزائم اعدائي فاخذوا يقذفون بحقي كل فرية ويسخرون بي ويرمونني بكل شنيعة حتى صرت محتقراً مرذولاً ممتهناً . وها انا في هذا السجن اجر ذيول الذل والاهانة . . ربأه هل من رحمة من لدنك يا اله المراحم تفرج همي وتخفف بلواي؟ هل من رحمة تعيد الى قلبي الكسير حياة والى ولدي راءول فرجا بعد ما لحقه من المسكنة والذل . .

راءول . . . ولدي حبيبي . . . اين انت الآن وما كان تأثير هذا الحكم عليك بعد ذلك الجاه العريض ، وبعد ذلك الدلال الذي ربيت عليه ؟ . . لقد كسر قلبك ولا بدّ وانى لا تمتلك الآن محتقرا من اترابك ، منبوذا ممن كانوا يتزلفون اليك ، منظورا اليك بعين السخرية والهزء ممن كانوا يتراموت على اقدامك خاطبين ودك وراجين نظرة عطف من لحظك . . وكل ذلك لتهمة لحقت اباك او بالحري لذنب اقترفه ابوك فصح معك

قول القائل الآباء ياكلون الحصرم والابناء يضرسون ٠ الهي انظر الي عبدك الخطيء وارحمه يا ارحم الراحمين (يختفي عن الانظار داخل سجنه وتسود السكينة هنيهة)

المشهد الثاني

راهول (يدخل)

هذا هو المكان ٠ هذا هو السجن المظلم الذي تنازل جلالة الملك وسمح لي بولوجه لمرأى والدي بعد تلك النكبة التي نزلت به وباسرة دي ڤيرفوكون الشريفة بالامس والذليلة المهانة اليوم ٠٠ اجل ذليلة بعد ذلك المجد الاثيل الذي كانت الابصار تخفض امامه خاشعة متهيبة ، ذلك الشرف الذي اذكره بدموع حرّى و بقلب مملوء الحسرات ٠٠٠ آه ما انفس هذه الحياة بل وما انكد عيشي بعد الآن وقد صرت اذا مررت بالشارع تمدّ الاصابع مشيرة اليّ وابتسامة الاحتقار تعلو شفاه اصحابها كأنهم يشيرون الى مجرم اثيم سافل ٠٠ وقف ابي امام المحكمة وقفة منكسر القلب و كان الحكم قاضيا بايوائه السجن الى الابد وبتجريده من الحقوق المدنية ، وان جريمة نظير التي اثبتت على والدي لينزل القانون بصاحبها حكم الاعدام ولكن الخدمات الجليلات السابقة شفعت بوالدي وخففت الحكم عليه ٠ وعندي

ان الموت اشرف من حياة ذل ومهانة ٠٠ ولكن ٠٠ ولكن والدي
بريء من التهمة التي الصقت به وقد لاحظت ذلك في عينيه
وفي حركاته ٠ وما كان وقوفه امام القضاة موقف الضعيف الالسر
يحفظه لنفسه ولم يبح به لاحد٠ فما يكون هذا السر ياترى ؟
ضر قضيت ليلي في التفكير فيه وفي استجلاء غامضه ولكن عبثا
فعلت، ولذلك قصدت الى جلالة الملك وانطرحت على قدميه باكيا
وتوسلت اليه ان يسمح لي بمقابلة والدي مقابلة اخيرة وحجتي
وداعه وانما نيتي الحقيقية هي كي ارجو منه ان يبوح لي بسره لعل
الله يؤتيني فرجا ويساعدني على جلاء الغامض في هذه الحادثة
(يتقدم من باب السجن وينادي)
ابتِ مولاي انا راعول ابنك هلم اليّ يا ابي
جيل (من داخل سجنه) راعول ؟ ولدي ؟ وما
الذي اتى به الى هذا السجن المظلم ارجع يابني ولا تنظر الى
والدك الذي انزلك الى الحضيض ارجع وترحم على ابيك وكن
رجلا يتحمل مصائب الزمان بصبر
راعول ابت هلم الى ابنك فانه آت اليك ليقبل
يديك ويشاطرك حزنك تعال يا والدي تعال ولا ترجعني
مكسور القلب خائبا (يظهر جيل) ابي والدي الحبيب

المشهد الثالث

جيل (يظهر على باب السجن فيرى راعول بين يده)

جيل ولدي .. حبيبي راعول (يتعانقان وبعد التعانق الطويل يقول) ما الذي اتى بك الى هذا المكان يا بني . وهل عرفت ان اختراق جدران هذه السجون الكثيفة جريمة لا تغتفر؟ ..

راعول لقد عرفت ذلك يا ابي . ولكن آليت على نفسي الا ان اخترقها مهما كلفني الامر .. فقصدت الى الملك وتوسلت اليه ان يأذن لي بدخولها فأذن وجئتك باكيا متأسفا راجيا .. اما البكاء والاسف فلا حاجة الى سرد سببهما وواقعة الحال افصح لسان لذلك اما الرجاء فهو اليك يا ابي واملي شديد انك لا تضن علي بما اطلب

جيل روحي فداك يابني فسلني ما تريد

راعول لقد لاحظت امس في سياق المحاكمة انك بريء مما اتهمت به وانه كان بامكانك دفع التهمة عنك ولكن سرا كم فاك عن الكلام فسكت وقبلت احتمال هذه العذابات طوعا وفضلت السجن على الافاضة بسرك الى قضاتك .. فهل لك ان تسرد علي الان قصتك وتفتح لي صدرك فاقرأ فيه السر الذي

سكت عليه بالامس.

جيل مالك ولهذا المطلب ياولدي.. لقد شاء الله ان ينزل عدله فيّ ففعل ولا مردّ لاحكامه وما عليّ الا ان اشرب كأسي حتى الثمالة بصبر وشكر

راعول اذا كنت ترى نفسك مستحقاً لما نزل بك مع علمي العلم الاكيد ببراءتك، فليس من العدل ان يصاب ابنك بما اصبت به.. فبح لي بسرّك بحق والدتي التي تنظر الينا الان من عالي سمائها.. بح به الى راعول ابنك ووحيدك لعله يتمكن من استرداد شرفك او علَى الاقل شرف اسرة دي فيرفوكون

جيل نعم ما تقول ياولدي وان نفسي لتثلج لهذه الانفة التي يدفعك اليها شرف محتدك، وتراني نازلا عند رغبتك فاصغ لاقص عليك الحقيقة التي لا ريب فيها.

(يجلس جيل ويجلس راعول الى جانبه ويبدأ الوالد بالكلام)

اسمع يا بني وعِ كلامي واحكم بعد ذلك علَى والدك الحكم الذي تراه مستحقا له.. ابدأ بسبجوفروا هذا الرجل الذي رميت بخيانته. لقد كان بطلا مغوارا لا يهاب الموت وقد ابلى بالاعداء احسن بلاء وكثيرا ما فرق صفوفهم وازهق ارواحهم وخاض المعارك مكافحا زعماءهم فكان المنتصر الظافر.. ولكن طباعه

كانت شرسة واخلاقه سيئة ولم يكن مجيئه الى الاراضي المقدسة عن محبة منه خالصة للجهاد ونية اكيدة لتخليصها من ايدي الاعداء فقط كما ظن الجميع فيه ، بل كان دافعه الى التطوع في الصليبية الجاه العالي والطمع في حشد الاموال واكتساب الغنائم مما كانت تطول اليه يده من الاعداء . . . ولم يقف احد على حقيقة نواياه غيري ولذلك كان يبغضني دون سائر الصليبيين ويضمر لي الشر وكثيرا ما نصب الاشراك لاغتيالي ولكن يدالله كانت تخلصني دائما من شروره حتى انه بدهائه امال الى جهته خدمي فاصبحوا معوانا له علي وقد سطا في احدى الليالي على خيمتي لاغتيالي في فراشي ولكن الله لم يشأ ان تتم هذه الجريمة وايقظني من غفلتي في الساعة الموافقة ورددته خائباً وشكوت امره الى الرفاق فانكر وبمساعدة خدمي المرتشين كذب مقالي . . وبقيت الحال على هذا المنوال حتى جرت تلك الموقعة التي قتل فيها وجنوده واختفى اثره ورجعت انا الى بلادي بعد ان كان الكل عارفا بعزمي على الجهاد الى النهاية وكان والحق يقال رجوعي الفجائي المصادف بعيد اختفاء سيجوفروا مجلبة شكوك فيَّ فذهبوا في امري كل مذهب ورموني بخيانة يعلم الله ان لا يد لي فيها ولا علم ابدا

(يسكت جيل هنيهة متنهدا تنهدا عميقا ثم يردف قائلاً)

اما الحقيقة التي يجب ان تعرفها والتي لاجلها قبلت الحكم عليّ طوعا ورضيت لاجلها بتدنيس اسم اسرة دي ڤيرفوكون وانزال اولادي الى الحضيض بعد رفيع مجدهم فهي :..

كنت آليت عَلَى نفسي ان اطارد فرسانا من الاعداء طالما قد باغتونا واقلقوا راحتنا ، فحملت عليهم الحملة التى حدث عنها لاندري وتوغلت في البراري وصعدت الجبال على رأس رجالي جاداً في اللحاق باعدائي وقد غابوا عن ابصارنا فسرنا نريدهم في قرية ظهرت امامنا وظنناها مأواهم وكان التعب والعطش قد بلغا من الجند مبلغه فدخلوا القرية واعملوا في اهلها السيف وفي ديارها النار وانا اشجعهم .. وكانت ساعة هائلة حدث فيها من الفظائع ما يقشعر لمجرد التفكر فيها بدني .. انيِ لاذكر ياولدي برارة تلك الايدي التى كانت تهوي علَى الشيوخ والاطفال فتذيقهم افظع الميتات غير راحمة ولا مشفقة .. ورأيت اطفالا ونساء يسترحمون بدموع سخينة وقد لجأوا الى مكان لم اتميزه بادىء ذي بدء فامرت رجالي باحراقه فارتفع اللهيب بين العويل والصراخ واندلع لسان النيران في الفضاء وعيوني تنظر الى ما يجري ولا يحركها شفقة .. وبعد ان انقشع الدخان عن سطح

ذلك المكان شاهدت صليبا يجلل قبته فعلمت حينئذ — ولكن بعد فوات الوقت — اني مددت يدي الى بيت الله واني اقترفت افظع الآثام .. وبينما الرعب اخذ مني كل مأخذ اذا بشيخ جليل قد خرج من وسط تلك الاطلال وصرخ بصوت دوى له المكان قائلا : « غفر الله لك يا من اكتسب لعنة الابرياء » فوقفت عندئذ مصعوقا من هذه اللعنة النازلة على رأسي وبكيت بكاء مرًّا مسترحما مستغفرا ، وكأن حالتي حركت في قلب رجل الله الشفقة فقال : « ان الله رحيم يغفر للطالب منه رحمة ولكن اذا شاء سبحانه ان يرحمك في الآخرة فلا بد من كفارة تؤديها في هذه الدنيا فلا مفرّ من جزاء الله العادل . وستلقى قصاصا رهيبا ليس فقط باموالك واملاكك وآلك بل باعز شيء لديك ، بشرفك » قال هذا وغاب عني .

اما انا فبعد ذهول طويل رجعت الى نفسي واول ما خطر لي الابتعاد عن ديار تؤلمني تذكاراتها والعودة الى بلادي احارب فيها في سبيل وطني العزيز الى جانب مليكي المحبوب .. فجئت وما وطئت قدماي ارض آبائي حتي دهمتني هذه الداهية الدهياء فتذكرت كلام رجل الله وعرفتها جزاء عدلا من لدنه تعالى وقبلتها بصبر عسى الله يتقبلها كفارة عن خطيئتي ..

هذه حالتي يا بني وانك ولا بد تعاذري عَلَى سكوتي امام التهمة التي وجهت اليَّ والتي كان بالامكان ردها بايقاف الملك والمجلس عَلَى حقيقة حالي ولكنني خشيت أن ازيد فظيعة على فظيعتي فسكت وحكم عليَّ

(يقول هذا ويطرق الى الارض ويسود السكوت قليلا)

راءول (بعد سكوت وتفكير) حسنا فعلت يا ابي وما كان اقرارك بحقيقة الواقع ليخلصك من اشراك عرف اعداؤك كيف ينصبونها لايقاعك فيها .. ولكنك بريء من التهمة التي رميت بها وسجنك لاجلها ظلم . ولا بد ان الله يتقبل هذا القصاص كفارة عما اتيت .

اما من جهتي فالحكم عليك وتشبث اعدائك بايصالك الى ما وصلت اليه لا يزيدني الا اقتناعا بوجود سرٍّ لا بد من كشفه ساعمل عَلَى كشفه مهما كلفني الامر وساعلن للملا براءتك واشهر المجرمين السفلة الذين ارادوا النيل من شرفك فكان لهم ما ارادوا .. ساذهب الى الاراضي المقدسة فهناك باب الفرج . هناك مفتاح السر والله المسؤول ان يقود خطاي الى غاية رحلتي ساذهب ولن اعود الا واسم دي فيرفوكون مقرون بالاحترام والمهابة

جيل (بتأثر) خفف ما بك يابني ولا تستسلم الى حدة الشباب بل سلم لله امرك فهو لا يرذل المتكلين عليه .. كن رجلاً وتحمل مصابك بصبر ولا تخاطر بحياتك .

راعول ساكون رجلاً يا ابي .. رجلاً بالمعنى الحقيقي الذي افهمه انا وتفهمه انت .. رجلاً اهلاً لحمل اسم دي فيرفوكون ولن اسكت على الضيم ما دام فيّ عرق ينبض .. (يقف بتهيب) . فلذا امامك يا والدي ارفع يدي مقسماً بالله وملائكته وبك وبشرف دي فيرفوكون ان اذهب الى الاراضي المقدسة مجاهداً جهاداً مقدساً مزدوجاً ولن اعود الا رافع الرأس تخفق فوقه اعلام دي فيرفوكون شريفة معززة مكرمة والله ولي امري .. فباركني اذاً ولتكن بركتك زادي في هذه الرحلة الشاقة (يركع امام والده)

جيل اذا كان لا بدّ من الذهاب ، فاذهب يا بنى والله من اعلى سمائه يباركك ويرأف بك ويقود خطواتك الى ما فيه الخير . سر وعين الرب ترعاك وقلب والدك ابداً خافق لمرآك .. (يعانقه ودموعه هاطلة)

راعول (يقبل يد والده) الوداع ابتِ .. الى الملتقى القريب جداً ان شاء الله

(يتفلت من بين يدي والده ويسرع الى الخارج ولكنه قبل الاختفاء يقف وينظر الى والده متفرساً فيه بحزن وحرقة كأنه يريد ان يطبع رسمه في قلبه. بينما والده يمسح دموعه ويختفي داخل سجنه)

راعول الوداع ياوالدي • الوداع

يتزل الستار

الفصل الثالث

يمثل المسرح برية في فلسطين

المشهد الاول

راءول . نيفار . جاك . ادمون

(يدخلون الى المسرح بعد رفع الستار بهيئة وعلى صدر)
(كل منهم شارة الصليبية)

راءول صبرا ايها الرفاق على مضض الحياة ، فوصولنا الى هذه الديار المقدسة بعد ما عانيناه من الاهوال في البحر وبعد تلك الزوابع التي هبت علينا منذ تركنا بلادنا لنعمة ما فوقها نعمة . وان الله سبحانه الذي خلصنا من تلك الاخطار لقادر ان يأخذ بيدنا في هذه الحملة وان يؤتينا فرجا قريبا

نيفار لم نرافقك ايها الصديق لنحملك همنا ، كلا . فكلنا سواء في هذا الجهاد الذي دعوتنا اليه والذي آلينا على انفسنا ان نصل فيه الى النهاية . فاي فرح لنا اعظم من الوصول الى هذه الاراضي المقدسة التي كثيرا ما سمعنا والدينا يرددون ذكرها على مسامعنا وقد طالما هاب بنا الشوق اليها والي لثم -

ثراها .. ولكننا لا نمسك انفسنا عن اظهار اسفنا الشديد على فقد اخواننا في الجهاد ، اولئك الذين اقتفوا اثرنا وتركوا بلادهم ليرافقونا في صليبية الاحداث هذه ، وركبوا البحر الى جانبنا فابى الله الا ان يكتفي بجهادهم المبرور قبل وصولهم الى هدفهم ، فناداهم اليه فلبوه فائزين بالاكاليل المعدّ للمجاهدين اذ ثارت عليهم ثائرة البحر وتقاذفت الامواج سفينتهم وتغلبت عليهم فذهبوا في اللجة وقضوا ضحية غيرتهم .

جاك   رحمهم الله رحمة واسعة وجعلهم في مصاف شهدائه الابرار

راءول   انها لساعات شديدة مرّت بنا فقدنا فيها رفاقا كثيرا ما علقنا عليهم الآمال وقد كدنا ننال نصيبهم لولا ان الله اشفق علينا او بالحري اراد ان يطيل بعمري انا على الاخص لاتمّ المهمة التي جئت لاجلها . ولهذا هنا وفي هذه الاراضي المقدسة اكرر قسمي بالجهاد باخلاص وتفان كما اني ارجو منكم ان تعدوني الوعد ذاته الذي وعدتموه قبل ركوب البحر ، وهو ان لا يقعدكم شيء عن الجهاد وعن اتمام المهمة التي اتينا لاجلها الى النهاية .

الرفاق الثلاثة   (يرفعون ايديهم ويقولون) نقسم ان

نتابع جهادنا الى النهاية

راعول عافاكم الله ايها الرفاق وانالكم مبتغاكم والآن وقد مضت علينا مدة لم نذق فيها طعاماً ولا شرابا فانسع وراء ما يسد جوعنا ويبل رمقنا وهذه الخضرة لدلالة على ان المياه قريبة والاراضي آهلة

نيفار (ينظر الى الخارج) ارى رجلاً آتيا لعله من سكان هذه الديار

المشهد الثاني

راعول ورفاقه الثلاثة. الامير خالد

خالد قفوا يا انذال الكفرة قفوا .. ما الذي اتى بكم الى هذه الديار وكيف جرأتم على دوس هذه الارض الطاهرة باقدامكم النجسة؟.

راعول مهلاً ايها السيد فاننا غرباء ضللنا الطريق ولم نكُ لنعلم ان المرور بهذه الارض محرّم

خالد خسئت ايها الوقح .. انك لمن انذال الصليبيين اعدائنا فاستعد ورفاقك للموت

راعول الموت. وهل الحياة الاّ بيد الله يؤتيها من يشاء ؟.. ومن تكون انت حتى تريد سلبها منا يا هذا؟

الرجل انا سيد هذه البلاد وحاكمها المطاع .. اسمعت ايها الوغد الزنيم ؟ وبيدي الموت والحياة اهبهما من اشاء واحرمهما من اشاء

(يقول هذا ويشهر سيفه في وجه راعول مريدا قتله)

جاك (باسرع من لح البصر يأخذ خنجرا و يرسل الى الفارس من ورائه طعنة تلقيه الى الارض مضرجا بدمه ويقول)

مت فانت الجاني على نفسك

ادمون لا شلت يمينك يا جاك

راعول ما كنا والله لنريد مثل هذه الفاتحة لما اتينا لاجله في هذه الديار ، ولكن هو البادئ ولم يكن بدٌّ من هذه الضربة اتقاء اشره .. فعلينا اذا ان نحظر نتيجة ما أتيناه .. الرجل سيد البلاد المطاع واذا درى ذووه بامرنا اذاقونا شرّ العذاب .. فلنبتعد عن هذا المكان قبل أن يفوت الوقت

نيفار اظن ان سلاح القتيل يلزمنا في رحلتنا الشاقة فسنستخدمها على الاقل لردّ ما ربما يعترضنا في طريقنا من الحيوانات.

راعول بالصواب نطقت . خذوا ما تريدون اخذه اما انا فلي سيف والدي اكتفي به اذا ما دهتنا الدواهي فهو خير نصير لي في الملمات بعد الله (يأخذ الرفاق سلاح القتيل) :

راعول   هيوا بنا الان ايها الرفاق ولنبتعد (يخرجون)

المشهد الثالث

القتيل على المسرح . زيد عمر سعيد واثنان آخران

سعيد   لقد تبلغنا امر مولانا ان نوافيه الى هذا المكان فهو سابقنا اليه .. ولكنه لم يأتِ بعد فلننتظر لعلّ موانع اخرت مجيئه

زيد   ارى جثة ملقاة علَى الحضيض . فمن يكون هذا الغبي الذي استسلم لسنة الكرى فنام في وسط الطريق (يتقدم) يا لله . ارى الدماء حوله .. هو جثة باردة .. انظروا احقيقة ما ترى عيناي ام ان احلاما تروعني وانا يقظان ؟

عمر   ماذا دهاك يا زيد ومالي اراك تضطرب وعهدي بك بطلا وقت النزال وهل تخاف نائما

زيد   لست بخائف والله علَى روحي انما هي الحقيقة التي اراها تصطك لها اسناني تعالوا اليَّ وانظروا الا ترون سيدنا ومولانا مضرجا بدمائه ؟ ام اني احلم وسط النهار

سعيد   خفف عنك وهدئ روعك . فمن تراه يجسر على التطاول على مقام زعيمنا الاكبر وهل يهاجم الاسد في عرينه ؟

زيد   انظروا هو هو بعينه الويل لقاتله

الجميع (يتراكضون الى الجثة وبعد ان يحدقوا فيها النظر يصرخون) الويل للقاتل .

زيد وارى انه مأخوذ غيلة لان الطعنة موجهة اليه من وراء ظهره والا لما تمكن الغادر من الظفر به لم تمض مدة طويلة على الحادث ولا بد ان يكون القاتل قريبا من هذه الديار هيوا بنا ولنجد في اثره قبل ان يبتعد

سعيد انظروا هناك الا ترون اربعة فتيان راكضين لعلهم القتلة هيوا نسع وراءهم (يخرجون)

المشهد الرابع

اصوات من الخارج

صوت سعيد قفوا يا انذال الناس . فلقد حانت ساعتكم الاخيرة

راعول خسئتم فلا يدَ لكم تمد الينا الى الوراء والا فالموت ينتظركم لم نتعمد الشر لسيدكم بل هو كان المعتدي علينا

صوت زيد قفوا فلا مفر لكم من قضاء الله وقدره

(يسمع في الخارج صليل اسلحة وصراخ . قفوا . . خسئتم . . الى الوراء)

المشهد الخامس

(يدخل زيد وسعيد وعمر وامامهم داعول ورفاقه مشدودي الاكتاف)

سعيد تقدموا ايها الانذال فسترون كيف التطاول عَلَى مقام السيادة الفخيمة (الى داعول) وانت ايها الفتى الوقح المتقلد عن جهل وغباوة قيادة هؤلاء الزعانف من اطفال الصليبيين اعدائنا الالداء فسترى ان قصاصك يعادل عظم الجريمة التى اقترفتها ايديكم النجسة

داعول (بلين ورقة) تأكدوا ياقوم اننا لم نتعمد قتل سيدكم ولم يكن ليخطر لنا ببال ان نوقع به شراً خصوصا ونحن غرباء الدار لولا انه هو كان البادئ وقد بادرنا بالتحقير والاهانة فلم نطق عَلَى ما سمعناه صبرا ورجونا منه الكف عن تحقيرنا فلم يرعو فكان امر الله

زيد صه ايها النذل ولا تفه بعد ببنت شفه .. الا يكفيكم ما اتيتم من المنكر وما اقترفتم من الجرائم التي تصغر امامها اعظم الجرائم حتى تريدوا التنصل والمكابرة . انكم لالأم خلق الله وانذلهم واغدرهم بعباده ... فكيف تجرأتم ياأخس الكلاب عَلَى مد ايديكم النجسه الى مثل سيدنا المفدى وكيف رفعتم ابصاركم الحقيرة الى مقام رفيع نظير مقام من تطأطأ له

الرؤوس احتراما .

راءول كفاك ياهذا قدحاً بنا وحطاً من كرامتنا واعلم ان بين جنبي كل فرد منا قلباً لا يطيق امتهاناً . فانزلوا بنا ما اردتم من انواع العذاب واميتونا شر ما ترون من الميتات ولا تسمعونا كلمة مهينة . فشرفنا اعز لدينا من كل عزيز

عمر واي شرف تعنون .. لو كنتم اشرافا لما غدرتم بسيدنا بل لكنتم قابلتموه وجها لوجه وعندها تظهر الشجاعة . فلا شرف لكم ولا كرامة

راءول كفاك يا هذا اهانة وكفانا صبراً .. اقتلونا او خذونا الى حيث تريدون لنلقى حتفنا وكفوا عنا كلامكم

المشهد السادس

ذاتهم . الامير فريد (يدخل)

الامير فريد ما الاجتماع في هذا المكان ؟ . ولمَ هذه الجلبة ومن هم هؤلاء الغرباء ؟ وكيف جرأوا علَى الوصول الى اراضي الاسلام المقدسة

عمر مولاي هم فتيان من رعاع الصليبيين اتوا ليتجسسوا اعمالنا و يقفوا علَى دقائق حركاتنا العسكرية وقد غدروا بسيدنا المفدى ومولانا المحبوب فقتلوه

الامير فريد قتلوه ؟ . وهل يعقل ان يجرأ مثل هؤلاء الصبيان على الاقدام عَلَى فعلة يعرفون ان وراءها الموت الاحمر

زيد لقد فعلوا يا مولاي خير حاسبين حسابا لما ينتظرهم وقد اتوا فعلتهم المنكرة غدرا فانهم غافلوا سيدنا وهم اربعة وارسلوا اليه طعنة من وراء ظهره صرعته وها هو كما ترونه يا مولاي جثة هامدة لا حراك بها .

الامير فريد ومن من هؤلاء الاثمة سافك دم الامير

زيد (يشير الى راعول) هو هذا يا مولاي فهو اشدهم بأسا واذلقهم لسانا فضلا عن انه المقدم فيهم والآمر المطاع .

الامير فريد (الى راعول) انت ايها الفتى . انت الذي دفعك غرورك الى هذا الاثم الفظيع ألم تقدر العاقبة . لله ابوك ما اجهلك . . اجب ما اسمك ، وما الذي اتى بك الى هذه الديار ؟

راعول (بكبر وانفة) اما اسمي فراعول دي فيرفوكون ابن البطل الصليبي الكونت جيل دي فيرفوكون وقد طالما طرأ هذا الاسم مسامعكم وكان مفزعة الاعداء في الحروب . واما سبب مجيئي الى هذه الديار فلكي انضم الى صفوف المقاتلين الابطال واشاركهم في شرف الجهاد الآيل الى تخليص هذه

البقعة المقدسة من ايدي الاعداء

الامير فريد دي فيرفوكون ... اجل اني اعرف هذا الاسم وقد كان صاحبه اشد عدوّ لنا. فسينال ابنه جزاء عمل ابيه .. لن تموت ايها الفتى ميتة بسيطة فان الحياة رخيصة عند امثالك . لكنك ستحيى حياة ذل ومهانة واحتقار .. (الى الخدم) شدوا وثاق هذا الفتى وسوقوه الى اعمق السجون واظلمها وسوموه كل انواع العذاب ليكون عبرة لغيره ولكن حافظوا على حياته والويل لمن يخالفني

الجميع سمعا وطاعة

الامير فريد (الى رفاق راءول) اما انتم فقد تراءى لي انكم مسيرون غير مخيرين او بالحري لاحقون بهذا الغبي الغرّ المقدم فيكم غير عارفين ما انتم مقدمون عليه. فلذلك اني اعاملكم بالرحمة فستكونون بين عبيدي .. اذهبوا الان من امامي ولا عدت ارى لكم وجها في طريقي

(يخرج الجميع ويبقى الامير فريد وحده)

المشهد السابع

الامير فريد وحده

دي فيرفوكون .. وهل قدر لي ان يكون هذا الاسم

انبع لي من ظلي ، اتمثله انى ذهبت واتخيله حيثما حللت وارى صاحبه ساخطاً صاخباً ورافعاً يده مهدداً لاعناً مع اني بذات وسعي لانساه .. وباماين المفر من وجه هذا العدو اللدود وكيف العمل لسلواه ونسيان ما اتيت من المنكر بل ولمحو تلك الخيانة الفظيعة التي الجأني اليها كرهي الشديد له .. وكأن الله لم يكتف بان يبقى هذا الاسم شوكة لي في ضميري تذكرني ماضي حتى بعث بابن عدوي لزيادة همومي واضم آلام جديدة الى آلامي ووساوسي

(بعد التفكير)

ولكن مالي ولهذه الهواجس ولمَ التحسب وممن اخاف ؟ امن هذا الصبي الغر الجاهل وهو لا يزال في سن يخاف معه بعد من ظله .. أم من ذكريات الماضي ولي قلب قدّ من الصخر لم يجزع في اشد المواقف خطرا ولم يضطرب امام والده اظهر ابطال الحروب الصليبية .. كلا ثم كلا ان سيجوفروا لا يثنيه عن عزمه شيء وسينتقم من الولد كما انتقم من ابنه وسيورده حتفه بعد ان يلحق به من العذاب ما يشفي منه الغليل ..

انا سيجوفروا خصم الكونت دي فيرفوكون الالد .. انا ذلك الذي نصب الاشراك الكثيرة للايقاع بسليل دي فيرفوكون وقد اصليته نارا حامية واشهرت عليه حربا عوانا واقمت الامراء

واقعدتهم ضده كرها وبغضا حتى اني لم اتأخر عن خيانة قومي وتسليم رجالي الى الاعداء غنيمة باردة وعن الاختفاء بعد ان دبرت مكيدة يعرف فيها اني وقعت في ساحة القتال شهيد جهادي باتفاق سابق بين دي فيرفو كون وبين الاعداء ضدي . . اجل اني لم اترك من الدهاء والمكر باباً الا طرقته شفاء لغليلي وانتقاماً لنفسي من مزاحم كان اكبر حجر عثرة في سبيل مطامعي . وعدو لم تغمض له عين في مراقبة حركاتي وتتبع خطواتي حتى سد عليّ مسالك كنت ارجي من ورائها الغنائم والجاه والشهرة . ولم يعد لي مفرّ من وجهه الا الاتفاق مع اعدائي فاتفقت سرًّا مع سيد هذه البلاد عَلَى التسليم وسلمت ولكن بطريقة لا يشك معها بحقيقة فعلتي بل بالعكس يظنني الجميع اني قضيت شهيد جهادي بمكيدة دبرها الكونت دي فيرفو كون ضدي . فاني بعد الكمين الذي اتفقت مع الاعداء على نصبه وقد بادت فيه رجالي انضممت انا الى الاعداء والبست ثيابي وخوذتي احد القتلى وشوهت وجهه حتى لا تعرف حقيقته وجعلت في جيبه ورقة مقلد فيها توقيع خصمي . وهكذا بحجر واحد اصبت هدفين العز والجاه والسعادة في هذه الديار فضلاً عن اسم معطر بين الصليبين والعذاب والاضطهاد لعدوي فضلاً عن الاحتقار

الذي يحوطه من اقرانه

هذه حادثتي وقد حاولت نسيانها ولكن هذا الولد جاء يعيد ذكراها على خاطري ويزيد في قلبي لهيب الانتقام فالحق الآن بالوالد واذيقه شر العذاب٠٠٠ اجل يا دي فيرفوكون سترى ان انتقام سيجوفروا لا يقف عندحد مهانتك انت فقط بل سيلحق اولادك وجميع من يمتون اليك باي حبل كان٠٠ وكل آت قريب

يغزل الستار

الفصل الرابع

يمثل المسرح سجنا في قصر الامير فريد

المشهد الاول

راءول في سجنه مكتوف اليدين

ابعد تلك الآمال الواسعة خيبة وفشل ، وبعد ذلك السعي الحثيث للوصول الى غايتي يأس وضياع امل . وهل الى هذا السجن المظلم كانت وجهتي في ركوب البحر وفي المجيء الى هذه الديار النائية حيث لا صديق يرنو الي بعين صداقته ولا حبيب يعطف علي ليفرج همي ويزيل كربتي ؟ . . لا لا . لم اقصد الى هذه البلاد الا للجهاد ، ولا يكون الجهاد وسط السجون والابواب موصدة . . ولم اركب البحر الا للسعي وراء الشرف استرجعه بعد فقدانه . . ولكنني لم اكد ابدأ بمسعاي ، ولم اكد اطأ الارض التي املت فيها استرجاع شرفي حتى فاجأتني هذه النكبة ، وفتت في ساعدي ، وغلت يدي ، وابعدت عن قلبي رجاء الوصول الى ما املت ، والى معرفة سر والدي الذي يتقلب على احر من الجمر ، ويتحمل عذاب السجون هو ايضاً انتظاراً لرحمة

الله . ابتاه .. وما اعذب هذا الاسم يردده الابن في غربته ويتمثل صاحبه في مخيلته .. ابتاه وهل اعود اليك واسمع من فيك كلمات الحنان الوالدي والعطف، وهل اعود واحظى بسماعك تناديني ووالداه .. ابتاه الا تزال حيا ترزق في سجنك ؟ وهل ترى املك لا يزال كبيرا بشبلك ، تنتظره بفارغ صبر وتنتظر ما وعدك به ، ام انك قلت عَلَى الدنيا وعَلَى شرف دي ڤيرفوكون السلام ؟ .. اواه وهل تنفع التوهات بعد ان ضاع املي وخاب مسعاي ؟ ..

ولكن ... ولكن لمَ هذا اليأس وهل يخيّب الله رجاء المتكلين عليه . انه تعالى المسؤول ان يقودني الى موارد الخلاص . فصبرا اذا يا راعول صبرا ومن يصبر الى النهاية يخلص .

المشهد الثاني

راعول . جاك

جاك مولاي . راعول

راعول ومن مقلقي في سجني ؟ ومن الآتي ليعكر صفو الهدوء وسط ظلمات هذا المحبس وهل من مشفق عليَّ ، وانا وحيد في هذه الديار ، بعيد عن اهلي ومعارفي ، بعيد كل امل في

الحياة ، ارسف في قيود ربما لا تفارقني الى القبر

جاك سكن روعك يا راعول فالله رحيم لا ينسى الواضع رجاءه فيه

راعول ومن تكون يا هذا ؟ ان كلامك لبلسم ينزل على جراح نفسي فيخفف من المها ٠٠ املاك كريم انت آت لتعزيتي ، ام بشر تحرك قلبه اشفاقاً على شبابي ، فاخترق جدران هذا السجن الكثيفة ، ليخفف بلواي بعذب كلامه ٠٠ ارجع الى مقرك ياهذا وخف ساكن القصر ولا تتعرض لغضبه ، فهو منزل اشدّ الضربات عَلَى كل مقترب اليّ

جاك بالله ادر وجهك وانظر اليّ قليلاً ٠٠ انا جاك رفيقك بالجهاد وقد اتيت اليك لاقرأك تحية الرفاق واشدد عزيمتك على احتمال التجربة ريثما يؤتينا الله من لدنه فرجاً قريباً

راعول جاك ٠ وهل حقيقة ما ارى وما اسمع ٠ ام ان عيني تخدعاني ؟ وكيف تمكنت من الوصول اليّ ؟ وكيف حال الرفاق الذين ذكرتهم وهل يذكروني دائماً ؟

جاك الجميع بخير يعدون الساعات والدقائق للوصول الى يوم الحرية المنشود ٠ لم ينسكَ احد يا راعول ٠ وكيف ينسون فيك الرفيق المخلص والقائد الامين ٠٠ انت موضوع حديثهم في

خلواتهم ، وشدّد عزائمهم على احتمال اسرهم بصبر، وان املهم لعظيم ان لا يتأخروا عن الوصول اليك وعن تخليصك من قيودك الثقيلة . منذ ذلك اليوم الذي فرقتنا فيه ايدي الظلم ونحن في خدمة القصر بين خدم الامير فريد نعمل على مرضاته ونقوم بواجباتنا قياما لا نترك معه ملامة علينا تمهيدا لخطة لا نزال ندرسها سعيا وراء الخلاص .

راعول شكرا لك ايها الصديق الصدوق وشكرا لباقي الرفاق، والله المسؤول ان يجمع شملنا بعد طول الفراق

جاك فكرنا كثيرا في السبيل التي نسلكها للوصول الى غايتنا ، وقد ارسل الله الينا كاهنا انسنا منه عطفا وشفقة علينا فاوقفته على سرنا وسألته الصلاة الى الله لاجلنا لعلّ الرب يستجيب دعاه و يأخذ بناصرنا . . وقد طلب اليّ ان امهد له سبيل زيارتك في سجنك ولا ادري كيف العمل لايصاله اليك فان العيون راصدة حولنا والحرس ساهرة

راعول لا تعرض نفسك للخطر ياجاك ولا تعرض هذا الشيخ الجليل لغضب الامير فيكفيني منك ومن الرفاق المسعى ومنه الصلاة وعلى الله تدبير الامور

جاك لقد شدّد هذا الكاهن عليّ امر زيارتك ولا اجد

سبيلا لتلبية طلبه الا باغراء خفراء السجن علَى التسليم معنا بادخاله عليك

راعول وهل تراهم يقبلون معك ٠٠ كن حذرا يا اخي ولا تثير الظنون حولك

جاك لا بدّ من تلبية طلب الكاهن وساكلم السجان واطمعه بالمال لعلّ قلبه يلين امام الاصفر الرنان٠ فوداعا الان وارجع الى سجنك وكن هادئ البال مطمئنا

راعول علَى الطائر الميمون وعين الله ترعاك (يخرج جاك)

المشهد الثالث

راعول (وحده)

ما ترى يريد الكاهن مني حتى يشدّد في الوصول الي؟٠٠ وهل ينجح جاك في مهمته مع السجان ام انه يفشل ويكون فشله مثيرا للشبهات حوله ومنزلا غضب الامير عليه ٠٠ اخذ الله بيده وها اني اراه آتيا ومعه السجان فلاختف داخل سجني ولاتركهما وحدهما يتداولان (يختفي راعول داخل سجنه)

المشهد الرابع

جاك . السجان (يدخلان)

جاك هلمّ الي يا اخي واستمع مني كلمة اود ان اسرها

اليك على شرط ان تعدني بكتمانها عن اي كان

السجان   ماذا تريد

جاك   اريد امراً بسيطاً جداً يعود عليك بالارباح ·
الست رب عائلة وابا اولاد

السجان   نعم

جاك   فلا اظنك اذاً ترفض ما يقدم اليك مساعدة
لاولادك ولبيتك

السجان   وهل هو عطاء لوجه الله ام انك تريد مني
لقاء ذلك خدمة

جاك   خدمة بسيطة لك منها النفع وليس عليك من
جرائها ملامة ولا ضرر

السجان   هات ما عندك · قل فكلي آذان صاغية

جاك   ان في هذا السجن الذي تحرسه شابا سجيناً
اليس كذلك ؟

السجان   نعم وهو من الفرنج اعدائنا - والاوامر المعطاة
لي بشأنه شديدة جداً

جاك   لا بأس · · هو شاب من الفرنج وهو مسيحي كما
تعرف · · وللمسيحيين اعتقاد متين بكهنة الله يرون فيهم خير

تعزية لمصائبهم .. وفي جوار هذه الديار شيخ متعبد لله منفرد في منسكه يقضي ايامه بالصوم والصلاة .. ولا اظنك الا لاحظته بعض المرار

السجان   اكمل حديثك

جاك   فهل ترى من بأس لوسألنا هذا الشيخ زيارة السجين

السجان   زيارته ؟ .. ولماذا

جاك   ليعظه ويسمعه من كلمات التعزية مايقال شكواه ويجعله يتحمل سجنه بصبر . وهل من ضرر يلحقك من ذلك

السجان   لا ضرر البته انما اخاف العاقبة

جاك   وما العاقبة التي تخشاها .. وهل تظن ان هذا الشيخ يقدم عَلَى عمل يستنزل معه سخط سيد هذا القصر ؟ . خذ لك هذا المال فهو ينفعك في معيشتك وتربية اولادك وسهل طريق هذا الشيخ الجليل الى السجين .

السجان   (يأخذ المال وبعد تردد يضعه في جيبه ويقول) حسنا اذهب لمناداة الكاهن وانا اتغيب قليلا عن هذا المكان ريثما تأتيان وتعودان .. ولكن اياك ان يراكما احد فان غضب الله ينزل عَلَى رأسك ورأسي

جاك	كن مطمئنا (يخرج)

المشهد الخامس

الحارس (وحده)

وهل من غباوة اشدّ من غباوة هذا المخلوق … ايراني مجنونا حتى اتركه يقوم بما يريد واخون سيدي. وكيف اترك هذه الفرصة تمرّ بي دون ان اتخذها وسيلة لاستزادة عطف مولاي عليّ.. لقد ذهب لاستدعاء الكاهن. فلا بأس. ليأت واياه امنين مطمئنين وساتركهما يدخلان . ولكن خروجهما سيكون صعبا .. ساذهب حالا الى الامير واخبره بواقعة الحال وآتي به ليرى بام عينيه خيانة خدمه من جهة وشديد اخلاصي انا من جهة اخرى فاتمتع بعد ذلك برضاه وعطاياه واعيش وقرينتي واولادي بحمى الامير اهنأ حياة وارغد عيش.

(بعد ان يسير في المسرح ذهابا وايابا مرات متكررة . ينظر الى خارج المسرح ويقول)

ها هما قد اتيا فلابتعد الآن والى الملتقى القريب (يخرج)

المشهد السادس

الكاهن جاك (يدخلان)

جاك	هذا هو المكان يا مولاي وهذا هو السجن

الذي تمكنت من اغراء حارسه لاختراق جدرانه والوصول الى السجين الذي اظهرت رغبتك الشديدة في الاجتماع اليه . فصبراً قليلاً لاناديه .

(يتقدم من باب السجن وينادي) راعول . راعول

المشهد السابع

الكاهن . جاك . راعول (يدخل)

راعول (يظهر من داخل سجنه) جاك هل نجحت في مهمتك

جاك نعم وهذا هو رجل الله آت اليك ليضع بلسم التعزية على جروح نفسك

راعول اهلا بك يا مولاي وشكرا أنى لسجين مثلي غريب ان يستحق زيارتك المقدسة (يتقدم من الكاهن ويقبل يده راكعا) باركني يا ابتاه واسأل الله ان يرأف بي وبمن يتقلب على جمر الغضا في انتظاري

الكاهن انهض يا راعول ورب السماوات يباركك ويمطر عليك من لدنه نعم الصبر لاحتمال مصائبك وينيلك مبتغاك في هذه الدنيا والاخرة

راعول (يقف) لقد اخبرني صديقي جاك انك شديد

الرغبة في زيارتي ولكنى مع تقديري لعواطفك الابوية قد خشيت عليك يا مولاي من ظلم الظالمين فحذرته شرّ العاقبة واني اعود واكرر خوفي يا مولاي . فان في اختراق جدران سجني غضب الامير

الكاهن لا تخش بأسا ياولدي فان الله القائل : « كنت مسجونا فزرتموني » وقد اتيت اليك عملا بوصيته هو المسؤول ان يرسل ملائكته لحراستي ولرفع ظلم الظالمين عني . . خصوصا وقد شعرت من نفسي دافعا يدفعني الى زيارتك منذ ان اخبرت بوجودك في هذه الديار . فان لاسم دي ڤيرفوكون حرمة كبيرة عندي

راءول دي ڤيرفوكون . ومن اين تعرفهم يامولاي يا الله فلست اذا وحيدا هنا و يوجد في هذه البقعة من الارض من يعرفني و يرثي لحالي و يرنو اليّ بعين صداقة ومحبة وكيف عرفتهم يا مولاي ؟

الكاهن كان دي ڤيرفوكون احد ابطال الحملة الصليبية الرابعة وقد طارت شهرته واضحى مفزعة اعدائه ومن لم يسمع بهذا الاسم بل ومن لم يذب شوقا للتمتع بمرآى تلك الطلعة البهية التي تعلوها مسحة من هيبة الله و بطولة القديسين

راءول (الى نفسه) أبعد هذه الذكرى وهذه الخدمات الجليلات ذل وانكسار ومهانة ٠٠٠ اتسمع يا ابي وهل من العدل بشيء ان تبقى في سجنك تجرّ ذيول الاحتقار والذل ويرتع غيرك فى بحبوحة من رغاء العيش وهناء الحياة ٠٠ لا لا ان الله رحيم لن يتركك في سجنك فيرسل اليّ من يأخذ بيدي لاتمام مهمتي واعود اليك ظافراً رافعاً راية الانتصار والشرف

الكاهن لا يخيب من يضع اتكاله على الله· تأكد يا راءول ان المحن ان هي الا زيوت توضع في مصابيح الصالحين و خائفي الله فتزداد بها انوار فضائلهم اشعاعاً

راءول ان كلامك البلسم ينزل على جراح قلبي فيخفف آلامها· فصلّ اذاً لاجلي وتضرع الى الله ان يرحم راءول ووالده برحمته (تسمع حركة في الخارج فيلتفت جاك و يقول)

جاك لقد هلكنا هذا هو الامير فريد ات ومعه السجان ٠٠ يا للخيانة الفظيمة

المشهد الثامن

الاشخاص ذاتهم . الامير فريد

الامير فريد ماذا ارى ؟ اخيانة وسط بيتي وفي عقر

قصري وما الذي اتى بك ايها الشيخ الجليل وهل تدري ان في الدخول الى بيتي دون اذني الموت الزؤام

(الى جاك) وانت ايها الخائن ستنال جزاء خيانتك انت وهذا السجين

(يرفع سيفه ويهم بقتل جاك فيصرخ الكاهن قائلاً)

الكاهن (بصوت كله هيبة ووقار) انت الخائن . انت انت المارق . رجوعاً الى الوراء ولا تمدّ يدك الى هذين البريئين ياسيجوفروا الكافر

الامير فريد (يقف مبهوتا وينظر الى الكاهن) ومن تكون يا هذا حتى تصمني باهانة لا تمحوها دماؤك ولا شيبتك الجليلة

الكاهن اجل انت سيجوفروا الكافر بنعم اسياده والمارق عن الدين والوطنية .. فارجع سيفك الى غمده وسكن ما بك من الجأش فلقد انت ساعة الحساب

الامير فريد افصح .. فاني لا افهم لكلامك معنى

الكاهن لا بل تفهم جيدا وتعرف ان اسم الامير فريد ان هو الأ اسم مستعار اردت اخفاء جرائمك تحته . ولكن عين الله لا تنام وها ان الساعة التي طالما انتظرتها انا وتحاشيتها انت قد

دقت لاعلان مخازيك ايها الخائن سيجوفروا

راءول (بعد الذهول برهة يقول) سيجوفروا اني اعرف هذا الاسم فهو عدوّ والدي .. هو الرجل الذي اتهم والدي بخيانته وحوكم وسجن لاجله .. بشرى لك يا جيل . ايها الوالد الحبيب بشرى لك فان نور الحقيقة يبدأ بالسطوع

الكاهن جيل دي ڤيرفوكون هو ذلك الرجل الذي كنت انذرته بغضب الله ولعله قد تاب عما بدا منه ؟

راءول نعم يا مولاي . لقد تاب توبة صادقة وكفّر عن ذنوبه وهو لا يزال في غياهب سجون فرنسا يجرّ عذابات الاحتقار متهما بخيانة سيجوفروا وبايقاعه في كمين اتفق به مع الاعداء .. وليس من العدل ان يبقى في عذابه ما دام هذا الرجل حيا يرزق وهو يرتع مع الاعداء وبين صفوفهم

سيجوفروا (بعد ذهول طويل واطراق الى الارض يقول وقد علا الاصفرار وجهه) اجل ليس من العدل ان يبقى ذلك الرجل الشريف الشهم سجينا لاجلي وانا هنا امرح وامرح في بحبوحة السعادة والهناء . اجل انا هو سيجوفروا انا هو الخائن الذي كفر بنعم ربه .. انا هو خصم دي ڤيرفوكون الذي نصب له الاشراك الكبيرة لاهلاكه وكان الشرك الاخير اشدها ايلاما على

قلبه ٠٠٠ فهل من رحمة لي ايها الاب الجليل ؟ ٠٠

الكاهن   لا رحمة ما لم تعلن للملا عملك الفظيع وتقر بان سيجوفروا لم يمت بالكمين الذي اتهم به دي ڤيرفوكون وان هذا الكمين لم يكن الا حيلة نسجت حبائلها خصيصا للايقاع ببطل نزيه مخلص لوطنه ولقضيته ودينه ، وان مدبر هذه الحيلة هو انت اقرّ بذنوبك هذه للملا واطلب الى الله ان يرحمك فلابدّ انه سبحانه وتعالى يعاملك برحمته ورأفته

سيجوفروا   اني رهين اشارتك يامولاي . فمر ترني اطوع الك من بنانك . ماذا تريد ان اعمل كفارة عن الذنب الذي اقترفته

راءول   (على حدة) يارب هل قريب الفرج ؟ وهل ارى ابي خارجا من سجنه رافع الرأس ظافرا

الكاهن   اكتب صكا تقرّ فيه بما مضى منك ووقع عليه بتوقيعك الذي يعرفه الجميع واعطه لهذا الشاب ليحمله الى الملك ويخلص به والده من السجن الذي زجّ فيه لاجلك

سيجوفروا   افعل بطيبة خاطر وهل يتقبل الله مني هذه الكفارة

الكاهن   لا تقنط من رحمة الله فهو رحيم يعامل

التائبين برحمته

سيجوفروا ها انا ذاهب لكتابة الصك فانتظروني قليلا (يخرج)

المشهد التاسع

الكاهن . راعول . جاك

راعول شكراً لك يا مولاي والف شكر . ولا ادري كيف اكافئك على ما قمت به امامي وامام شرف اسرة دي فيرفوكون من الخدمة التي نسجلها بابهى ايات الشكر وليس لي الاّ ان اسأل الله ان يجازيك عنا جزاء الابرار الصالحين

الكاهن اني خادم الله وقد قمت بواجب انتدبت لاجله . فأذا ذهبت الى والدك قل له ان كاهن تلك القرية التي امرت يوما بحرقها وانت ثمل بخمرة الانتصار ذلك الذي استنزل لعنات الله عليك هو نفسه يقبل كفارتك باسم الهه القدوس ، وهو نفسه عمل بقوة الله عَلَى خلاصك من سجنك وعَلَى اعادة الشرف الذي قال لك انت ستصاب بفقده

المشهد العاشر

ذاتهم . سيجوفروا (يدخل)

سيجوفروا (يقدم الى الكاهن ورقة ويقول) هذا هو

الصك الذي تطلب يا مولاي . اقرأه وسلني ما تريد زيادة عليه فاني مستعد لان اعوض عما بدر مني . . (الكاهن يأخذ الورقة ويقرأها على حدة ويكمل سيجوفروا مخاطباً راعول)

واما انت يا راعول فعفواً عما اتيته نحوك ونحو والدك الذي احترمه واحترم فيه مبدأه واخلاصه بالرغم من العداوة التي كانت متمكنة في قلبي ضده . . وما هو الا شيطان الغرور والطمع الذي نفخ في رأسي هذه الجريمة فاقترفتها واضحيت خائناً امام الله وامامه وكافراً بنعم مليكي المحبوب ورفاقي في الجهاد . . قل لابيك ان سيجوفروا تائب عن ذنوبه وهو يتطلب منك رحمة وعفواً لعل الله يتقبل دعاءه فينيلني الرحمة التى اريد فاقضي ما بقي من عمري بخير وسلام

راعول انما مرتبنا كان الأحكا لايمان والدي واني بإسمه في سجنه وبالاصالة عن نفسي اطلب الى الله ان يعفو عنك يا سيجوفروا وان يرحمك برحمته

الكاهن (الى راعول) خذ يا ولدي هذا الصك فهو خير ذخر لك امام مليكك وعظماء فرنسا وخير كفيل بتخليص والدك من سجنه وبارجاع شرف دي ڤيرفوكون الى سابق عزه وما ان شهادتي عليه مصداقاً لما تم

راعول (يأخذ الصك ويقبل يد الكاهن . ثم بعد ان ينظر اليه يتهلل وجهه بشراً ويقول) .

الخلاص . الحرية . الشرف . . بشراك الآن يا والدي فلقد دنت ساعة الخلاص وها ان وحيدك يعود اليك كما وعدك رافع الرأس حاملاً لك الخلاص والحرية والشرف .

فالى فرنسا ايها الرفاق . . الى فرنسا . . لقد تمت مهمتنا ولم يبق لنا الا زيارة القبر المقدس والعودة مرفوعي الرؤوس ورايات النصر خافقة فوقها . . فلقد انينا نجاهد في سبيل الشرف وها ان الشرف الذي جاهدنا لاجله قد نلناه

فالى بلادنا العزيزة . . الى وطننا المحبوب

ينزل الستار

الفصل الخامس

يرفع الستار عن المنظر ذاته الذي رفع عنه في الفصل الثاني
اي سجن وداخله جيل

المشهد الاول

جيل . السجان

جيل (من داخل سجنه) مضت الايام والشهور الطوال بل وطويت السنون الكثيرة وانا في هذا السجن اليف الحزن والسهاد · اندب حظي واستمطر الرحمات علي واناجي ولدي راعول الذي ابتعد عن هذه الديار بعد ان حط فيها قدره وذهب يضرب في بلاد الله الواسعه سعياً وراء شرف اضاعه الوالد فكان للولد الحظ الاوفر من المهانة والاحتقار · ايه يا راعول ايها الولد البار الحبيب · يا مهجة كبدي وبهجة ايامي وتعزية شيخوختي ··· اين انت اليوم وفي اي الديار رماك هذا الدهر الظالم الخؤون وهل لا تزال تذكر والدك وتسعى سعيك لخلاصه وخلاص اسم اسرتك من الهوان · ام ان القدر قد خانك فرضخت لظالم احكامه وناصبك العداء فنفد زيت الرجاء من

مصباح عزيتك وهمتك وسكت واستسلمت يائساً قانطاً ... اي ربي .. هل من خبر قريب من ولدي يفرج كربتي وينعش فؤادي الكسير وهل من اجتماع اليه قبل ان اموت . وهل من قبلة حارة اطبعها عَلَى محياه الصبوح فتكون خير تذكار له من ابيه وخير مشدد لعزائمه عَلَى احتمال مصائب حياة الدنيا الغرور

السجان لو انّ ابنك لا يزال في قيد الحياة لما كنت عدمت خبراً منه وها قد مضت الايام واخباره منقطعة عنك ..

جيل لا تزد همّاً على همومي ياهذا واتركني وحدي اندب حظي واناجي روح ولدي الحبيب حياً ام ميتاً .. وما الذي ضيرك من كلامي

السجان اني ارثي لحالتك التعيسة واخشى اذا ما ثقلت الهموم عليك قتلتك

جيل مرحبا بالمنون خلاصا من عذاباتي وهمومي ... وتأكد ياهذا ان ذكر ولدي هو الذي يحبب اليّ الحياة نوعا وهو الذي يشدد عزائمي على احتمال مصائبي بصبر .. وهل من اسم اعذب من اسم الابن يردّد على فم الوالد الحنون .. ألست رب اسرة .. أليس لك اولاد ؟ . الا تشعر بعاطفة الشوق تلهب حشاك فيما لو فارقتهم او ابتعدوا عنك يوما واحدا ؟ .. فكيف

بي انا الوالد المنكود الحظ وقد مضت عليّ ايام وايام لم اضمّ فيها الى صدري ولدي الذي وبيته بدموع العين . استكثر عليّ بعد هذا ترديد ذكراه .. الا بالله اتركني في ظلمات سجني ابكي وانوح واردد ذكرى من احببت

المشهد الثاني

جيل، السجان، حاجب الملك (يدخل)

الحاجب   ان مولاي الملك يريد زيارة هذا السجن لتفقد حالة السجين فاستعد يا هذا لملاقاة جلالته

جيل   على الرحب والسعة اهلا وسهلا . وتراني بانتظار تشريف جلالته

السجان   (على حدة) لامر ما زيارة هذا السجين ؟ . وهل من جديد ؟ .

المشهد الثالث

جيل (وحده)

جيل   جلالة الملك يزورني . وما الداعي يا ترى الى تنازل جلالته لزيارة خائن اثيم مثلي . وهل من جديد يريد جلالته موافاتي به ام ان امرا ذا بال دفعه الى هذه الزيارة التي لم يسبق ان قام بمثلها لهذا السجن .. وعلى كل فهي فرصة تسنح

اعود فيها الى تمتيع الطرف بمحياه الصبوح فلقد احببته كثيراً واخلصت له الخدمة ولا ازال احبه مهما نزل بي من المصائب التي كنت انا الجاني بها علَى نفسي وراعول اتراه يدري اين هو اليوم وما جرى له بعد تلك السهام القتالة التي كسرت قلبه سأسأله لعلّ عنده ما يخفف بلواي

المشهد الرابع

جيل . الملك (يدخل)

الحاجب جلالة مولانا الملك

الملك لقد جئتك يا جيل اتفقد حالتك واقف بنفسي علَى ما انت عليه في سجنك

جيل لا استحق يا مولاي مثل هذه العناية . واني لمجرم اثيم ان يستحق مثل هذا العطف من مليكه المحبوب

الملك لك امتياز خاص يا جيل فاني بالرغم مما الصق بك و بالرغم من سجنك لا ازال احترم فيك تفانيك في سبيل بلادك واخلاصك لمليكك ودينك . ولذلك فاني كنت دائما اوصي بك خيرا .. وكثيرا ما كنت اراقب الفرص لاهوّن عليك احتمال عذاباتك حتى يؤتي الله امرا كان مفعولا

جيل اني اشكر لمولاي هذه التعطفات وارجو من الله

ان يمد في عمرك ويبقيك على رأس شعبك المليك المفدى ٠
هذا وهل يسمح لي مولاي ان ارفع اليه بصري وان اسأله
امراً صغيراً

الملك   سل يا جيل ٠

جيل   هل لدى مولاي الملك اخبار عن ولدي راعول؟

الملك   لقد اخذت اسرّ الاخبار عن ابنك وادعاها للافتخار فلقد كان في البلاد المقدسة عنوان الشهامة والشجاعة ومثالا حيا لوالده البطل المعروف

جيل   ولدي راعول وهل صحيح ما تقول ام انها كلمات تريد تهدئة خاطري بها ٠٠ اصحيح ان راعول ظهر في الحروب الصليبية وهل غسل جريمة ابيه واعاد لنفسه عزاً افقده اياه ابوه

الملك   لقد فعل اكثر مما تظن ياجيل ٠٠ لقد برّ بقسمه لك وذهب الى الاراضي المقدسة مفتشا عن سرّ شئت انت ان تخفيه علينا ٠٠ ولكن الشبل لم يقعد عن اكتشافه فرجع الينا حاملا بشائر الخلاص اليك

جيل   لا اكاد اصدق ما اسمع ٠٠ السرّ ٠ راعول ٠٠ ربي شدد عزائمي على احتمال ما يلقى على مسمعي ٠ وراعول اين هو الآن بالله يامليكي المحبوب اصدقني الخبر فهل لا يزال

حيا يرزق

الملك   مرّ اليوم وابتهج يا جيل فراءول حيٌّ يرزق
وهو بطل من ابطال فرنسا المغاوير . فاستعد لملاقاته الان وضمه
الى صدرك . فانه مدعاة افتخار لك ولبلاده
(هنا يدخل راءول ورفاقه الثلاثة)

المشهد الخامس

الملك . جيل . راءول . نيفار . ادمون . جاك

راءول   (يرتمي على صدر والده قائلاً) ابت الحنون
جيل   (يفتح يديه و يضم ابنه الى صدره و يقول)
ولدي الحبيب . (يبقيان هنيهة متعانقين والملك ينظر اليهما
وعلائم الحنان بادية عَلَى محياه)
جيل   راءول ولدي . لقد جمعتنا الايام بعد طول الفراق
فحق لنا رفع آيات الحمد لله سبحانه والشكر لمليكنا المفدى
(يتقدم وراءول من الملك ويركعان امامه ويقول جيل)
مولاي ان اكبر عاطفة الشكر الذي يشعر بها اب يلهبه الشوق
لملاقاة ولد حبيب طال غيابه عن عينيه هي موجهة لك يامولاي
فاقبلها مني فهي كل ما املك واسمح لي ان اقبل يديك قبلة هي
لسان حال قلبي الخافق

راعول (راكعاً الى جانب والده) وانا يامولاي اسمح لي ان اضم صوتي الى صوت والدي وتقبل مني حميم شكري وتجديد ميثاق الاخلاص لك والتعلق بسدتك ياصاحب الجلالة

الملك قفا يا اخلص افراد شعبي ولا ضير عليكما بعد الآن (يقفان) اما انت يا جيل فها قد اجتمعت الى من بكيته كثيرا ولكنك لم تدرِ بعد ماتيه ولم تقف علَى ما قام به من الاعمال الباهرات استرجاعاً اشرف دي فيرفوكون . فاسمع لاقص ذلك عليك بوجيز العبارة: لقد قصد الى الديار المقدسة مع هؤلاء الرفقة الثلاثة للجهاد وللسعي وراء ازاحة الظلمات التي حاطت تهمتك وسجنك .. ذهب وبايمان متين تابع جهاده. وقد سجن هناك واهين واحتمل العذابات في سبيل مبدئه يشدد عزيمته رفاقه حتى توصل الى سيجوفروا نفسه الذي رميت انت بخيانته .. فان سيجوفروا هو الخائن المارق وقد اقر بخيانته في هذا الصك الذي حمله اليّ ابنك فاقرأه تجد فيه تفاصيل الحادثة

جيل (يركع ويأخذ الصك من الملك ويقبل يديه ويبدأ بقراءته الى نفسه)

الملك (الى راعول) وانت يا راعول. لقد كنت ابرّ الاولاد لاحسن الاباء فصرتَ اهلاً لاعظم الجزاء مكافأة لك

علَى جهادك. واني ابتداء من هذه الساعة اردالى جيل دي ڤيرفوكون املاكه وحقوقه المدنية وارجعه الى اعلى مرتبة من مراتب الشرف فيكون بين اقرانه رافع الرأس عالي المنار .. واسميك انت فارس الملك وغدا في حفلة عامة وبحضور عظماء الدولة اعلن علَى الملا ما تيك واعمالك

راعول (يركع ويقبل يد الملك ويقول) لست مستحقا يا مولاي لكل هذه الانعامات وكفاني فخرا ان اكون في حمى جلالة مايكي المحبوب. اما الاملاك والشرف فاني اقبلها بكل شكر وفخر. اما لقب فارس الملك فلا ازال صغيرا له

الملك لا يكون الكبر بكبر السن كلا بل بعظيم الاعمال فان اعمالك ليعجز دونها اعظم الرجال

الجميع عاش الملك ليحيي الملك

الملك (الى الرفاق الثلاثة) وانتم يا رفاق راعول في الجهاد. لقد جاهدتم الجهاد الحسن وظهرتم الامناء المخلصين لمبدأكم ولوطنكم فاستحققتم الجزاء فاني انعم عليكم بالرتب العسكرية العالية وبالعطايا التي تساعدكم على قضاء ايامكم مع ذويكم براحة وطمأنينة فاحمدوا الله على الائه وثابروا على مبادئكم القويمة وادعوا لمليككم ولمملكته بالعز والازدهار ولجيوشه بالغلبة

والانتصار

الجميع عاش الملك ليحيى الملك

ينزل الستار

تمت الرواية

